

T
1794

" THESIS RELEASE FORM "

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

I, Jamal Sirhan

do not authorise the American University of
Beirut to supply copies of my thesis to li-
braries or individuals.

~~JKP.~~

Signature

18. 7. 78

Date

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

The Boon-Companionship in the Arab World until the 4rth C. A.H.

المسامة والمناذمة عند العرب حتى القرن الرابع الهجرى

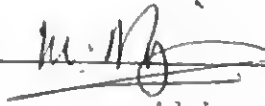
By

Mr. Jamal Sirhan

(Name of Student)

Approved:

Prof. Muhammad Najm



Advisor

Prof. Ihsan Abbas



Member of Committee

Prof. Eusad Tarazi



Member of Committee

Member of Committee

Date of Thesis Presentation: 29/6/1978

المسامرة والنادمة عند العرب

حتى

القرن الرابع الهجري

The Boon-Companionship in The Arab World

Until

The Fourth Century A.H.

إعداد

جمال محمد سرحان

رسالة مقدّمة إلى دائرة اللغة العربيّة ولغات الشرق الأدنى

في الجامعة الأميركيّة في بيروت

لنيل درجة أستاذ في الآداب

حزيران ١٩٧٨

المسامرة والمنادمة عند العرب

حتى

القرن الرابع الهجري

جمال محمد سرحان

— تہذیب —

احتلت أخبار الجلساء والندماء جزءاً من كتب التراث، ولكن بقيت شخصيات
الجلس والنديم دون حدّ واضح يرسم صورة تبرز مفهوم هاتين الشخصيتين، إذ
أن المصادر عندما تحدّثت عن ذلك لم تعن بكشف الفروق القائمة بينهما ،
وهذا ما حدا بي الى محاولة الإسهام في إزالة ما يكتنفهما من لبس وظلال ،
فقت بوضع كل من النديم والجلس ضمن إطار محدد واضح حيث أبرزت الخطوط
والألوان التي تضافرت على إخراج صورتين لهما عليهما تكوينان أقرب إلى المفهوم
الصحيح لكل منهما .

وقد يتبادر الى الذهن أن مجالس المسامرات والمناومات كانت مخصصة
للعبث واللهو ومعاقرة الخمر، ولكن ، وبعد عرض تاريخي استطاع الدارس أن يزيل
ذلك عندما تناول المجالس المختلفة في بلاط ذوي السلطان فوجد أن جانباً من
تلك المجالس كان مخصصاً لإنشاد الشعر أو المناظرات العلمية، أو الأحاديث
الدينية أو الدنيوية ، هذا بالإضافة الى جانب آخر غني بالغناء والعبث والمجون .

وطبيعي أن يصادف المرء أثناء البحث عقبات مختلفة لعل أبرزها تمثّل في
ندرة ما وصل من كتب أفردت للحديث عن خلطاء ذوي السلطان ، وأرخت لمجالس
المسامرات والمناومات ، وإذا ما علمنا أن كتاب " أدب النديم " هو الأثر الوحيد
الذي تحدّث عن ذلك ، وأن كتاب "الموشى" تحدّث عن الظرف والظرفاء ، فإن بقية

الكتب التي ذكرها الفهرست ووفيات الأعيان ومعجم الأدباء ، وقد بلغت ثلاثين كتابا ، لم تصل إلينا ، ولهذا كان لا بدّ من البحث في كتب التراث جمعا للأخبار التي تنارت في ثناياها .

وقد اعتمدت العرض التاريخي لأنه يعين على ربط الحلقات الحضارية ، ويكشف إلى أي مدى تسربت المؤثرات وتبدلت ، وقد أسهم ذلك في إبراز العادات الدخيلة - وكان معظمها فارسيا - التي سيطرت أو كادت على البلاط في العصر العباسي .

المقدمة

عنيت كتب التراث من أدبية وتاريخية وكتب تراجم بالندما والجلساء وأخبارهم، وبرزت المنادات والمجالسات منذ القدم باعتبارها أحد المظاهر الحضارية في بلاطات الملوك وغيرهم من أصحاب السلطان . وهذا النديم أو الجليس شخصية ذات مكانة في حاشية ذوي السلطان بحيث استطاع، وخصوصا في العصر العباسي أن يكون إحدى الشخصيات الرئيسة في الحاشية . ومن أفضل ما يصور التنافس بين أفراد الحاشية ويوضح مكانة النديم الحوار التالي بين كاتب ونديم ، فقد : "ماخر كاتب نديما ، فقال الكاتب : "أنا معونة وأنت مؤونة ، وأنا للجد وأنت للمزل ، وأنا للشدة وأنت للذة ، وأنا للحرب وأنت للسلم" ، فقال النديم : "أنا للنعمة وأنت للخدمة ، وأنا للحضرة وأنت للمهنة ، تقوم وأنا جالس ، وتحترش وأنا مؤانس ، تدأب لراحتي ، وتشقى لسعادتي ، فأنا شريك وأنت معين ، كما أنك تابع وأنا قرين" (١) .

وقد تحولت المنادات والمجالسات إلى جزء من الحياة اليومية عند بعض أصحاب السلطان ، وخصوصا في الدولة العباسية التي أسهم التقدم الحضاري الذي شهدته في انتشار حياة البذخ والترف في القصور . ولكن آثار المنادات

١- زهر الآداب ٢ : ١٠٠٩ - ١٠١٠ .

لم تقتصر على البلاط بل تعدته إلى الناس فسيطرت على تصرفاتهم وتركت آثارها على عقليتهم وتفكيرهم بحيث نرى أن بعضهم لجأ في سنة (٣٧٧هـ) إلى تسمية : " ولده مداما وكناه أبا الندامي ، وسمى ابنته الراح وكناها أم الأفراح ، وسمى عبده الشراب وكناه أبا الإطراب ، وسمى وليدته القهوة وكناها أم النشوة " (١) .

وتركت المناديات أيضا آثارها على المصنفين ، وشهرة الندما جعلتهم يثبتون صفة " النديم " لمن يترجمون له أو يتحدثون عنه من الندما كما فعل أبو الفرج الأصفهاني في " الاغانى " ، والمسعودي في " مروج الذهب " والبيهقي في " المحاسن والمساوي " ، وياقوت الحموي في " معجم الأدباء " ، والنويري في " نهاية الأرب " ، وغيرهم من المؤلفين . كما أصبحت الكتب تؤلف لتكون رفيقا لجليل السلطان وعونا له على مجالسته ككتاب " الفخري في الآداب السلطانية " (٢) .

وفي بحث هذا الموضوع قسمته ثلاثة فصول ، تناولت في الفصل الأول مفهوم النديم عند المؤلفين وكيف خلطوا بينه وبين الجليس ، وهذا ما جعلني أتحدث

١- مطالع البدور ١٣٩١ : ١٠

٢- أنظر الفخري في الآداب السلطانية : ٨ ، حيث جاء أن : " من ينصب نفسه لمفاوضة الملوك ومجالستهم ومذاكرتهم يحتاج الى أكثر ما في هذا الكتاب ، فعلى أقل الأقسام لا يسعه تركه " .

عن الجلّساء والندماء بعد توضيح الفرق بينهما ، ودفعني ذلك إلى استعمال
لفظة النديم لتعني رفيق الشراب والمؤانسة ، ولفظة الجليس لتشير إلى المحدث .
كما تحدثت عن مفهوم النديم عند الفرس والعرب وأوضحت تطور هذا المفهوم ،
وعن تاريخ المناديات عند الفرس الذين يعتبرون أقدم الأم التي روي عنها
ذلك . ثم أوردت لمحة موجزة عن منادات اليونانيين والرومانيين والبيزنطيين .
ثم تحدثت عن النديم عند العرب منذ العصر الجاهلي وحتى نهاية حكم
المتقي لله سنة ٣٣٣ هـ .

وفي الفصل الثاني تحدثت عن صفات الندماء وموهلاتهم وآدابهم وتصرفاتهم .

وفي الفصل الثالث أبرزت دور النديم الترفيهي ، كما تحدثت عن دور الجليس

الواعظ .

وختمت البحث بثلاثة ملاحق ، ضم الأول منها تراجم مشاهير الجلّساء والندماء

عند الأمويين والعباسيين ، وبحث الثاني في أثر المجالسات والمناديات على الحركة

الأدبية ، وتناول الأخير عرضاً لكتاب " أدب النديم " .

- الفصل الأول -

- مفهوم النديم

- تاريخ المنادمات

الفصل الأول

مفهوم النديم

أ - عند المؤلفين :

"النديم هو الشريب الذي ينادم جليسه ، وهو ندمانه أيضا ، ونادم الرجل منادمة جالسه على الشراب"^(١) . وهكذا فإنه يجتمع رجلان يتبادلان الشراب هما النديمان ، اللذان يكونان مجلس الندام^(٢) . ويفهم من هذا الحد للنديم أن دوره مقصور على معاقرة الشراب ، ولكننا نرى له دورا آخر يضاف لما يظهر من هذا التعريف ، لأنه ليس للخمر التي يتبادلها الندما سوى تأثيرها على الشاربين من حيث إتشاؤهم وتخففهم لتقبل الأتس والبهجة اللذين يعود الفضل فيهما إلى الندما لا الشراب .

١- اللسان : مادة ندم .

٢- تعددت الآراء حول عدد الجلساء أو الندما الذين يؤلفون مجلسا ، وقد كره المجلس الذي يقتصر على اثنين ، واعتبره اسحق الموصلي "هئا" . أنظر نهاية الأرب ٤ : ١٤٩ ، وقطب السرور ص ٢١١ ، وسقي هذا المجلس لكراهته "منشارا" ، أنظر قطب السرور ص ٣٠٨ ، أدب النديم ص ٢٨ ، وهناك أقوال متعددة تفضل المجالس التي تضم ثلاثة أو أربعة أو حتى خمسة أو ستة ، مع أن بعضهم نفر من المجلس الذي يضم أكثر من خمسة جلساء . انظر قطب السرور ص ٢١١ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، وأدب النديم ص ١٨ ، ونهاية الأرب ٤ : ١٤٩ .

وإذا عدنا إلى تعريف النديم نرى أن كلمة "جليس" جاءت مفسرة له ،
كما أن كلمة "نادم" استعملت مرادفة لكلمة "جالس" . والترادف بين هذه
الألفاظ يشير إلى طبقتين من الأصحاب والخطأ ، هما : الجلساء والندماء .
وقد رسم لكل منهما دور يختلف عن دور الآخر . فإذا كان النديم شريفاً
فإنه ليس من الضروري أن يكون الجليس كذلك ، أي أن كل نديم جليس ،
ولكن ليس كل جليس نديماً . ولاشتراك النديم والجليس في صفة الذين
يتقربون منهم من ذوي السلطان وغيرهم ، ولتشابه بعض ما يقومون به ، خلط
المؤلفون بينهما وتحدثوا عن الجلساء ، وهم يقصدون الندماء ، وتحدثوا عن
الندماء ، وهم يقصدون الجلساء ، أو أنهم تحدثوا عن كليهما مستعملين هذه
الكلمة أو تلك . فالشعبي^(١) (ت ١٠٣ هـ) كان جليس عبد الملك بن مروان
(٦٥ هـ - ٨٦ هـ) ومحدثه ويوصف بأنه نديمه ، مع أنه لم يعاقر الشراب^(٢)

١- أنظر ترجمته في الملحق الأول .

٢- أنظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣ : ١٠٠ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٣ - ١٤ ،
وراجع كنز الحفاظ في "كتاب تهذيب الألفاظ" ص ٢٢٣ حيث ورد "وقد يكون
النديم الصاحب والمجالس على غير شراب" .

كما أن أبا بكر الصولي^(١) (ت ٣٣٥ هـ) يتحدث في مواضع كثيرة من كتاب
الأوراق " قسم أخبار الرازي بالله (٣١٢ هـ - ٣١٩ هـ) والمتقي لله (٣٢٩ هـ -
٣٣٣ هـ) عن الندما، ويصفهم بالجلساء^(٢) . وقد خصص كشاجم^(٣) (ت ٣٦٠ هـ)
كتاب " أدب النديم " للحديث عن الجلسة والندما . وقد أسهم في خلق
الالتباس بين النديم والجلساء أن بعض الجلسة كانوا يشاركون خلطاءهم
الشراب . وإذا اعتبرنا أن ما بين أيدينا من مصنفات قد كتبت في العصر
العباسي ، وهي فترة شهدت جلسة ندما ، استطعنا تعليل ذلك .

بـ عند الفرس والعرب :

كان النديم عند الفرس يتميز بصفات خاصة ترفعه عن طبقة العامة^(٤) فإن

-
- ١- أنظر ترجمته في الملحق الأول .
 - ٢- أخبار الرازي بالله والمتقي لله : أنظر مثلاً ص : ٥٦ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ١٠٢ ، ١٢٩ ، ١٥٠ .
 - ٣- أنظر ترجمته في الملحق الثالث .
 - ٤- راجع " التاج في أخلاق الملوك " المنسوب للجاحظ ، ص ٢٣ - ٢٤ ، حيث وضع الندما في الطبقة الثانية التي تقربت من الملوك ، وراجع مروج الذهب ١ : ٢٤٤ ، حيث وضعوا في الطبقة الأولى التي ضمت الأساورة وأبناء الملوك . ولعل الذي دفع المسعودي إلى تصنيفهم في أرقى طبقة من طبقات المقربين هو تقدم مركز النديم في أيامه وبروزهم كأهم شخصية في البلاط بعد الملك .

ملوكهم لم يقرّوا خسيس الأصل ، ولا وضع القدر ، ولا ناقص الجوارح ، ولا فاحش
الطول ولا القصر ، ولا ابن صانع ذي صناعة وضيعة كابن حائك أو حجام .
وكان أردشير (٣٧٩ - ٣٨٣ م) يقول : " ما شيء أضر على نفس الملك من معاشرة
سخيف أو مخاطبة وضع ، لأنه كما أن النفس تصلح على مخاطبة الشريف الأديب
الحسيب ، كذلك تفسد بمعاشرة الدنيء الخسيس ، حتى يقدح ذلك فيها
ويزيلها عن فضيلتها . وكما أن الريح إذا مرّت بطيب حملت طيباً تحيا به
النفس وتقوى به جوارحها ، كذلك إذا مرّت بالنتن فحملته ألقت له النفس وأضرّت
بأعلاقتها إضراراً تاماً " . (١)

وظهرت عند العرب قبل الإسلام آثار هذا الاتجاه " الارستقراطي " في تقريب
الندما ، فاتصل بعض سادة العرب وبعض المتميزين من شعرائهم ببلاطي
الغساسنة والمناذرة ، كما كان السيد القرشي في الجاهلية يتخذ لنفسه نديماً
من طبقة ، وما يؤكد هذه الحقيقة تلك الازدواجية التي أوردها ابن حبيب حين
عدّ الندامي من قریش ، إذ نجد هنالك هذا التحديد الواضح على النحو الآتي :

١- التاج : ٢٤ . وراجع عهد أردشير ص ٩٠-٩١ ، وانظر في " الفخري في الآداب
السلطانية " ص ٢٣-٢٤ ، ما جاء عن " مخالطة الأندال والسوقة للسلطان " .

”فَعَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ كَانَ نَدِيمًا لِحَرْبِ بْنِ أُمِيَّةٍ ،

وَحِمَزَةُ بْنُ الْمَطْلَبِ كَانَ نَدِيمًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ الْمَخْزُومِيِّ ،

وَعَقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيْطٍ بْنُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمِيَّةٍ كَانَ نَدِيمًا لِأَبِي بَنٍ خَلْفٍ ،

وَأَبُو طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ كَانَ نَدِيمًا لِمَسَافِرِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمِيَّةٍ ،

وَأَبُو لَهَبٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ كَانَ نَدِيمًا لِلْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ

نُوفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ ،

وَالْحَارِثُ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةٍ كَانَ نَدِيمًا لِلْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ” . (١)

ويلاحظ أن القرشي كان يقتصر على نديم واحد يعرف به ويشتهر، فإذا مات أحدهما أو تنافرا انتقل النديم إلى سيّد آخر ينادمه ، وعندما تنافر عبد المطلب ابن هاشم وحرب بن أمية افترقا ، فانتقل حرب بن أمية إلى منادمة عبد الله بن جدعان (٢) .

وقد وقع بعض الشعراء الجاهليين في الالتباس عندما خلطوا بين الجليس

١- المحبر ص ١٧٣ - ١٧٧ .

٢- المصدر السابق ص ١٧٥ .

والنديم، فحسان بن ثابت (ت نحو ٦٧٤ م) لا يميز بينهما عندما يتحدث عنهما وكأنهما شخص واحد فيقول :

"لا أخذش الخدش بالنديم ولا يخش جليسي إذا انتشيت يدي" (١)

وطرفة بن العبد (ت نحو ٥٦٤ م) يصف الخلطاء بالجلساء فيقول :

"وجالس رجال الفضل والبِرِّ والتقى
فزين الفتى في قومه جلساؤه" (٢)

ومجيء عصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين اختفى النديم الشريب ولم يظهر في مجالس أصحاب السلطان ، ورافق ذلك بروز مفهوم أخلاقي مثالي للجليل فالرسول (ص) يقول : "مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافع الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافع الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد ريحا خبيثة" (٣) فالرسول يتحدث عن طبقتين من الجلساء ، وهو يقصد بجليس السوء ذلك الذي ينتهك التعاليم الدينية ، وهذا لا يستثني النديم الشريب . ويلتقي علي بن

١- ديوان حسان بن ثابت ص ٦٧ .

٢- ديوان طرفة بن العبد ص ١٥٩ . وراجع ص ٤٧ حيث يصفهم بالندماء .

٣- فتح الباري في شرح صحيح البخاري : كتاب الذبائح ، باب المسك ، ج ٧ ، ص ١٢٥ . وراجع عيون الأخبار ١ : ٣٠٥ .

أبي طالب (٣٥ - ٤٠ هـ) مع الرسول (ص) في تحديده لفهم الجليس
فيحذر من مجالسة السفها ، ويحدد صفات من لا يصلح للمخالطة عندما
يقول : " لاخير في صحبة من تجتمع فيه هذه الخلال ، من إذا حدّثك
كذبك ، وإذا ائتمنته خانك ، وإذا ائتمنتك اتهمك ، وإذا أنعمت عليه كفره ،
وإذا أنعم عليك منّ عليك " .^(١) وكان هم الصحابة البحث عن الجليس
الصالح فقد جاء في الحديث : . . . عن خيشمة بن أبي سبرة قال : أتيت
المدينة فسألت الله أن ييسر لي جليسا صالحا ، فيسر لي أبا هريرة ،
فجلست إليه فقلت له : "إني سألت الله أن ييسر لي جليسا صالحا فوقفت
لي ، فقال لي : ممن أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ، جئت ألتبس الخير وأطلبه . . ."^(٢)

وشهد البلاط الأموي الجلوس المحدثين ، فمعاوية بن أبي سفيان (٤١ هـ -
٦٠ هـ) استحضر عبيد بن شربة الجرهمي^(٣) (ت نحو ٦٢ هـ) ليسأله عن

-
- ١- المخلاة ص ٢٧ ، وراجع ص ٨٩
 - ٢- أنظر: صحيح الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب ابن مسعود ج ٣ : ٢١٥ - ٢١٦ .
 - ٣- عبيد بن شربة الجرهمي : من الحكماء الخطباء في الجاهلية ، أدرك النبي (ص) ،
واستحضره معاوية من صنعاء الى دمشق ليروي له أخبار الأمم الماضية ، وأمر معاوية
بتدوين أخباره . وقد عثر الى أيام عبد الملك بن مروان . ويقال إنه أول من صنف
الكتب من العرب . وله من الكتب "كتاب الأمثال" و "كتاب الملوك وأخبار الماضين" .
راجع ترجمته في الاعلام ٤ : ٣٤١ حيث يذكر مصادر .

أخبار القدماء^(١) . ولم ترد أخبار عن النديم الشريب إلا أيام يزيد بن عبد الملك (١٠١ هـ - ١٠٥ هـ) وابنه الوليد بن يزيد^(٢) (١٢٥ هـ - ١٢٦ هـ) . وقد أصبح النديم جزءاً من مجالس الوليد بن يزيد وشخصية هامة ضمن حاشية المقربين إليه . وخمريات الوليد سجل لمناداته ومجالس عبثه ، وقد تحدث عن تعلقه بالغناء والشراب والندماء عندما قال :

”إِنِّي أَشْتَهِي السَّمَاعَ وَشَرَبَ الكَا
سِ وَالْعَصَّ لِلْخُدُودِ الْمِلَاحِ
وَالنَّدِيمَ الْكَرِيمَ وَالْخَادِمَ الْفَا
رَهُ يَسْعَى عَلَيَّ بِالْأَقْسَدَاخِ^(٣)

ولم يظهر النديم الشريب في البلاط العباسي إلا أيام المهدي^(٤) (١٥٨ هـ - ١٦٩ هـ) وأصبح الندماء والجلساء أيام هارون الرشيد (١٧٠ هـ - ١٩٣ هـ) في

١- الفهرست ١ : ٨٩ - ٩٠ .

٢- وإذا اعتبرنا ما جاء عن يزيد بن معاوية في ”مروج الذهب ٣ : ٧٧“ فإنه يكون أول من سبق الأمويين إلى تقريبه ، حيث جاء أنه : ”كان صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب“ . وفي أيامه ظهر الغناء في مكة ، واستعملت الملاهي ، وأظهر الناس الشراب . وكان له قرد يسمى بأبي قبيس يحضر مجلس منادمته .

٣- ديوان الوليد بن يزيد ص ٣٨ .

٤- الوزراء والكتاب ص ١٥٩ - ١٦٠ ، حيث يذكر أن ندماء كانوا يشربون بحضرته .

أرفع طبقات المقربين حيث أنه كان يرفع من يعجبه من موظفي القصر إلى طبقة الجلوس والمؤانسين باعتبارها أسمى درجة يبلغها من يفكر بمخالطة الخليفة. (١) ثم يأتي أبو نواس (ت ١٩٨ هـ) والحسين بن الضحاك الخليع (ت ٢٥٠ هـ) وقد اتصلا بالأمين وغيره من الخلفاء متأثرين بوالبة بن الحباب (ت نحو ١٧٠ هـ) وينظرونه إلى النديم حيث يقول : "الغلام هو الرفيق في السفر، والصديق في الحضر، والمعين على الشغل، والنديم عند الشرب، وهو سبب الأفس" (٢). وهذا ما أبعد عن البلاط العباسي عندما عبّر عن رأيه بالندما في حضرة المهدي حيث يقول :

"وَمَنْ عَلَى صَدْرِكَ لِسِي سَاعَةٍ
إِنِّي أَمْرٌ أَنْكَحُ جَلَّاسِي" (٣)

ويظهر تأثر أبي نواس به عندما يقول :

"وَجَلِيسٍ كَانَ فِي وَجَنَتَيْهِ
كُلُّ حَسَنٍ تَصْبُو إِلَيْهِ النَّفُوسُ
قَدْ أَصْبَنَّا مِنْهُ فَتَسْتَغْفِرُ اللَّهُ كَثِيرًا وَقَدْ يَصَابُ الْجَلِيسُ" (٤)

١- معجم الأدباء ١٣ : ١٦٨ ، وراجع التاج : ٣٧ .

٢- مطامع البدور في منازل السرور ١ : ٢٤٦ .

٣- الوزراء والكتاب ص ١٤٩ .

٤- ديوان أبي نواس ص ٩٨ .

ولم يظهر المحدث شخصية هامة في حاشية المقربين من السلطان إلا أيام المتوكل^(١) (٢٣٢ هـ - ٢٤٧ هـ) .

وبدأ العلماء المحدثون ينافسون ندما الشراب في التقرب من البلاط ، فأخذ بعضهم يشرب مع الخلفاء وينادهم حتى يلحقوا بالندما ويساووهم في المرتبة والصلات . فالزجاج^(٢) (ت ٣٠٠ هـ) وكان عالما ، كان له رزق في الفقهاء ورزق في الندما^(٣) . ولا يعني هذا أنه كان يعاقر الخمر ، ولكن يفهم أنه أصبح من طبقة الجلوس المحدثين الذين ساووا الندما في المرتبة .

ومهما اختلفت النظرة إلى النديم ، وتنوع الدور الذي يضطلع به فإن من أفضل ما يوضح فضله ويحدد الهدف من تقريبه قول أحدهم :

١- العقد الفريد ١٦ : ٤٣٠ - ٤٣١ .

٢- أبو اسحق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج ، عالم بالنحو واللغة ، ولد ومات في بغداد . كان في فتوته يخطر الزجاج ثم مال الى النحو فعلمه المبرد . وطلب عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد مؤدبا لابنه القاسم ، فدل المبرد على الزجاج ، فطلبه الوزير فأدب له ابنه الى أن ولي الوزارة مكان أبيه فجعله القاسم من كتابه ، وأصاب في أيامه ثروة كبيرة . ومن كتبه "معاني القرآن" و"الاشتقاق" . الخ . أنظر ترجمته في الأعلام ١ : ٣٣ حيث تذكر مصادره .

٣- معجم الأدباء ١ : ١٤٨ - ١٥٠ .

أَرَى لِلْكَأْسِ حَقًّا لَا أَرَاهُ لَغَيْرِ الْكَأْسِ إِلَّا لِلنَّدِيمِ
هُوَ الْقُطْبُ الَّذِي دَارَتْ عَلَيْهِ رَحَى اللَّذَاتِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ^(١)

تاريخ المنادِمات

لمحة تاريخية عن المنادِمات عند بعض الأمم غير العربية :

عني ملوك الفرس بتقريب الجلساء والندماء فجمعوا حولهم رجالا عديدين اتخذوهم سمّارا ومحدثين منادمين أو مغنين ومضحكين • ولعلمهم أول من اتخذ المنادِمات وجالس الندماء بين ملوك الأمم منذ القدم • وقد كانوا يرون ذلك من علامات كمال الملك ، فقد أيقن بهرام جور (٤٢٠ - ٤٣٨) أن ابنه قد أصبح رجلا عاقلا مؤهلا لوراثة الملك من بعده عندما طلب الدواب والآلات والمطاعم والندماء بعد أن كان قد يئس منه لفساد سيرته واستهتاره واستخفافه بالأمور .^(٢)

١- أدب النديم ص ٦ •

٢- نشوار المحاضرة ٤٤ : ٢٨٤ •

واصطحب ملوك الفرس الموانسين والمحدثين والملهين في حلهم وترحالهم ،
وكانت العادة إذا خرج بعضهم لسفر أو نزهة أن لا يفارقه خلع للكساء ،
وأموال للصلات ، وسياط للأدب ، وقيدود للعصاة ، وسلاح للأعداء ، وحماة يكونون
من ورائه وبين يديه ، ومؤنس يفضي إليه بسرّه ، وعالم يسأله عن حوادث أمره ،
وسنة شريعته ، ومله يقصر ليله ويكثر فوائده .^(١)

واهتم الأكاسرة بندمائهم فأردشير بن بابك يقول : " حقيق على كل ملك أن
يتفقد وزيره ونديمه وحاجبه وكاتبه ، فإن وزيره قوام ملكه ، ونديمه بيان معرفته ،
وكاتبه وكيل معرفته ، وحاجبه برهان سياسته " .^(٢)

ونظم ملوك الفرس بلاطهم تنظيماً دقيقاً فوضعوا الرسوم التي تقيد بها كل
من حضر مجالسهم ، وكان أردشير بن بابك أول من رتب الندماء فجعلهم ثلاث
طبقات : فكانت الأساورة وأبناء الملوك في الطبقة الأولى ، وكان مجلس هذه
الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستارة^(٣) . ثم الطبقة الثانية وكان

١- التاج ص ٧٢ .

٢- انظر عهد أردشير ص ١٠٣ .

٣- سيأتي الحديث عن الستارة في الصفحات التالية .

مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع، ورجالها هم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم . ثم الطبقة الثالثة، وكان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية، وهم المضحكون وأهل المزل والبطالة^(١) .

وحافظ من تلاء من الملوك على هذا الترتيب، ولكن "لما جاء بهرام جور قرر مراتب الأشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت النيران والنسك والزهاد وطبقات العلماء بالديانة وأنواع المهن الفلسفية على حالها . وغير طبقات المغنيين ورفع من كان بالطبقة الوسطى إلى العليا والطبقة الدنيا إلى الوسطى ، وغير المراتب على حسب إعجابه بالمطرب له منها ، وبذلك أفسد ما رتبته أردشير في طبقات الملهمين^(٢) ، وسلك من جاء بعده من الملوك هذا المسلك حتى جاء كسرى أنو شروان فرد مراتب المغنيين إلى ما كانت عليه أيام أردشير".^(٣)

١- التاج ٢٣-٢٤ .

٢- الملهمون ، أصحاب الملاهي : تعني المغنيين .

٣- مرجع الذهب ١ : ٢٤٦ ، وانظر التاج ص ٢٨ .

وكان من غير المسموح به للندماء أن ينتقلوا من طبقة إلى أخرى إلا إذا لوحظ في أحدهم ما يؤهله لذلك ، وعندها يعرض أمره على الملك بعد اختبار الموازنة والهرابذة^(١) إياه ، فإن رآوه مستحقا أمر الملك بإلحاقه بغير طبقة^(٢) . ولم يسمح الملوك لندمائهم أن يتجاوزوا المراتب المخصصة لهم ، ويروى أن كسرى أنو شروان جلس للناس يوما فدخل عليه رجل من خاصته فنحاه وأمر أن يقام من المجلس ويحجب عنه سنة لأنه تعدى المرتبة التي رسمت له^(٣) . كما أن الملوك إذا غضبوا على أحد ندمائهم أزالوه عن المرتبة التي هو فيها إلى ما هو أدنى منها ، ويروى أنه "كان لأحد ملوكهم نديم مضحك يسمى "مرزيان" ، فظهر له من الملك جفوة ، فلما زاد ذلك عليه تعلم نبج الكلاب وعوي الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ، ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى أمره ، فلما خلا الملك بنفسه نبج نبج الكلاب فلم يشك الملك

١- الموازنة : كلمة فارسية معناها القضاة ، وانظر " الترجمة والنقل عن الفارسية ج ١ : هامش رقم ٦ ص ٦١ . والهرابذة : كلمة فارسية مفردة هريذ ، ومعناها : قيم النار ، وانظر ص ٢٦٤ من المصدر السابق .

٢- المصدر السابق ١ : ٢٦٩ .

٣- مروج الذهب ١ : ٢٦٩-٢٧٠ . وانظر عهد أردشير ص ٦٢-٦٤ حيث يوصي أردشير ولاية عهده أن يقرأ طبقات الرعية على حالها ويحذر من الانتقال من طبقة إلى أخرى أسى منها لأن ذلك يولد الطموح والطمع في نفوس الرعية . وفي هذا بوار الملك بهذا يعتبر المحافظة على طبقات الرعية ركنا من أركان سياستها .

في أنه كلب، فقال : انظروا ما هذا ؟ فعوى عوي الذئب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير، فمضى الملك هاربا، ومضت الغلمان يتبعون الصوت، فلما دنوا منه سهل سهيل الخيل، فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا، فلما أتوا به إلى الملك وعرف أنه مرزيان، ضحك ضحكا شديدا، وقال : "ما حملك على ما صنعت ؟ قال : إن الله عز وجل مسخني كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب عليّ الملك، فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد إلى مرتبته الأولى". (١)

وكان يفصل بين الملوك وجلسائهم ستارة تحجبهم عنهم، وكانت هذه الستارة من دلائل هيبة الملوك وعظمتهم لأنهم، على ما يبدو، كانوا يترفعون عن مواجهة المجالسين إمعانا في العظمة وحرصا على أن يفرسوا في نفوسهم شعورا بالآلوهية لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم ظل الله على الأرض (٢)

١- المستطرف في كل فن مستظرف ٢: ٢٩٧ - ٢٩٨ .

٢- راجع كتاب : Dress, Drinks and Drums , P. 205 ، حيث يتحدث

المؤلف عن شرب أحد ملوك الزنوج في إفريقيا خلف ستارة تحجبه عن الحاضرين . ويعتدل ذلك أسطوريا لأنه يقول "إن الزنوج يعتقدون أن من يرى الملك وهو يشرب يمكن أن يؤثر بشعوذته وسحره عليه فيروون أن أحد البقايا ملوك الكونغو قد حكم عليه بالموت لأنه شاهد والده وهو يشرب .

أو كي لا يقع نظره على عيوب خلطائهم الخلقية . وقد وكل الملوك رجلا من أبناء الأساورة بالستارة وكان اسمه "خرم باش"^(١) ، وإذا جلس الملك لندمائمه ومعاقبه أمر رجلا أن يرتفع على أرفع مكان في دار الملك فيرفع عقيرته ويغرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر ، فيقول : " يا لسان احفظ رأسك فإنك تجالس في هذا اليوم الملك " ، ثم ينزل ، وكان ذلك فعلهم في يوم جلوس الملك للهوى وطربه ، فيأخذ الندماء مراتبهم خافتة أصواتهم غير مشيرة بشيء من جوارحها حتى يطلع الموكل بالستارة فيقول : " غن أنت يا فلان كذا وكذا ، وأضرب أنت يا فلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من طرائق الموسيقى " .^(٢)

وقد رسم ملوك الفرس أن يلبس أهل كل طبقة ممن في خدمتهم لبسة لا يلبسها أحد ممن في غير تلك الطبقة ، فإذا وصل الرجل إلى الملك عرف صناعته والطبقة التي هو فيها .^(٣)

١- أنظر مروج الذهب ١ : ٢٤٦ - ٢٤٧ حيث يفسر المسعودي هاتين اللفظتين :
بكن فرحا مسرورا .

٢- مروج الذهب ١ : ٢٤٦ - ٢٤٧ .

٣- الوزراء والكتاب ص ٣ .

وكان للملوك الفرس علامات لصرف جلسائهم ، وكان أردشير بن بابك إذا تعطى قام سماره ، وكان يستأسف إذا ذلك عينيه ، قام من حضره ، وإذا قال يزدجرد (٦٣٣ - ٦٥١ م) "شب بشد" ^(١) قام من حضره من الجلساء والندماء . وكان سابور إذا قال : "حسبك يا إنسان" قام سماره ، وكذلك إذا قال أنوشروان : "مَرَّتْ أعينكم" ^(٢) . وهكذا فإنه كان من حق الملك إذا تتأب أو فعل ما يدل على ، نعاسه أو تعب أن يقوم من بمجلسه .

ولتقريب الجلساء والندماء مقاييس معينة . وكانت الأكاسرة تمتحن أمانة جلسائها ، فقد دس أبرويز إحدى جواريه لبعض خاصته حتى تمكنت من قلبه ، ولما راودها عن نفسها انقطعت عنه بأمر الملك ، ثم أرسل مكانها أخرى فتعلق بها كسابقتها فأعلمت الملك الذي قام بنفيه بعدما علم خيانتة ^(٣) . وإذا صادف أن اجتاز أحد الجلساء هذه الامتحانات وخف على قلب الملك "وكان الرجل عالما بالحكمة موضعاً للأمانة في الدماء والفروج والأحوال على ظاهره ، نيامره الملك أن يتحول إلى منزله ، وأن تفرغ له حجرة ، وإن لا يتحول إليه بها امرأة ولا

١- جملة فارسية معناها "صار الليل" . أنظر التاج الهامش رقم ٣ ص ١١٨ .

٢- أنظر المصدر السابق ص ١١٨ - ١١٩ .

٣- المحاسن والأضداد ص ١٣٦ - ١٣٧ .

جارية ولا حرمة ، ويقول له : "أريد بك الأنس في ليلي ونهارى ومتى كان معك بعض حرمك قطعك عني ، فأجعل منصرفك إليّ في خمس ليالٍ" ، فإذا تحول الرجل أنس به وخلد معه ، وكان آخر من ينصرف من عنده ، فيتركه على هذه الحال أشهراً^(١).

وكان ملوك الفرس لا يرتضون لندمائهم أن يشاركوهم في مس طيب أو مجمر ، لأن هذا مما يرتفع فيه الملك عن مساواة أحد إمعانا في تفرد وترفعه عن ندمائه^(٢). وإذا عرضنا تاريخ بلاط بعض ملوك الفرس ، نرى مستوى الندماء والجلساء الذين ارتادوه . فقد كان بهمن مشغولاً بمحاسن الكلام يقدم له ، ويؤثر من أجله ندماء ، وخطاءه^(٣) . كما كان أنوشروان ذا عناية كبيرة بالآراء الفلسفية ، وكان في بلاطه كثير من الأطباء والفلاسفة أمثال أورانيوس الطبيب ، والحكيم السرياني الذي كان يفسر له آراء الفلاسفة ، وكان يجمع علماء الدين ويحادثهم فيما يتعلق بنظام التكوين وغيرها من الآراء الفلسفية^(٤) . وكان حريصاً على تقريب المغنين ، ولما أراد قتل زيوشث

١- المحاسن والأضداد ص ١٣٥ - ١٣٦ .

٢- التاج ص ٤٦ .

٣- أنظر جاويدان خرد ص ٦١ .

٤- أنظر الترجمة والنقل عن الفارسية ١ : ٣١ - ٣٢ ، وجاء في مروج الذهب ١ : ٢٦٨ أن أنوشروان "كان يجالس الحكماء ليأخذ عنهم ، وكان يقول لهم : "دلوني على حكمة فيها منفعة لخاضة نفسي وعامة رعيتي" . وورد في "جاويدان خرد ص ٤٧" أن بزرجمهر قد كتب إليه يحثه على صحبتة العلماء ومجالستهم قائلاً : "وأكثر ما ينتفع به السلطان صحبتة العلماء والإبتكار من العلم ، فإن من فضيلة العلم أن صاحبه كلما استكثر منه أحب أن يزداد منه ، وهذا هو الحرص المدوح . وقد يلام الناس على شدة الحرص في طلب الدنيا والمال ، ويمدحون على شدة الحرص في طلب العلم ومصاحبة العلماء" .

المغني الذي قتل زميله "فهلوز"، وأمر أن يرمى به تحت الفيلة، قال له: "قتلت أحسن الناس غناء"، وأجودهم إمتاعا للملك حسدا له". فلما سحبه نحو الفيلة إلتفت إلى كسرى وقال: "إذا قتلت "زيوشت" المغني، وقد قتل "زيوشت" "فهلوز"، فمن يطربك؟" فقال كسرى: "المدة التي بقيت لك هي التي أنطقك، خلّوا سبيله".

(١)

وقرب ملوك اليونان الجلوس والنديما من مجالسهم، وقد شهد بلاط الإسكندر نوعين من المقربين هما المحدثون والنديما، ومحدثوا الإسكندر كانوا على الأغلب من الفلاسفة الحكماء الذين برز منهم أرسططاليس الذي اتصل به مؤدبا قبل الملك، وجلسا ومستشارا بعده. ومن وصيته للإسكندر نقف أمام صورتين من صور المجالس عنده، فقد قال له: "احفظ ما أقول لك، إذا كنت في مجلس الشرب فليكن مذاكرتك الغزل، فإنهم يأنسون إلى ذلك، وإذا جلست إلى خاصتك فاذاكر الحكمة" (٢). وهكذا فلمجالس الشرب - المنادمات - نديما يختلفون عن المجالس في مجالس الحكمة، كما أن أرسططاليس يعتبر خاصة الإسكندر هم الفلاسفة أهل الحكمة، وهؤلاء هم جلساؤه المحدثون، أما نديماؤه في مجالس الشرب فجعلهم في طبقة أخرى لعلها أدنى من طبقة المحدثين لأننا نرى أن أرسططاليس يحثه على

١- الحيوان ٧ : ١١٣، وراجع عيون الأخبار ١ : ٩٨ .

٢- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢ : ٧٠٦، وراجع صوان الحكمة

أن يشغل نفسه بلذة مجالسة العلماء ومحدثهم^(١).

وقلّد أباطرة الرومان ملوك الفرس في مجالسهم فاتخذوا الندماء وقربوهم
وجمعوا حولهم رجالا يشاركونهم طعامهم وشرابهم ، ويرافقونهم عندما يخرجون
إلى الصيد ، وقد سموا أصدقاء الإمبراطور^(٢).

وقلّد ملوك البيزنطيين أكاسرة فارس في رسم لباس خاص بكل طبقة من
طبقات الرعية . وقلّدهم أشرف الدولة الذين حولوا قصورهم إلى صورة مصغرة
عن البلاط الإمبراطوري ، فضمّوا إليهم رجال الدين والأدب والشعر^(٣).

ولعناية الإمبراطور قسطنطين السابع (٩١٣ - ٩٥٩ م) بحياة البلاط والحاشية
ترك كتابا تحدث فيه عن الرسم المتبعة في البلاط تناول فيه تصرفات الحاشية
وما تخضع له من تقاليد ورسوم^(٤).

١- جاويدان خرد ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

٢- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ٢٤٤ .

٣- Byzantine Civilization P. 193 .

٤- Byzantium, Greatness and Decline P. 279 .

وسيطر العبث على حياة الإمبراطور قسطنطين الثامن (١٠٢٥ - ١٠٢٨ م) فاخترت لاعبي النرد والشطرنج وقربهم ، وانصرف إلى مجالس اللعب بحيث أهمل أمور حكمه ، ويروى أنه كان عديم الاكتراث بالسفراء والرسل الذين يقفون ببابه عندما يمارس اللعب. (١)

وقد اتصل بعض العرب من شعراء وسواهم بالبلاط البيزنطي فامرؤ القيس (ت نحو ٥٤٥ م) يفخر بمنادمة قيصر الروم قائلا :

”وَنَادُمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَ“ (٢)

كما أن قس بن ساعدة (ت نحو ٦٠٠ م) جالس القيصر وحاده. (٣)

وهكذا فقد شهدت بلاطات الأم القريية من الجزيرة العربية جلساء وندما عديدين ، ونستطيع القول إن بعض تقاليدھا قد انتقل إلى الجزيرة العربية من خلال وفود العرب التي كانت ترتاد بلاطي الفرس والروم ، أو بلاط السانارة الذين كانوا أتباعا للفرس ، والغساسنة الذين كانوا أتباعا للروم .

١- Fourteen Byzantine Rulers. P. 58

٢- ديوان امريء القيس ص ٨٨ . وراجع ”قطب السرور في أوصاف الخمر ص ٢٨٥ .

٣- راجع قطب السرور ٣٢٥ ، ٣٨٥ حيث يورد لهما حديثا عن الشراب وأوقاته .

في العصر الجاهلي:

١- في بلاطي المناذرة والغساسنة:

تأثر بلاط المناذرة ببلاط ملوك الفرس لارتباطهما سياسيا وحضاريا، فشهد بلاط الحيرة مناديات يمكن أن تكون صدى لما كان يحدث عند الفرس. وكان جذيمة الأبرش (؟ - ٢٦٨ م) لتيهه وذهابه بنفسه لا ينادم إلا الفرقدن^(١)، ولكن لما جاء مالك وعقيل^(٢) بابن أخته عمرو بن عدي (٢٦٨ - ٢٨٨ م)^(٣)، احتكم

١- الفرقدان : نجمان في السماء لا يغريان ، ولكنهما يطوفان بالجدي . وقيل هما كوكبان قريبان من القطب . أنظر اللسان : مادة فرقد .

٢- مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك بن كعب من بني القين من أسد بن وبرة تغلب من قضاة، كانا من خاصة جذيمة الأبرش الأزدي ملك العراق، نادماه أربعين سنة، وقيل إنهما لم يعيدا عليه فيها حديثا . يضرب بهما المثل في طول الصحبة، قال أبو خراش الهذلي :

"أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلُنَا خَلِيلَا صَفَاءَ : مَالِكُ وَعَقِيلُ؟"

وقال متم بن نويرة في رثاء أخيه :

"وَكُنَّا كَذَمَانِيَّ جَذِيمَةَ حَقْبَةٍ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قَبِيلٍ لَنْ يَتَصَدَّعَا"

راجع ترجمتهما في الأعلام ٦ : ١٤١ ، حيث تذكر مصادرها .

٣- عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي أول من ملك العراق من بني لخم في الجاهلية . تولى بعد مقتل خاله جذيمة، وانتقم له من قاتلته الزبأ . وكانت إقامته في الحيرة، وهو أول من اتخذها منزلا من ملوك العرب، ومات فيها . راجع ترجمته في الأعلام ٥ : ٢٥٣ حيث يذكر مصادره .

لهما ، فطلبا منادته ، فنادماه أربعين سنة ، يشاركانه شرابه ويحدثانه^(١) .

وورد في الأخبار أن عمرو بن هند (٥٦٣ — ٥٧٨ م) قرب شعراء عديدين ،
فالمثقب العبدى (تنحو ٥٨٨ م) مدحه ونادمه^(٢) . كما اتصل به الحارث
بن حلزة (تنحو ٥٧٠ م) الذي ألقى معلقته أمامه ومطلعها :

”أَدْنَتْنا بِبَيْنِها أَسْمَاءُ رَبِّ نَاوِ يَمْلُ مِنْهُ الثَّوَاءُ“^(٣)

كما وفد عليه ونادمه عمرو بن قميئة^(٤) (تنحو ٥٤٠ م) والمتلمس^(٥) (تنحو
٥٦٩ م) ، وطرفة بن العبد الذي كان يفضل على عمرو بن كلثوم (تنحو ٥٨٤ م)

١- الأغاني ١٥ : ٣١٢ ، وعيون الأخبار ١ : ٢٧٤ ، ونهاية الأرب ١٥ : ٣١٧ .
ويلاحظ أن نديمي جذيمة كانا متصافيين وأن صفاءهما استمر بعد منادمة
جذيمة .

٢- الشعر والشعراء (تحقيق السقا) ص ١٤٧ .

٣- المصدر السابق ص ٥٣ ، والأغاني ١١ : ٤٢ — ٤٣ .

٤- الأغاني ١٨ : ١٤٠ .

٥- الشعر والشعراء ص ٥٢ ، ومعجم الشعراء (تحقيق فراج) ص ٦ .

ويروى أنه هجا عمرو بن هند فأرسل إلى عامله في البحرين فقتله^(١) . وناداه عمرو بن كلثوم الذي قتله وقال معلقته التي يتحدث فيها عن فتكه به^(٢) .

وقام ملوك المناذرة بالبحث عن الجلساء والمحدثين ، فالمنذر (٥٨٢ - ٥٨٥ م) كان يستدعي رواية من فارس يسردون عليه سير الملوك وتواريخهم^(٣) ، وهذا ما ساعده على الاطلاع على حياتهم وما رافقها من مجالسات ومناديات . وشغف المناذرة بمحادثة الرجال ومناذمتهم ، وتحدث حرقه بنت النعمان عن لذة أبيها فتقول : " إدمان الشراب ومحادثة الرجال " ^(٤) . وقد شهد بلاط النعمان بن المنذر (٥٨٥ - ٦٠٣ م) وفود رجال العرب ، فجالسه خالد بن جعفر بن كلاب (ت ٥٩٥ م) وناداه ، كما اضطر إلى مناداة بعض الشجعان ليأمن غاراتهم أمثال سعد بن صخرة الأسدي^(٥) . ويعتبر النابغة الذبياني (ت نحو ٦٠٤ م)

١- الموشح (تحقيق البجاوي) ص ١١٠ - ١١١ ، والشعر والشعراء ص ٤٩ .

٢- الأغاني ١١ : ٥٣ - ٥٤ ، ومعجم الشعراء ص ٧ .

٣- الترجمة والنقل عن الفارسية ١ : ٢٤٥ .

٤- الموشى ص ١٧ ، والعقد الفريد ٦ : ٢٢١ .

٥- المستطرف في كل مستطرف ج ١ : ٥٨ - ٥٩ .

أشهر الشعراء المتصلين به، وكان : " يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجده" ^(١) . وقرب النعمان علقمة بن عبدة الفحل (ت نحو ٦٠٣ م) ونادمه ^(٢) . واتصل به أيضا المنخل اليشكري (ت نحو ٦٠٣ م) ونادمه ولكن النعمان اتهمه بامراته المتجذدة وقتله عندما وجده عندها ^(٣) .

وتأثر بلاط الغساسنة بالحضارة البيزنطية ، ولكن جوارهم للمناذرة ، وتقل بعض الجلوساء والندماء بين البلاطين أسهما في نقل بعض رسوم البلاطيين أحدهما إلى الآخر .

ونادم علقمة بن عبدة الحارث الأصغر الغساني ، ومدحه بقصيدة سأله فيها أن يطلق سراح أخيه الذي أسره ^(٤) . كما نادى النابغة الذبياني عمرو بن الحارث الأصغر ، وأخاه الحارث ومدحهما ^(٥) .

١- الأغاني ١١ : ٢٩ .

٢- بروكلمان . تاريخ الأدب العربي ١ : ٩٦ - ٩٧ .

٣- المصدر السابق ٢١ : ٢-١ .

٤- تاريخ الأدب العربي ١ : ٩٦ - ٩٧ .

٥- الأغاني ١١ : ١٦ .

ويعتبر حسان بن ثابت من أشهر الشعراء الذين نادموهم^(١)، وقد تحدث
عن منادمتهم عندما أنشد:

"لِلَّهِ دَرَّ عَصَابَةٌ نَادَتْهُمْ
يَوْمًا بِجِلْقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادَ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ
قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ"^(٢)

وقد تمكن عند جيلة بن الأيهم (٦٣٨ - ٦٤١ م) آخر ملوكهم، فكان ينشده
ويسامره ويناديه، وقال له جيلة مرة: "إن حب المدامة استحوذ عليّ فبئسها
إليّ فصنع ارتجالاً:

"وَلَوْلَا ثَلَاثُ هَنٍّ فِي الْكَاسِ لَمْ يَكُنْ
لَهَا نَزَقٌ مِثْلُ الْجَنُونِ وَمُضْرَعٌ
لَهَا ثَمَنٌ مِنْ شَارِبٍ حِينَ يَشْرَبُ
وَعَيٌّ وَإِنَّ الْعَقْلَ يَنَآيُ وَيَذْهَبُ"

فقال حرمتني لذتها، فحببها إليّ، فارتجل قائلاً:

"وَلَوْلَا ثَلَاثُ هَنٍّ فِي الْكَاسِ أَصْبَحَتْ
أَمَانِيهَا وَالنَّفْسُ يَظْهَرُ طِيْهُهَا
مِنْ أَكْبَرِ شَيْءٍ يُسْتَفَادُ وَيُجْلَبُ
عَلَى حُزْنِهَا وَالْهَمُّ يَنَآيُ وَيَذْهَبُ"

١- حسان بن ثابت والناطقة الذبياني من الشعراء الذين اتصلوا باللخمين
والغساسنة، وراجع الأغاني ١١: ٢٧ حيث يتحدث عن منادة حسان للنعمان
ابن المنذر اللخمي.

٢- ديوان حسان بن ثابت ص ١٧٩.

فأمر له جيلة بجائزة وحلة من حلله^(١).

بد في الجزيرة

يصف حسان بن ثابت شغفه بمحادثة الندماء فيقول :

أَهْوَى حَدِيثَ النَّدَمَانِ فِي هَلَقِ الصَّبِّ حِ وَصَوْتَ الْمَسَامِرِ الْغَرْدِ^(٢)

وقد تنادم حسان والأعشى (ت نحو ٦٢٩ م) عند خمار فاتهمه الأعشى بالبخل فاشتري حسان الخمر وسكبها على الأرض^(٣) .

وقد عرف عن الأعشى اتصاله ببني عبد المدان في نجران ومناذمتهم ، فكان يفد عليهم في كل سنة ويمدحهم ويقيم عندهم^(٤) . وشعره حافل بتصوير مجالس الشرب والندماء ، وقد تحدث عن ندمائه فقال :

"وَلَقَدْ أَغْدُو عَلَى نَدَمَانِهِمَا وَغَسَا عِنْدِي عَلَيْهَا وَاصْطَبَحُ

١- بدائع البداية (مطبوع على هامش معاهد التصيير) • ج ١ : ٢٥٧ - ٢٥٨ •

٢- ديوان حسان بن ثابت ص ٦٧ •

٣- الأغاني ٤ : ١٦٧ - ١٦٨ •

٤- المصدر السابق ١٢ : ٣ - ٤ •

... في شباب كمصابيح الدجس ظاهر النعمة فيهم والفرح
رجح الأحلام في مجلهم كلما كلب من الناس نبسج
لا يشحون على المال وما عودوا في الحي تضرار اللقح^(١)

وهكذا فإن الأعشى يعتز بندمائه ويصفهم بمصابيح الدجى رفعة ، ويتحدث عن رجاحة أحلامهم في مقابل سفاهة الآخرين بويئعتهم بالكرم . وموقفه من ندمائه شبيه بموقف طرفة بن العبد حين يقول معتزاً :

"نداماي بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين برد ومجسد"^(٢)

في العصر الإسلامي^(٣)

حلت المجالسة مكان العنادمة أيام العصر الإسلامي بسبب تحريم الشرب

١- ديوان الأعشى ص ٢٧٩ . وقد كان ندماء الأعشى بعد موته يجتمعون عند قبره فيجعلونه مجلس رجل منهم فينادونه . راجع ذلك في الأغاني ٩ : ١٢٦ . واللقح جمع لقحة ، وهي الناقة الحلوب ، الغزيرة اللبن . (اللسان مادة لقح) . وصر الناقة شد ضرعها بالصرار حتى لا يرضعها ولدها . أي أنهم لا يصرون إيلهم بخلا بالبائها . اللسان مادة صر .

٢- ديوان طرفة بن العبد ص ٤٧ . والبرد : ثوب فيه خطوطه وخص بعضهم به الوشي . اللسان : مادة برد . والمجسد هو الثوب المشبع عصفرا أو زعفرانا ، وقيل المجسد هو الأحمر . انظر اللسان مادة : جسد .

٣- نقصد بهذه التسمية عصر الرسول (ص) وعصر الخلفاء الراشدين .

شرعا . ولم يرد عن الرسول (ص) استعمال لفظتي "المنادمة والنديم" ، وإنما روي عنه استعمال لفظتي "المجالسة والجليس" ، فهو يقول : "كونوا علماء صالحين ، فإن لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء" .^(١) ويرى "أن العلم هو الجلوس في الوحدة وهو المعين على مجالسة الملوك في الدنيا" .^(٢)

وجلساء الرسول (ص) كانوا من الصحابة الأخيار وكان بينهم شعراؤه الأنصاريون الثلاثة وهم : كعب بن مالك (ت ٥ هـ) وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة (ت ٨ هـ) الذين تعرّضوا لشعراء قريش .^(٣)

ويعتبر حسان بن ثابت شاعره الأول ، وكان عندما يأمره بالرد على شعراء قريش يقول له : "يا حسان ، أجب عن رسول الله" ، ويضيف الرسول قائلا : "اللهم آيده

١- أدب الدنيا والدين ص ٣٣ - ٣٤ .

٢- المستطرف ١ : ٢٣ . والمصادر التي تتحدث عن خلطاء الخلفاء الراشدين ومعاشريهم تتعنتهم بالجلساء ، فقد جاء في : "الفخري في الآداب السلطانية ص ٧٥" : أن عمر ابن الخطاب قال لجلسائه : "تذكرون"

٣- الأغاني ٤ : ١٣٧ - ١٣٨ .

بروح القدس".^(١) وكان الرسول (ص) يحب أن يسمع أهاجيه في قريش، ويروى أن "النبي (ص) قال ليلة وهو في سفر: "أين حسان بن ثابت؟"؛ فقال حسان: "لبّيك يا رسول الله وسعديك"؛ قال: "أحد"؛ فجعل ينشد ويصغي إليه النبي ويستمع، فما زال يستمع إليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يمسّ الورك حتى فرغ من نشيده، فقال النبي: "لهذا أشد عليهم من وقع النبل".^(٢)

وتعلّق الرسول (ص) بأبي بكر الصديق (١١ - ١٣ هـ) ولشدة ارتباطه به قال: "لو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر".^(٣) وكان الرسول (ص)

١- أنظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب الشعر في المسجد.

٢- أنظر الأغاني ٤: ١٤٣، وراجع سنن النسائي: كتاب المناسك: ١٢١، حيث يروي الحديث التالي: "عن أنس قال: "دخل النبي (ص) مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه يقول:

خَلُّوا بَنِي الْكَفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيَذْهَبُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال عمر: "يا ابن رواحة، في حرم الله، وبين يدي رسول الله (ص) تقول هذا الشعر! فقال النبي (ص): "خلّ عنه، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل".

٣- طبقات ابن سعد ج ٣: القسم الأول: ص ١٢٤. وانظر المصدر السابق ج ٢، قسم ٢ ص ٢٤ حيث يروى عن الرسول (ص) قوله: "لكل نبي صاحب وصاحب النبي (ص) أبو بكر".

يسمر معه حيث يتداولان أمور المسلمين^(١) .

وقام خلطاء الخلفاء الراشدين بدور الجلساء والوزراء ، فأبو بكر الصديق كان يستشير من الصحابة الذين كانوا يفتون في أيامه وهم : عمر بن الخطاب (١٣) - (٢٣هـ) وعبد الرحمن بن عوف (ت ٣٢هـ) وزيد بن ثابت (ت ٤٥هـ) ومعاذ بن جبل (ت ١٨هـ) وأبي بن كعب (ت ٢١هـ)^(٢) كما كان يجالسه ويكتب له عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥هـ) وزيد بن ثابت^(٣) .

وكان القراء أصحاب مجالس عمر بن الخطاب ومشورته^(٤) . وكان يستدعي بعض من يشرح ما يشكل على جلسائه ، فعندما اختلف في : أيهما أطيب ، العنب أم الرطب ؟ أرسل إلى أبي حنيفة الذي فضل الرطب^(٥) . كما أنه كان يطلب موعظة رجال الصحابة أمثال أبي ذر الغفاري^(٦) (ت ٣٢هـ) .

-
- ١- راجع صحيح الترمذي : كتاب الصلاة ؛ باب ما جاء من الرخصة في السمر بعد العشاء .
 - ٢- السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية ص ٤٣٥ .
 - ٣- الوزراء والكتاب ص ١٥ .
 - ٤- فتح الباري في شرح صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن ؛ باب سورة الأعراف .
 - ٥- أمالي القالي ٢ ، ٥٨ .
 - ٦- أدب الدنيا والدين ص ١٠٩ .

وقد لاحق عمر الندماء شاربى الخمر، ورفع حدهم إلى ثمانين جلدة^(١) ،
وإذا كان قد حدث بعض المنادات فبعيدا عن عينه ودون علمه . وقد قال
أحد الذين استعملهم على ميسان :

فَلِنْ كُتَّ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أُسْقِنِي وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَهَمِّ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْـُوءُ هُ تَادُنَا فِي الْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ^(٢)

وقد اختص علي بن أبي طالب عبد الله بن العباس (ت ٦٨ هـ) فكان جلسيه
ومستشاره^(٣) ، وكان عبد الله بن عباس يقول : " أعز الناس علي جلسي الذي يتخطى
الناس إلي ، أما والله إن الذباب يقع عليه فيشق علي^(٤) . وكان قد قرب أحد
الجلساء فدخل عليه يوما فأقعدته معه على السرير ، وأقعد رجالا من قریش تحته ،
فراى سوء نظرهم إليه وحموضة وجوههم ، فقال : " ما لكم تنظرون إلي نظر الشحيح

١- الأحكام السلطانية ص ٢١٦ حيث ورد : " كان حد شارب الخمر أربعين جلدة ،
إلى أن رأى عمر تهافت الناس فيه ، فشاور الصحابة فيه ، فقال علي بن أبي طالب : أرى
أن تحده ثمانين " ، فجلد فيه عمر بقية أيامه والأئمة من بعد ثمانين " .
٢- لسان العرب : مادة (ندم) .

٣- المحاسن والمساوى ص ٣٩٧ - ٣٩٩ .

٤- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذهن والهاجس ١ : ٤٥ .

إلى الغريم المفلس» (١)

وهكذا اختفت صورة المنادمة بمعناها الشائع في عصر الرسول وخلفائه لغلبة الروح الدينية التي صقلت النفوس وهذبتها ، فجالس الرسول (ص) كانت مخصصة لبحث ما يهم الإسلام والمسلمين ، وأحاديثه كانت تتناول كل ما يسهم في ترسيخ هذا الدين . وأصحاب الرسول (ص) إذا قعدوا يتحدثون "كان حديثهم الفقه ، إلا أن يأمرؤا رجلاً فيقرأ عليهم سورة أو يقرأ رجل سورة من القرآن" (٢) .

وبهذا كانت تلك المجالس تختلف عن مجالس الملوك السابقين عرباً وغير عرب ، فبعد أن كان الشراب مادة مجالس الملوك وذوي السلطان أصبحت الأحاديث مادة مجالس العصر الإسلامي ، واختفى الشراب منها ، ويمكن أن نضيف أن مجالس العصر الإسلامي التي خلت من تعقيدات بلاط الملوك وأصبحت البساطة هي الصفة

١- المستطرف ١: ٢٩ . ويلاحظ من هذا الخبر أن الجلوس أصبحوا يتفاضلون حسب الصفات المثالية التي يمتلكونها ولم تعد أرستقراطية الحسب والنسب مقياس رفعة الجلوس وتقدمه . وهذا واضح من تعليق صاحب المستطرف على الخبر حيث يقول : "هكذا الأدب يشرف الصغير على الكبير ، ويرفع المملوك على المولى ، ويقعد العبد على الأسرة" .

٢- طبقات ابن سعد ج ١٢ ، قسم ٢ ، ص ١٢٥ .

المميّزة لها ، خضعت لمجموعة الآداب والقيم الروحية التي جاء بها الإسلام .

وإذا أردنا أن نصف هذا العصر فإننا نستطيع تسميته عصر الجلساء المحدثين .

في العصر الأموي

أدى اختلاط العرب بسكان البلاد المفتوحة إلى اكتساب عادات وتقاليد متأثرة بحضارتي بيزنطة وفارس ، وإذا أضفنا إلى ذلك اتصال العرب قبل الإسلام بدولتي المناذرة والغساسنة ، نرى أن المؤثرات الحضارية الفارسية والبيزنطية تسربت إلى البلاط الأموي الذي أصبح بلاط حكام أرسوا أول حكم وراثي في الإسلام ، وهذا ما دفعهم إلى محاولة تقليد ملوك الأمم الأخرى .

ولم يشهد بلاط معاوية بن أبي سفيان سوى جلساء لا يشربون الخمر أمثال صوصة بن صوحان (ت نحو ٦٠ هـ) والسائب بن بشر الكلبي الذي كان يسأله عن أخبار العرب^(١) والاحنف بن قيس (ت ٧٢ هـ) الذي كان يجلسه على سريره^(٢).

١- العقد الفريد ٣، ٣٣٢ .

٢- تنبيه الملوك والمكائد المنسوب للجاحظ (مخطوط مصور) ق ١٢٥ .

ويمكن تعليل اختفاء نديم الشراب من بلاطه لاتصاله بالرسول (ص) لأنه كان أحد كتابه وأصحابه^(١).

ومع هذا فإننا نرى معاوية قد فتح الباب أمام اتصال المغنين بالخلفاء لأنه لم ينكر استماع ابنه يزيد لغناء نافع الخير^(٢). كما يروي أبو الفرج الأصفهاني أنه استمع لغناء سائب خاثر^(٣) (ت ٦٣ هـ) عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (ت ٨٠ هـ) في المدينة^(٤).

١- ومن الأدلة على معاداة معاوية لشاربي الخمر قوله لابن أبي محجن، وقد حاول أن ينال منه ويضعه: "أنت الذي أوصاك أبوك بقوله: "إِذَا مِتَّ فَأَدْفِنْنِي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ تَرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرْوَهَا" فقال له: بل أنا الذي يقول أبي: "لَا تَسْأَلْ مَا لِي وَكَثَرْتُ" وسائل الناس ما جودي وما خلقي" فقال له معاوية: "أحسن والله يا ابن أبي محجن"، وأمر له بصلة. راجع ذلك في المستطرف ١: ٧٢.

٢- الأغاني ٨: ١٤٢ - ١٤٣.

٣- سائب بن يسار الليثي بالولاء، أبو جعفر، أحد أئمة الغناء والتلحين عند العرب، فارسي الأصل، كان أبو مولى لبني ليث واعتقوه، ونشأ سائب في المدينة فاحترف التجارة وأثرى، وكان حسن الصوت حلوا المعشر. وقيل: "هو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به". وهو أستاذ معبد المغني المشهور وابن سريج وعزة الميلاء وآخرين. وقيل في سبب تسميته "سائب خاثر": "إنه غنى صوتا ثقيلا، أي غير محذوق، فلصق به لقبا. قتل عندما قدم جيش يزيد بن معاوية إلى المدينة في وقعة الحرة. راجع ترجمته في الاعلام ٣: ١١١. حيث يذكر مصادره.

٤- الأغاني ٨: ٣٢٤.

وكان اتصال دغفل الخزاعي النسابة (ت ٦٥ هـ) ببزید بن معاوية (٦٠ - ٦٤ هـ) مؤدبا قد مكّنه من مجالسته عندما تولى الخلافة ، كما أن علاقة بن كرم الكلابي^(١) - وكان من أصحاب الأخبار والأنساب - قد دخل في سماره وجلسائه^(٢) . وقد نادى بزيّد الأخطل (ت ٩٠ هـ) ومولاه سرجون النصراني ، وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر فيقيم عنده ، فيخلع عليه ويصله وقد غناه يوما :

" يا للرجال لمظلوم بضاعته
بيطن مكة نائي الأهل والنفر "

فاعترته أريحية ، فرقص حتى سقط ، ثم قال : " اخلعوا عليه خلعا يغيب فيها حتى لا يرى منه شيء " ، فطرحته عليه الثياب والجباب والمطارف^(٣) والخز حتى غاب فيها^(٤) .

١- علاقة بن كرم الكلابي - ورد اسم أبيه في الفهرست ١ : ٩٠ "كرم" - هو أحد بني عامر بن كلاب ، عاصر يزيد بن معاوية واتصل به ، وله علم بالأنساب والأخبار وأحاديث العرب القديمة ، وقد أخذ عنه من ذلك شيء كثير . مات ولم يعلم تاريخ وفاته . وله كتاب " الامثال " . راجع ترجمته في معجم الأدباء ١٢ : ١٩٠ ، وانظر الفهرست ١ : ٨٩ - ٩٠ .

٢- معجم الأدباء ١٢ : ١٩٠ .

٣- الجباب جمع جبة : ضرب من الثياب . راجع اللسان مادة جيب . والمطارف جمع مطرف وهو رداء من خز له أعلام . اللسان مادة طرف .

٤- الأغاني ١٧ : ٣٠٠ - ٣٠١ ، وراجع المحاسن والمساوي ٢٨٦ - ٢٨٧ حيث يتحدث عن منادمة يزيد للأخطل .

وكان مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥ هـ) يقرب أرتاة بن سهية^(١) وقد دخل عليه لما اجتمع له أمر الخلافة وفرغ من الحروب التي كان متشغلا بها ، فهناه ، وكان خاصا به ، فأنشده مادحا :

تَشْكِي قَلُوصِي إِلَيَّ الْوَجَى تَجَرُّ السَّرِجَ وَتُبْلِي الْخِدَامَا
تَزُورُ كَرِيمًا لَهُ عُنْدُهَا يَدٌ لَا تَعُدُّ وَتَهْدِي السَّلَامَا^(٢)
فكساه مروان وأمر له بصلة^(٣) .

كما كان مروان يقرب أبا خالد حكيم بن حزام^(٤) (ت ٥٤ هـ) الذي دخل عليه يوما فحال له عن صدر المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة ، ثم طلب منه مروان أن يحدثه عن غزوة بدر^(٥) .

١- أرتاة بن زفر بن عبد الله بن مالك بن شداد . . بن سعد بن ذبيان . وسهية أمه .

وهو شاعر فصيح في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أمية .
وكان أمرا صدق شريفا في قومه ، جوادا . له أخبار مع معاوية ومروان بن الحكم وابنه عبد

الملك . راجع الأغاني ١٣ : ٢٦ - ٣١ .

٢- القلوص : الناقة الشابة . اللسان : مادة قلص . الوجى : الحفا . اللسان مادة وجا .

السرج : الذي تشد به الخدمة فوق الرسغ . اللسان مادة سرح . الخدام جمع خدمة

وهي السير الغليظ المحكم يشد في رسغ البعير ثم يشد إليها سرائع نعلها . اللسان

مادة خدم .

٣- الأغاني ١٣ : ٣١ - ٣٢ .

٤- حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، صاحب قرشي هو ابن أخي خديجة أم المؤمنين . ولد بمكة في الكعبة ، وكان صديقا للنبي (ص) قبل البعث فبعد ها فوعمر طويلا . كان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام وكان عالما بالنسب . وقد أسلم يوم الفتح فوفيه

...

وارتاد مجلس عبد الملك بن مروان شعراء عديدون ، ولكنه اختص منهم الأخطل الذي كان يدخل عليه ثملا ، حتى أنه أنشده مرة :

"إذا ما نديي عَليّ ثم عَليّ ثلاث زجاجاتٍ لهُنَّ هديرُ
دخلتُ أجراً الطرفَ زهُواً كأنني عليك أمير المؤمنين أمير^(١)

وعبد الملك الذي أبدى عدم رضاه عن هذه الأبيات لم يعترض عليها لأنها قيلت في الخمر وفي النديم ، ولكن بسبب قول الأخطل : "عليك أمير المؤمنين أمير" وهكذا أصبح شعر الخمر الذي يتحدث عن النديم والمناذرات يسمع في مجالس الخليفة .

ويعتبر عامر الشعبي الذي حمل إليه على دواب البريد وأجرى له رزقا شهريا أشهر جلسائه ومحدثيه ، ويروى أن عبد الملك كتب إلى الحجاج^(ت ٩٥هـ) "إنه ليس شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ، ولم يكن عندي شيء ، الذء إلا مناقلة الإخوان للحديث ،

٤- الحديث يومئذ ، "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن خزام فهو آمن" . وتوفي في المدينة . راجع ترجمته في الأعلام ٢ : ٢٩٨ حيث يذكر مصادره .

٥- الأغاني ٤ : ١٨٦-١٨٧ .

١- ديوان الأخطل ص ١٥٤ .

وقبلك عامر الشعبي فابعث به إليّ يحدثني".^(١) ولما دخل على عبد الملك وجد الأخطل عنده ، وكان لا يعرفه ، ودار حوار بين الثلاثة حول أشعر الشعراء ، وتداولوا شعرا للقطامي (ت ١٣٠ هـ) والخنساء (٦٤٥ م) ، وتمكن عنده الشعبي حتى أصبح أول داخل وآخر خارج " وبقي كذلك سنين وجعله في ألفين من العطاء ، ثم بعثه إلى أخيه عبد العزيز بن مروان (ت ٨٥ هـ) بمصر وكتب إليه : " يا أخي إني قد بعثت إليك الشعبي ، فانظر هل رأيت مثله قط ؟ " ^(٢) . ولم يخل بلاط عبد الملك من المضحكين أمثال عطاء ^(٣) ، كذلك لم يخل بلاطه من المغنين إذ استمع لغناء ابن مسحج واهترّ طربا لذلك ^(٤) .

وكان عبد الملك مشغولا بالشعر وروايته لكونه ذا ملكة نقدية مكنته أن يصدر أحكاما على ما يدور في مجلسه منه ، وكثيرا ما كان يطلب من جلسائه أن يتخبروا بعض الأبيات المشهورة للمناظرة ، وكان يعطي حكمه فيها ، ويروى أنه : " كان فسي

١- الأغاني ١١ : ٢١ . وراجع وفيات الأعيان ٣ : ١٣-١٤ .

٢- الأغاني ١١ : ٢٢-٢٦ .

٣- أنظر العقد الفريد ٤ : ٣١ .

٤- أنظر الأغاني ٣ : ٢٨٢-٢٨٤ .

سمره مع أهل بيته وخاصة ، فقال لهم : "ثيقل كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر ، وليفضل من رأى تفضيله ، فأنشدوا ، وفضلوا ، فقال بعضهم : "امرؤ القيس" ، وقال بعضهم : "الأعشى" ، فلما فرغوا قال : "أشعر الناس والله من هؤلاء" الذي يقول ، وأنشد لمعن بن أوس (ت ٦٤ هـ) :

"وَذِي رَحِمٍ قَلَمَتْ أَظْفَارَ ضُغْنِهِ
بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ" (١)

والمناظرات الشعرية بين الشعراء كانت متعة عبد الملك ، وقد كانت سبب ارتباط الشعراء بالبلاط على نطاق واسع ، إذ نلاحظ أن البارزين من شعراء العصر بدأوا يتقربون منه ويتنافسون بين يديه لإظهار قدرتهم الشعرية وتفوقهم . وكان عبد الملك يقف منهم موقف الحكم . وعندما اجتمع جرير (ت ١١٠ هـ) مع الفرزدق (ت ١١٠ هـ) في مجلس عبد الملك ، قال الفرزدق : "النوار بنت مجاشع طالق إن لم أقل بيتا لا يستطيع ابن المراغة" (٢) أن ينقضه أبدا ، ولا يجد في الزيادة عليه مذهبا . فقال عبد الملك : "ما هو ؟" ، فقال :

١- زهر الآداب ٢ : ٨١٧ - ٨١٨ ، وانظر الأمالي ٢ : ١٠١ - ١٠٣ .

٢- يقصد جريرا . والمراغة هي الأتان . انظر اللسان مادة مرغ .

"فإني أنا الموت الذي هو واقع بنفسك ، فأنظر كيف أنت مزاوله
وما أحد يا ابن الأتار بوائيل من الموت إن الموت لا شك نائله"
فأطرق جرير قليلاً ثم قال : "أم حرزة طالق منه ثلاثاً ، إن لم أكن نقضته وزدت
عليه" ، فقال عبد الملك : "هات ، فقد والله طلق أحكما لا محالة ، فأنشد :
"أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكفك يا ابن القين هل أنت نائله
أنا الدهر يغنى الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله"
فقال عبد الملك : "فضلك والله يا أبا فراس ، وطلق عليك" . (١)

وكان عبد الملك مرهف الذوق سريع الانفعال لما قد يصدر عن الشاعر من
الفاظ تخرج عن حدود اللياقة ، وعندما أوفد الحجاج جريراً إليه وحضر بين
يديه ، استأذنه بالإشادة ، فأذن له فقال :

"أَتَصْحَوْبِلُ فَوَادُكَ غَيْرَ صَاحِبِي

قال له عبد الملك : "بل فوادك" ، فلما انتهى إلى قوله :

"أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونُ رَاحٍ"

١- بدائع البداية ١ : ١٧-١٨ . وانظر ذيل الأمالي ص ٦٦-٦٧ ، حيث وردت منظره
في مجلس عبد الملك حضرها عمر بن أبي ربيعة (ت ٩٣ هـ) وكثير عزة (ت ١٠٥ هـ)
وجميل ابن معمر (ت ٨٢ هـ) .

ارتاح عبد الملك ، وكان متكئا ، فاستوى جالسا ، ثم قال : " من مدحنا منكم
فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت ... " (١) .

وكان يضع الجوائز للشعراء تشجيعا لهم على التجويد ، فعندما اجتمع
جرير والفرزدق والأخطل في مجلس عبد الملك أحضر بين يديه كيسا فيه
خمسمائة دينار ، وقال لهم : " ليقل كل منكم بيتا في مدح نفسه ، فأبكم غلب فله
الكيس ، فبدر الفرزدق فقال :

" أَنَا الْقَطِرَانُ وَالشَّعْرَاءُ جَرِي
وَفِي الْقَطِرَانِ لِلْجَرِي شِفَاءُ "

فقال الأخطل :

" فَإِنْ تَكُ زَقَ زَامِلَةً فَإِنِّي
أَنَا الطَّاعُونُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ "

فقال جرير :

" أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتِي عَلَيْكُمْ
فَلَيْسَ لَهَا رَبٌّ مَنِّي نَجَاءُ "

فقال : " خذ الكيس ، فلعمري إن الموت يأتي على كل شيء " (٢) .

١- العقد الفريد ٢ : ٨٣ - ٨٤ .

٢- بدائع البدائة ١ : ١٦ - ١٧ .

ولتعمقه في فهم الشعر كان يغيّر بعض كلام الشعراء ليستقيم ويصبح معبرا عن المعنى الأفضل ، وكان لا يستأثر بذلك دون جلسائه ، وإنما كان يعرضه عليهم للتناول والمناظرة (١) .

وتبع الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ) خطّة أبيه في تقريب الشعراء ، وكانت مجالسه شبيهة بمجالس والده حيث كانت المناظرات الشعرية تدور بين الشعراء كالمناظرة التي جرت بين عدي بن الرقاع العاملي (ت نحو ٩٥ هـ) وجريء والتي انتصر فيها الوليد لعدي بن الرقاع ومنع جريءا من هجائه بعدما رثى على إفحاش جريء بأقسي منه (٢) .

وارتاد بعض الوقاظ مجلسه وكانت بعض أحاديثهم تتناول نصائح وتحذيرا للخليفة ، فقد دخل أحدهم عليه فقال له : " ما حديث يحدثنا به أهل الشام ؟ " قال : " ما هو يا أمير المؤمنين ؟ " قال : " يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات ، ولم يكتب له السيئات " ، قال : " باطل يا أمير المؤمنين ، أنبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي ؟ " قال : " بل نبي خليفة " ، قال : " فإن

١- أنظر الفخري في الآداب السلطانية ص ٨٩ .

٢- بدائع البداة ١ ، ١٤ - ١٥ .

الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام : " يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب " (١) .
فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة ، فما ظنك بخليفة غير نبي ؟ " قال :
" إن الناس ليغفوننا عن ديننا " (٢) .

ويروي عن سليمان بن عبد الملك (٩٦ هـ — ٩٩ هـ) قوله : " ما أنا اليوم إلى شيء أحوج مني إلى جليس يضع عني مؤونة التحفظ فيما بيني وبينه " (٣) .
ولكننا لم نعثر على جليس اختص به على الرغم من أن ابن خلكان يروي عن عتيق بن عامر ابن عبد الله بن الزبير (٤) أنه كان نديمه (٥) .

١- سورة ص : ٢٦ .

٢- العقد الفرید : ١ ، ٧٠ — ٧١ .

٣- عيون الأخبار : ١ ، ٣٠٨ .

٤- عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير ، ذكر في " جمهرة نسب قريش وأخبارها " : ٢٢٩ ، حيث جاء أنه قتل وابنه عمر ، كما ذكره صاحب كتاب " نسب قريش " ص ٢٤٣ .
ويتحدث صاحب " جمهرة نسب قريش وأخبارها " ص ٢٢٠ عن والده عامر بن عبد الله ابن الزبير فيقول : " كان من العباد المنقطعين " . وكان يواصل الصيام ثلاث ليال .

٥- وفيات الأعيان ، ٢ ، ٤٢٤ — ٤٢٥ .

وقد اتصل به من الشعراء الفرزدق وجريز والأخطل وكانوا ينشدونه
ويسمرون عنده (١)

وقد رعى سليمان المغنين وشجعهم وأجاز بعضهم ، ويروى أنه جمعهم
عندما قدم المدينة ، وسبق بينهم ببدرة ، فاز بها ابن سريج (٢) (ت ١٨ هـ) .

ولم يختص عمر بن عبد العزيز (١٩-١٠١ هـ) جلساء معينين ، وبلاطه يذكرنا
ببساطة مجالس الرسول (ص) والخلفاء الراشدين ، ونظرتهم للجليل تذكرنا بنظرتهم ،
فقد قال عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (٣) (ت ١٨ هـ) : " لأن
يكون لي مجلس من عبيد الله أحب إلي من الدنيا " ، وأضاف : " والله لأشتري

١- العقد الفريد ٥ : ٣٨٤ .

٢- الأغاني ٧ : ٦٣ .

٣- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي مفتي المدينة وأحد الفقهاء
السبعة فيها ، من أعلام التابعين . وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز . ذهب بصره
ومات بالمدينة . كان ثقة عالما ، وله شعر جيد . راجع ترجمته في الأعلام ٤ :
٣٥ ، حيث يذكر مصادره .

ليلة من ليالي عبيد الله بألف دينار من بيت الله" ، فقال جلساؤه : " يا أمير المؤمنين ، تقول هذا مع تحريك وشدة تحفظك ؟ " قال : " أين يذهب بكم ؟ والله إنني لأعود برأيه ونصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف ، إن في المحادثة تلقيا للعقل وترويحاً للقلب ، وتسريحاً للهم وتنقيحاً للأدب " (١) .

ويمكن أن يكون اتصال حطّاد الراوية (٢) (ت ١٥٥ هـ) بيزيد بن عبد الملك العلاقة البارزة في مجالسات البلاط الأموي ، فهو أول جلس - أوند - من أصل غير عربي اتصل بالبلاط الأموي . ويمكن اعتباره أحد من أسهموا في انجراف البلاط الأموي في تيار العبث والاستهتار ، ويجوز أن يكون جفاً هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) له (٣) ، لما يعرفه عن حطّاد من ارتباطه بالمتمهين بالزندقة ، كحطّاد عجرد (ت ١٦١ هـ) ، ومطيع بن إياس (١٦٦ هـ) وحطّاد بن الزبرقان وغيرهم (٤) . وهكذا فإنه يظن أنه دفع الخليفة إلى الشرب (٥) .

-
- ١- وفيات الأعيان ٣ : ١١٥ ، وانظر العقد الفريد ٢ : ٢٣١ .
 - ٢- راجع ترجمته في الملحق الأول .
 - ٣- راجع معجم الأدباء ١٠ : ٢٥٨ .
 - ٤- أنظر الأغاني ١٤ : ٣٢٢ ، و ١٨ : ١٠١ .
 - ٥- يتحدث صاحب التاج ص ٣٠ عن يزيد بن عبد الملك فيقول : " وقد غلب عليه اللهو . . . وأذن للنديما " في الكلام والضحك والهزل في مجلسه والرد عليه وهو أول من شتم في وجهه من الخلفاء على جهة الهزل والسخف .

وكان يزيد بن عبد الملك متعلقا بالمغنين ، ويروى أنه قال لمعبد المغني (١)
(ت ١٢٦ هـ) : "إني أؤثر الطرب على كل شيء" (٢) .

ولم يرض هشام بن عبد الملك عن أعمال سلفه وتصرفاته في مجالسه ، فأعاد
الوقار إلى مجلسه ، ولم يظهر ندما الشراب عنده . ولذا فإننا أمام نوعين من
الجلساء في بلاطه هما الشعراء والمحدثون ، وقد أرق ليلة فقال لحاجبه :
" ابغني رجلا فصيحاً يحدثني وينشدني " فجيء بأبي النجم الراجز (٣) (١٣٠ هـ)
الذي أنشده وحديثه بما أضحكه ، ونال جائزته (٤) .

١- معبد بن وهب ، أبو عباد المدني ، نابغة الغناء العربي في العصر الأموي ،
كان مولى لبني مخزوم ، وتثا في المدينة يرعى الغنم لمواليه ، وربما اشتغل بالتجارة
ولما ظهر ببغوه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة ، ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها
وازتفع شأنه . كان أديباً فصيحاً ، وعاش طويلاً إلى أن انقطع صوته . ومات في
عسكر الوليد بن يزيد . وأصواته وأخباره كثيرة . راجع ترجمته في الأعلام ١٧٨ : ٨
حيث يذكر ترجمته .

٢- الأغاني : ٦٨ : ١ .

٣- أبو النجم ، الفضل بن قدامة العجالي ، من بني بكر بن وائل ، من أكابر الرجاز ، ومن
أحسن الناس إنشادا للشعر . نبغ في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس عبد
الملك بن مروان وابنه هشام . راجع ترجمته في الأعلام ٣٥٧ : ٥ حيث يذكر مصادره

٤- العقد الفريد ١ : ٣٦٧ - ٣٦٩ .

وقد اضطر هشام إلى استدعاء حماد الراوية ليسأله عن بيت شعر خطر له
لا يعرف قائله^(١)، ولكن مع هذا لم يحظ عنده، ولم يصبح جليسا ملازما له .
وقد اختص به خالد بن صفوان^(٢) (١٣٣ هـ) وجالسه .

ولكن الحلقة البارزة في مجالس العصر الأموي يمثلها بلاط الوليد بن يزيد
ابن عبد الملك صاحب نظرية : " لا تؤخر لذة اليم إلى غد " ^(٣) الذي جمع حوله
كل ما يساعد على تحقيق هذه النظرية .

فالوليد نادم أميرا وأمير المؤمنين - وقد افتتح عهده عندما تولى الخلافة بمجلس
ندام عقده عندما علم بموت سلفه هشام بن عبد الملك ، وقد صور ذلك المجلس
بقوله :

١- معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٠ - ٢٦١ .

٢- خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهمتم التميمي المنقري . من
فصحاء العرب الخطباء ، كان حافظا للأخبار وكل ما تعرف فيه أهل الأدب .
جالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك . ولد ونشأ في البصرة ، وله
كلمات سائرة ، ولفصاحته كان أقدر الناس على مدح شيء وذمه . كان يرمى
بالبخل ، وكف بصره . راجع ترجمته في الأعلام ٢ : ٣٣٨ حيث يذكر مصادره .

٣- المخلاة ص ١٥٦ .

طَابَ يَوْمِي وَلَدَ شَرِبَ السُّلَافَةَ إِذْ أَتَانِي نَعِيٌّ مِّنَ الرُّصَافَةِ
وَأَتَانَا الْبَرِيدُ يَنْعِي هِشَامًا وَأَتَانَا بِخَاتَمٍ لِلْخِلَافَةِ
فَاصْطَبَحْنَا مِنْ خَمْرِ عَانَةٍ صِرْفًا وَلَهُنَا بِقَيْنَةٍ عَزَافَةِ (١)

ولا نغفل تأثره بحياة والده يزيد بن عبد الملك ، ودور موديه عبد الصمد ابن عبد الأعلى (٢) في انغماسه في مجالس الشراب والمناذمة (٣) .

وقد تجاوزت علاقة حماد الراوية بالوليد بن يزيد علاقته بباقية من الأمويين ، فكان الوليد يستدعيه فيحمل إليه على دواب البريد ، لينشده أشعار الجاهليين ويناديه في مجالس الطرب والشرب (٤) .

١- الأغاني ٧ : ١٦-١٧ . وولع الوليد بن يزيد بالشراب جعله يستدعي شراعة بن الزند بود - وهو الخبير بأوصاف الخمر - ليتخذ نديما ومستشارا في اختيار الندماء . راجع ذلك في "العقد الفريد ٦ : ٢٣٦ ، ومرج الذهب ٣ : ٢٢٦ - ٢٢٧ .

٢- عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ، أديب شاعر ، كان معروفا بالشراب ويتمهم بالمجون ويرمى بالزندقة . كان مودب الوليد بن يزيد ونديمه ، واضطر أن يخرج من ندمائه لعدم رضى هشام بن عبد الملك عن ذلك . راجع ذلك في الأغاني ٧ : ٨-٩ ، ٢٧١ : ٨ .

٣- راجع المصدر السابق ٨ : ٢٧١ حيث يتمهم عبد الصمد بالمجون والزندقة وراجع ٧ : ٨-٩ حيث تجد موقف هشام بن عبد الملك من اتصاله بالوليد بن يزيد عندما كتب إليه منكرا علاقته به ، "بلغني أنك اتخذت عبد الصمد خدنا ومحدثا ونديما" ثم أمره بإخراجه من ندمائه .

٤- المصدر السابق ٢ : ٢٠٩ - ٢١١ : ٦ ، ٩١ : ٩٢ - ٩٤ : ٧ ، ٦٧ .

ومع هذا كانت لحماة الراوية منادياته الخاصة التي يقيمها بعيدا عن البلاط مع المتهمين بالزندقة - ومنهم مطيع بن إياس - الذين انضم إليهم والبة بن الحباب الذي قام بمناداة الغلمان المخنثين^(١) .

وتعلق الوليد بالجلساء المغنين فكانوا يحملون إليه ويشاركونه شرابه^(٢) كما حمل إليه أيضا الطفيلي أشعب^(٣) (ت ١٥٤ هـ) الذي يمكن اعتباره أبرز مضحك ظهر في البلاط الأموي ، وقد استمر يناديه حتى مقتله^(٤) .

١- السابق ١٣ : ٢٧٩ ، ١٤ : ٣٢٢ ، ١٨ : ١٠١ .

- ٢- السابق ٤ : ٤٠٠ - ٤٠١ ، ٦ : ٢٥ - ٢٦ ، ١٩ : ١٣٣ ، وراجع أيضا ٧ : ٨٨ حيث ترى تعلقه بالغناء والمغنين ، وقد كان يخاطب عمرا الوادي المغني به " يا جامع لذتي " . وراجع ٧ : ٦٠ حيث يروى عن الوليد غناء أحد الأصوات ، وبذلك يكون الخليفة الأموي الوحيد الذي روي عنه ذلك .
- ٣- أشعب بن جبير ، المعروف بالطامع ، يقال له ابن حميدة ، يركى أبا العلاء وأبا القاسم ، ظريف من أهل المدينة . كان مولى لعبد الله بن الزبير . تأدب وروى الحديث وكان يجيد الغناء . يضرب المثل بطمعه ، وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب . عاش طويلا وقيل إنه أدرك زمن عثمان بن عفان ، وسكن المدينة في أيامه . اتصل بالوليد ابن يزيد ، وقدم بغداد أيام المنصور العباسي ، وتوفي بالمدينة . راجع ترجمته في الأعلام ١ : ٣٣٣ حيث يذكر مصادره .
- ٤- نهاية الأرب ٤ : ٤٢ .

وتبرز عند الوليد ظاهرة جديدة وهي الخروج مع نديه ابن عمه محمد بن سليمان بن عبد الملك إلى الأديرة ليتنادما بعيدا عن رواد مجلسه^(١) .

ولعنايته بندمائه وحرصه على ألا يخرجوا سكارى من قصره ، كان يقدم للذين يتغلب عليهم الشراب دار الضيوف في قصره ليطرحوا فيها ، فيبقون هناك إلى أن يفيقوا من خمارهم^(٢) .

وقد ظهر الأثر الفارسي في مجالس منادماته إذ أمر جلساءه وندمائه بشرب الهفتجنة^(٣) وهو شراب كانت الفرس تشربه سبعة أسابيع فشرب تسعة وأربعين يوما^(٤) . كما يروي أبو الفرج الأصبهاني عنه احتجاجه عن ندمائه خلف ستارة حمراء^(٥) ، ويروي أيضا اتخاذ ملابـس خاصة بمجالس منادماته^(٦) .

١- الأغاني ٧ : ٢٣-٢٤ .

٢- المصدر السابق ٦ : ٦٤ ، ٧ : ٦٧ .

٣- الهفتجنة : كلمة فارسية مركبة من "هفت" ومعناها سبعة و "جنة" ومعناها مرح . راجع

الأغاني ٧ : ٦١ الحاشية رقم (٢) .

٤- المصدر السابق ٧ : ٦١ .

٥- المصدر السابق ٧ : ٤٥ ، ٤٦ .

٦- المصدر السابق ٧ : ٨٣ .

ولما جاء مروان بن محمد (١٢٧ - ١٣٢ هـ) حاول أن يعيد إلى مجالس البلاط هيبتها بعد الوليد بن يزيد ومن تلاه من ضعاف الأمويين ، فبرز العلماء المحدثون في مجلسه ، وقد اختص منهم الجعد بن درهم ^(١) (ت ١١٨ هـ) - وكان أحد المتكلمين - ولشدة ارتباطه بمجالسه ولتأثيره عليه لقب مروان بالجعدي ^(٢) . كما اتخذ مروان عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢ هـ) جليسا ، ومؤدبا لابنه عبد الله ابن مروان يثق به ويوجهه توجيهها سليما . ورسالة عبد الحميد إلى عبد الله تكشف لنا الدور الذي وكل إليه ، حيث جاء فيها : " ثم لتكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك ودخلاؤك في سرّك أهل العفة والورع من خاصة أهل بيتك وعامة قوادك ، ممن قد حنكته السن بتصاريف الأمور " ^(٣) .

وهكذا فإن البلاط في العصر الأموي كان حافلا بجلساء وندماء من الشعراء والعلماء والوعاظ والمغنين والمضحكين الذين شملهم الخلفاء برعايتهم ، وبهذا ساعد

١- الجعد بن درهم من الموالى مبتدع ، له أخبار في الزندقة . أخذ عنه مروان بن محمد فنسب إليه ، أو كان الجعد مؤدبه في صفه ، ومن أراد ذم مروان لقبه بالجعدي وقال ابن الأثير : " كان مروان يلقب بالجعدي لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهب في القول بخلق القرآن والقدر " وقيل : " كان الجعد زنديقا " . راجع ترجمته في الأعلام ٢ : ١١٤ حيث يذكر مصادره .

٢- صبح الأعشى ١٣ : ٢٥٢ .

٣- رسائل البلغاء ص ١٧٨ .

البلاط الأموي على نمو الحركة الأدبية والفنية والعلمية ، لأن الجلساء كانوا يتنافسون بين يدي الخلفاء كما رأينا في مجالس عبد الملك بن مروان الأدبية وفي بلاط سليمان ابن عبد الملك الذي كان يشجع المغنين ويقدم لمن يتفوق بحضرته الجوائز .

وإذا نظرنا إلى العصر الأموي وجدنا أن مجالس المحادثة والسر كانت هي الغالبة عليه ، وأما مجالس الشرب والمنادمة فلم تبرز بشكل واضح إلا في مجلسي يزيد ابن عبد الملك وابنه الوليد بن يزيد .

وقد تبين لنا أن مجالس الغناء والطرب قد ساعدت على اتجاه هذين الخليفين إلى العبث والاستهتار .

وإذا كان العصر الأموي قد ختم بمروان بن محمد الذي حاول أن يعيد إلى البلاط وقاره ، فإنه لم يفلح في ذلك ، لأن الدعوة العباسية استشرت وتعاظمت ووضعت نهاية للدولة الأموية ذات الوجه العربي لتقوم على أنقاضها دولة بني العباس التي قامت على كاهل العناصر غير العربية وفي مقدمتهم الفرس .

في العصر العباسي

احتضنت فارس الدعوة العباسية التي وجدت فيها بيئة صالحة ساعدتها على النمو والتطور. فشارك الفرس في مؤازرتها بإخلاص طامعين في قيام دولة يكونون فيها العنصر المقدم، لأنهم لم يستطيعوا التغلغل في الدولة الأموية التي كان من سياستها الاعتماد على العناصر العربية والحفاظ على سيادة الجنس العربي، وهذا ما جعل الموالي يحقدون عليها ويعملون على مساندة كل من يسعى لمناوأتها والإدالة منها .

وبرز من قادة الدعوة العباسية أبو مسلم الخراساني (ت ١٣٧ هـ) الذي أسهم في قتال الأمويين وهزيمتهم وتقويض دولتهم . وعندما قامت الدولة العباسية اعتبرها الفرس دولتهم .

ومنذ تأسيس الدولة العباسية نقل الخلفاء العباسيون مقر حكمهم إلى العراق ليكونوا قريبين من حلفائهم الفرس وبعيدين عن أعدائهم أهل الشام أنصار الأمويين . وقد أسهم ذلك في انخراط الفرس في خدمة الدولة الجديدة، فوصل كثير منهم إلى مناصب كثيرة هامة فيها ، فأبو العباس السفاح (١٣٢ - ١٣٦ هـ) اتخذ أبا سلمة الخلال

(ت ١٣٢ هـ) الفارسي الأصل أول وزير له^(١)، كما استوزر بعده فارسيا آخر هو خالد بن برمك (ت ١٦٣ هـ) الذي حاول أن يكون مجلسه مقصدا للوافدين عليه من شعراء ورجال علم وغيرهم^(٢). وسار الخلفاء الذين تلوا السفاح على هذه السنة، فقدّموا الفرس واستوزروهم حتى أننا نرى عائلات فارسية قد أعطت البلاط العباسي عددا من الوزراء، فالبرامكة مثلا كانوا وزراء الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ)، وبنو سهل وزراء المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) واستطاع هؤلاء الوزراء - والبرامكة خاصة - أن يسيطروا على مقاليد الحكم بحيث شاركوا الخليفة في تصريف شؤون الدولة، وكادوا يستأثرون بما له من سلطان وهيبة، وهذا ما دفعهم إلى التشبه بالخلفاء في مجالسهم.

وحرص الوزراء الفرس على تقريب العناصر غير العربية من بلاط الخلفاء ليكونوا محاطين بحاشية يستطيعون أن ينفذوا من خلالها إلى تحقيق مآربهم، وذلك مثلما

١- الفخري في الآداب السلطانية ص ١٠٩ - ١١٠.

٢- المصدر السابق ص ١١١.

يروى عن يحيى بن خالد البرمكي (ت ١٩٠ هـ) الذي عزم على استخدام الفضل ابن سهل^(١) (ت ٢٠٢ هـ) للمأمون - قبل ولايته الخلافة وهو أمير - فقرّضه بحضرة الرشيد ، فقال : "أوصله إليّ" ، فلما وصل إليه أدركته حيرة ، فسكت ، فنظر الرشيد إلى يحيى نظرة منكر لاختياره ، فقال له الفضل : "يا أمير المؤمنين ، إن أعدل الشواهد على فراهة^(٢) المملوك أن تملك قلبه هبة سيّده ، فقال له الرشيد : "لئن كنت سكّ لتصوغ هذا الكلام ، لقد أحسنت ، ولئن كانت بديهة لهو أحسن وأحسن" . ولم يسأله بعد ذلك عن شيء إلا أجابه بما يصدّق تقرّيب يحيى له".^(٣)

ولم يقتصر تغلغل العناصر الأجنبية في قصور الخلفاء على الوزراء ، بل إن قصورهم امتلأت بعشرات آلاف من الخدم والغلمان والجواري والحراس وكلهم من غير العرب^(٤) .

١- الفضل بن سهل السرخسي ، أبو العباس ، وزير المأمون وصاحب تدبيره . اتصل به في صباه وأسلم على يده ، وقد جعل له الوزارة لما ولي الخلافة ، كما جعل له قيادة الجيش ، فلقب بذئب الرياستين : الحرب والسياسة . مولده ووفاته في سرخس بخراسان ، وقد قتله جماعة بينما كان في الحمام ، وقيل إن المأمون دسّهم له وقد ثقل عليه أمره ، وكان حازماً عاقلاً فصيحاً ، وأخباره كثيرة . راجع ترجمته في الأعلام ٣٥٤ : ٥ حيث يذكر مصادره .

٢- الفراهة : من فره بمعنى ملح . راجع اللسان مادة فره .

٣- الوزراء ، والكتاب ص ٢٣١ .

٤- رسوم دار الخلافة ص ٧-٩ .

وإذا علمنا أن معظم الخلفاء العباسيين تزوّجوا بغير العربيات ، فإننا ندرك تأثيرهن على أولادهن الذين تولوا الخلافة .

وهكذا أحيط الخلفاء بحاشية كبيرة ضمت في معظمها عناصر غير عربية ، وكان الفرس يشكلون معظمها ، وقد عمل هؤلاء على نقل ما يحملون من آثار حضارية إلى البلاط العباسي . فالدواوين أصبحت تنظم على الطريقة الفارسية^(١) ، كما انتقلت تقاليد البلاط الفارسي ورسومه وأنظمته إلى البلاط العباسي ، وحوّلت هذه التقاليد الخلفاء العباسيين إلى أكاسرة مسلمين اقتبسوا كل ما نقل إليهم عن أكاسرة الفرس ، كقوانين الحجابة ورسومها ، وآداب الخدمة والمجالسة وغير ذلك مما كان معروفا في البلاط الساساني^(٢) .

ومن مظاهر تقليد الأكاسرة في البلاط العباسي أن عامل الخلفاء أبناءهم معاملة ملوك الفرس لأبنائهم ، فملوك الفرس كانوا لا يسمحون لهم بالدخول عليهم إلا بعد الإذن لهم وأمر الحجاب أن يكونوا عليهم أغلظ منهم على من دونهم من أفراد الحاشية والخدم ،

١- كان ما يكتب في الدواوين قبل وزارة خالد بن برمك يثبت في صحف ملكن خالد كان أول من جعلها في دفاتر على الطريقة الفارسية . أنظر : الوزراء والكتاب ص ٨٩ .

٢- راجع رسوم دار الخلافة ص ٣١ ، ٧١ ، وهذا الكتاب مخصص للحديث عن حالة البلاط العباسي وما كان يخضع له من تقاليد كلها دخيلة .

ويروى أن يزدجرد رأى ابنه بهرام جور بموضع لم يكن له ، فقال له : "مررت بالحاجب؟"
قال : "نعم" قال : "وعلم بدخولك؟" قال : "نعم" ، قال : "فاخرج إليه واضربه ثلاثين
سوطاً ونحّه عن الستر ، ووكل بالحجابة آزاد مرد . ففعل ذلك بهرام وهو إذ ذاك ابن
ثلاث عشرة . ولم يعلم الحاجب فيم غضب الملك عليه . فلما جاء بهرام بعد ذلك ليدخل ،
دفع آزاد مرد في صدره دفعة وقذه^(١) منها ، وقال : إن رأيته بهذا الموضع ثانية ضربتك
ستين سوطاً ، ثلاثين منها لجنايتك على الحاجب بالأمس ، وثلاثين لثلاث تطمع في الجناية
عليّ" . فبلغ ذلك يزدجرد فدعا آزاد مرد ، فخلع عليه ، وأحسن إليه^(٢) . ويروى عن حاجب
المعتصم أنه بصّر بالوائق واقفاً في موضع لم يكن له أن يقرب منه ، ولا أن يقف به فغزبه^(٣) ،
وقال : "تجّ ، فوالله لولا أنني لم أتقدم إليك في ذلك ، لضربتك مائة سوطاً"^(٤) .

١- وقذه : أوجعه وآلمه . اللسان مادة وقذ .

٢- التاج ص ١٢٥ - ١٢٦ .

٣- زبره : انتهره ونهاه . انظر اللسان مادة زبر .

٤- التاج ص ١٢٧ والمحاسن والمساوي ص ١٧١ . وراجع التاج ص ١٢٦ حيث

يروى أن موسى الهادي دخل على أمير المؤمنين المهدي فزبره وقال : "إياك أن
تعود إلى مثلها إلا أن يفتح بابك" .

وشاعت مظاهر الحضارة الفارسية في البلاط، فأخذ الخلفاء يقلّدون الأكرسة في الاحتفال بالأعياد الفارسية، فالمتوكل مثلاً يحتفل بالنوروز ويقبل فيه الهدايا^(١).

وقد أسهمت الأموال الطائلة التي وردت على الخزينة في بغداد من بقاء الدولة المختلفة في إشاعة الترف في القصور، ويصف الجهمشيارى مجلس المهدي وما فيه من مظاهر الزينة والترف فيقول: "في مجلس فرشه موزّدة، وعليه ثياب موزّدة وعلى رأسه جارية عليها ثياب موزّدة..."^(٢). ويظهر الترف الذي لا يصدّق في زواج المأمون ببوران ابنة وزيره الحسن بن سهل (ت ٢٣٦هـ)، إن صحّ ما روي لنا عن ذلك^(٣).

وتبع ذلك الترف بذخ وتأنق في الملابس والثياب، فعصّت الأزياء الفارسية التي لبسها الخلفاء كالقلائس وغيرها^(٤). كما تنوّعت الأطعمة، وتأنقوا فيها، ويروى أن مائدة المأمون ضمت ذات يوم ثلاثمائة لون^(٥).

١- الديارات ص ٣٧ .

٢- الوزراء والكتاب ص ١٦٠ .

٣- الفخري في الآداب السلطانية ص ١٦٣ - ١٦٤ .

٤- رسوم دار الخلافة ص ٨١ .

٥- تاريخ الأدب العربي (شوقي ضيف) ٣: ٥٣ .

ومن مظاهر الترف أيضا الألعاب التي اتخذها الخلفاء للتسلية ، وكان الرشيد أول من أشاع الرمي بالنشاب على البرجاس^(١) ، كما كان أول من لعب بالصولجان والكرة ، وأول من لعب الشطرنج والنرد وقرب اللاعبين^(٢) . ونرى اهتمام الخلفاء بسباق الخيل مثلما يروي الجهشيارى عن هارون الرشيد ، ومثلما يروي عن ولع الخلفاء بالصيد^(٣) .

وشاع الغناء في هذا العصر ، وشغف به الخلفاء بحيث ضمت قصورهم مشاهير المغنين أمثال إبراهيم الموصلي^(٤) (ت ١٨٨ هـ) وابنه اسحق^(٥) (ت ٢٣٥ هـ) وغيرهما وبحيث نرى أن بعض الخلفاء وابناءهم يقبلون على تعلم هذا الفن وإجادته ، وذلك مثلما يروي عن عليّة بنت المهدي (ت ٢١٠ هـ) وأخيها إبراهيم ابن المهدي^(٦) (ت ٢٢٤ هـ) والخليفتين

١- البرجاس: غرض بالهوا، يرمى إليه بالنشاب. راجع الترجمة والنقل عن الفارسية

٢٤٧: ١ الحاشية رقم ٣ .

٢- المصدر السابق ٢٤٧ : ١

٣- الوزراء والكتاب ص ١٤٦ ، ١٧٣ ، ٢٠٧ .

٤- أنظر ترجمته في الملحق الأول .

٥- أنظر ترجمته في الملحق الأول .

٦- إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ، الهاشمي العباسي ، أبو إسحق ، ويقال له ابن شكلة ، وهو أخو هارون الرشيد . ولد ونشأ ببغداد ، وكان أسود عظيم الجثة ، وكان فصيحاً حاذقاً في الغناء . ولأه الرشيد إمرة دمشق ، ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم اتخذ فرصة للدعوة إلى نفسه وتغلب على الكوفة والسواد . ودامت خلافته ببغداد نحو السنتين (٢٠٢-٢٠٤ هـ) ولما تم الأمر للمأمون ظفر به سنة ٢١٠ هـ . ومات بسامراء . راجع ترجمته في الاعلام ٥٥ : ١ - ٥٦ ، حيث يذكر مصادره .

الوائق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) والمنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ) وغيرهم .

وأصيب المجتمع العباسي بآفة الإسراف في شرب الخمر، وأدى ذلك إلى تفنن الشعراء في وصفها ووصف كؤوسها ومجالسها، ودفع ذلك كله إلى انتشار موجة المجون والعبث والاستهتار .

ولا نغفل دور النقل عن الفارسية في إغراق البلاط في بحر التقاليد والرسم المتعلقة بآداب الخدمة التي لم يعهد لها ذوو السلطان العرب ، وبرز عبد الله ابن المقفع رائدا في النقل عن التراث الساساني (١) .

وعندما تولى أبو العباس السفاح قلد الأكاسرة في مجالسهم فبدأ عهده بالظهور لجلسائه ثم احتجب عنهم بعد سنة خلت من ملكه (٢) .

١- أنظر الملحق الثاني .

٢- أنظر مرجع الذهب ٣: ٢٧٩، حيث يذكر أنه كان يجلس وراء سترة ويشير أيضا إلى أن جلساءه كانوا يقعدون بحضرته على حسب ترتيب أردشير بن بابك .

ولم يظهر نديم الشراب في بلاطه ، ويمكن أن يعود ذلك إلى قيام الدعوة العباسية على أسس ومبادئ دينية ، وكان العباسيين كانوا يريدون ألا يتشبهوا ببعض الأمويين الذين سيطر الاستهتار على مجالسهم . وعلاقة السفاح بأبي دلامة^(١) (ت ١٦١ هـ) تظهر لنا موقفه من شرب الخمر عنده ، وتوضح لنا سبب هرب أبي دلامة من مجالسه إلى الحانات لأنه لا يشرب عند الخليفة ، فعندما قال له السفاح : "مالك تحيد عن مجالستنا وتهرب من مؤانستنا؟" والله ، يا أمير المؤمنين ، إن الفضل والشرف والعز والخير كله في الوقوف ببابك ولزوم خدمتك ، ولكن نكره أن تملونا ، فتنقص أنفسنا من أجل ذلك" ، فقال أبو العباس : "لا والله ما ذلك كما ذكرت ، ولا مللتك قطه وإنك لتعلم ذلك ، ولكك قد اعتدت حانات الخمارين ومجالسة أهل المجون" ، ثم أمره بلزوم قصره ، ووكل به من يمنعه الخروج ، وأمره بملازمة المسجد الذي يصلي فيه السفاح^(٢) .

١- زند بن الجون الأسدي بالولاء ، أبو دلامة ، شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة أسود اللون ، كان أبوه عبداً لرجل من بني أسد وأعتقه ، نشأ في الكوفة واتصل بالخلفاء من بني العباس فكانوا يستلطفونه ويغدقون عليه صلاتهم ، وله في بعضهم مدائح . وكان يتهم بالزندقة لتهتكه . وأخباره كثيرة متفرقة في الكتب . راجع ترجمته في الأعلام ٨٤ : ٣ حيث يذكر مصادره .

٢- ذيل زهر الآداب ص ٩١ .

وكان السقّاح مشغولاً بمحادثة الرجال ومسامرتهم ، ولذلك نراه يقرب خالدا بن صفوان الذي عرف كيف يتقرب منه ، ويتمكن عنده باستغلال عصبية السقّاح المضربة عندما كان ينازع الرجال بحضرته^(١) .

والسقّاح أول الخلفاء العباسيين الذين يروى عنهم تنظيم نوبات معينة لحضور الجلسة ، فقد جاء في المحاسن والمساوى : " أنه كان يعقب بين أصحابه ومسامريه ، وكانت هناك ليلة مخصصة يحضر فيها سعيد بن عمرو ابن جعدة بن هبيرة المخزومي^(٢) .

وسمجي أبي جعفر المنصور (١٣٦ هـ - ١٥٨ هـ) استمر اختفاؤه نديم الشراب ، ولكن مجلسه شهد تقرب عناصر فارسية كان لها الأثر في منادات استمرت حتى القرن الرابع الهجري ، فاتصاله بأبي منصور المنجم مهّد الطريق أمام أبنائه وأحفاده من آل المنجم للاتصال بمجالس الخلفاء ومناداتهم^(٣) .

١- المستطرف ١ : ١٥٩ - ١٦٠ .

٢- أنظر المحاسن والمساوى ٥٠٤ - ٥٠٥ حيث يذكر سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومي ويقول إن جدته أم هاني بنت أبي طالب وإنه كان قد كبر ، بعد أن شهد عامة سلطان بني أمية ، فأرعشته السن ، وقد اتصل بالسقّاح وحدثه بأخبار بني أمية .

٣- راجع اتصاله بأبي المنصور المنجم في وفيات الأعيان ٦ : ٢٨ - ٢٩ .

ومن المحدثين الذين حظوا عنده عبد الملك بن حميد (ت ٢٢٦ هـ) ، وكان يتعلل عليه ، فأمره المنصور أن يتخذ من ينوب عنه بحضرته إذا غاب ، فأتخذ أبا أيوب المورياني (ت ١٥٤ هـ) الذي استطاع أن يتقلد دواوين الوزارة بالإضافة إلى مجالسته ، وكان المنصور لا يصبر على غيابه عن مجالسه ، ولا يحتمل ذلك ، حتى قيل إنه سحره ، وبلغ من خصيصاً أبي أيوب به أن أم سليمان الطلجية - زوج المنصور - اتخذت لأبي جعفر مجلساً في الصيف وجعلت فيه الرياحين والثلج وسائر الطيب ، فلما صار إليها ، أعجب ببرده وحسنه ، ثم قال لها : " ما انتفع بما أنا فيه ! " قالت : " ولم يا أمير المؤمنين ؟ " قال : " إنه ليس معي أبو أيوب فيحدثني ويؤنسني " ، قالت : " يا أمير المؤمنين ، إنما هيأتك لسرورك فتبعث إليه " ، فبعث إليه فحضر ، فقال له : " يا أبا أيوب ، كما رأيت طيب هذا الموضع ولذته ، لم أنتفع به حتى تكون معي فيه " ، فدعا له وأقام معه^(١) .

والشرقي بن القطامي^(٢) (ت نحو ١٥٥ هـ) اتصل به مؤدياً لابنه المهدي وسميراً محدثاً في مجالسه^(٣) .

-
- ١- الوزراء والكتاب ص ٩٧ - ٩٨ .
 - ٢- الشرقي بن القطامي هو الوليد بن الحصين الكلبي ، أبو المتى ، والشرقي لقبه والقطامي لقب أبيه ، وهو كوفي ، عالم بالأدب والنسب ، وكان صاحب سمر ، استفد منه المنصور من الكوفة ليعلم ولده المهدي . وقد رويت له عشرة أحاديث ضعيفة . راجع ترجمته في الأعلام ١٢٩ : ٩ حيث يذكر مصادره .
 - ٣- راجع مروج الذهب ٣ : ٣٢٩ - ٣٣١ .

وتقرب أبو دلامة من المنصور فقام بإضحائه وإدخال السرور إلى قلبه ، فقد دخل على المنصور وعنده المهدي وعيسى بن موسى (ت ١٦٢ هـ) ، فقال له المنصور : " أهج بعض من في المجلس " فقال في نفسه : " من أهجو؟ الخليفة أم ابن أخيه؟ ما أحد أحق بالهجاء مني فقال :

فَلَسْتُ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا كِرَامَةٌ	• أَلَا أَبْلِغُ لَدَيْكَ أَبَا دُلَامَةَ
غَذَاكَ اللَّئِيمُ تَتَّبَعَهُ الدَّمَامَةُ	جَمَعْتَ دِمَامَةً وَجَمَعْتَ لَوْمًا
وَحَنَزِيرٌ إِذَا وَضَعَ الْعِمَامَةَ	إِذَا لَبَسَ الْعِمَامَةَ قُلْتُ قُرْدًا

فضحك المنصور وأمر له بجائزة" (١) .

وجالسه جماعة من الوعاظ منهم شبيب بن شيبه (٢) (ت نحو ١٢٠ هـ) ، وعمرو

١- المحاسن والمساوي ص ٢٨٧ ، وراجع العقد الفريد ٦ : ٤٣٩ .

٢- شبيب بن شيبه بن عبد الله التميمي المنقري ، أبو معمر : أديب الملوك ، وجليس الفقهاء ، وأخو المساكين . من أهل البصرة ، كان يقال له الخطيب لفصاحته ، وكان شريفاً من الدهاء ، وللمنادمة الخلفاء كان يفرع إليه أهل بلده في خوائجهم . راجع ترجمته في الاعلام ٣ : ٢٢٩ حيث يذكر مصادره .

ابن عبيد^(١) (ت ١٤٤ هـ) ، والأوزاعي^(٢) (ت ١٥٢ هـ) الذي كان يستدعيه لسماع مواعظه وإرشاده ، ويظن أن هؤلاء الوعاظ كانوا يعتبرون أنفسهم مكلفين بمراقبة حياة الخلفاء في قصورهم وتوجيه نقدهم لما يطرأ على حياتهم من مخالفة للمبادئ الإسلامية .

ولم ينجح الوعاظ عند المهدي في مقاومة المظاهر الدنيوية في بلاطه^(٣) ، وهو أول من أثار عنه الظهور لندمائه بعدما احتجب عنهم في بداية حكمه متشبهاً بمن سبقه من الخلفاء العباسيين ، وعندما عزم على الظهور لهم أشير عليه بخلاف ذلك فقال :

١- عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء ، أبو عثمان البصري ، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها وأحد الزهاد المشهورين ، كان جده من سبي فارس ، وأبوه نسا جاً ثم شرطياً للحجاج في البصرة . اشتهر عمرو بعلمه وزهده ، واتصل بالمنصور وغيره من الخلفاء . له رسائل وخطب وكتب ، توفي بحران قرب مكة ورثاه المنصور ، ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . وفي العلماء من يراه مبتدعاً . راجع ترجمته في الأعلام ٥ : ٢٥٢ حيث يذكر مصادره .

٢- عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي ، من قبيلة الأوزاع ، أبو عمرو ، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد ، وأحد الكتاب المترسلين ، ولد في بعلبك ، ونشأ في البقاع ، ثم سكن بيروت وتوفي فيها . عرض عليه القضاء فامتنع وله تصانيف . وكانت الفتيا تنور في الأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) . راجع ترجمته في الأعلام ٤ : ١٤ حيث يذكر مصادره .

٣- الوزراء والكتاب ص ١٤٦ .

"إنما اللذة في مشاهدة السرور، وفي الدنو ممن سرني فأما من وراء، فما فائدتها ولذتها؟ ولو لم يكن في الظهور للندما، والإخوان إلا أنني أعطيهم من السرور بمشاهدتي مثل الذي يعطونني من فوائدهم، لجعلت لهم في ذلك حظا موفرا" (١).

وهو أول من روي عنه الشرب من العباسيين، وكان بعض أصحابه يشربون عنده بحيث يراهم (٢)، وهذا يعتبر بداية لظهور نديم الشراب في بلاط العباسيين. وقد انضم إلى مجلسه، مغنيا ونديما، إبراهيم الموصلي فلازمه، لكنه عندما اتصل بإبنييه الهادي (١٦٩ - ١٧٠ هـ) والرشيد، ونادى بهما عاقبه لحرصه على عدم إفسادهما (٣).

وأسمهم المهدي في فتح الباب أمام اتصال البرامكة بالبلاط العباسي، فقد أمر باستدعاء خالد بن برمك ليحدثه ويجالسه، ولعلمه ببعض الأخبار (٤).

وقد برز في مجلسه أبو دلالة الشاعر مضحكا يقوم بدور مماثل لما قام به في بلاطي السفاح والمنصور (٥). ولشدة تعلق المهدي به أمر بالآل يحجب عنه (٦).

١- التاج ص ٣٤ - ٣٥.

٢- انظر الوزراء والكتاب ص ١٥٩ - ١٦٠.

٣- انظر الأغاني ٥: ١٦٠، والمحاسن والمساوي ص ١٨٩ - ١٩٠.

٤- انظر الوزراء والكتاب ص ١٥١.

٥- راجع أخبار أبي دلالة في البلاط العباسي في العقد الفريد ١: ٢٦٠ - ٢٦٦.

٦- انظر المصدر السابق ١: ٢٦٠.

والظاهرة الجديدة في علاقة المهدي بجلسائه ومعاشريه أنه سمح لبعضهم بالجرأة عليه ، فعندما خرج للصيد واصطحب أبا العتاهية (ت ٢١١ هـ) ألح عليه أن يهجو^(١) ، وبذلك يكون قد أخذ يزيل حواجز الرهبة التي تفصل بينه وبين جلسائه وخطائه .

وعندما ولي الهادي لم يتردد كأسلافه في الظهور لندمائيه لكنه كان أجراً منهم ، فلم يمد الستر مطلقاً في مجلسه^(٢) .

وقد ظهر في مجلسه رجالان لعبا دورين مختلفين ، فابراهيم الموصلي الذي لم يزل يطلبه حتى أتى به ، كان مغنيه وندينه ، وقد حظي عنده بمكانة عظيمة عبّر عنها عندما خاطبه قائلاً : "إن من كان محله من أمير المؤمنين محلي في الانبساط وتقدم الندام ، جرّاه الانبساط على الطلب ويعنته المنادمة على الرجاء"^(٣) . وقد نال منه أسنى الجوائز والصلوات .

١- المحاسن والمساوي ص ٢٨٦ .

٢- انظر الأغاني ٥ : ١٨٤ حيث جاء أنه كان : "لا يحتجب عن ندمائه ولا المغنين" .

٣- زهر الآداب ٢ : ٥٨٥ - ٥٨٦ .

وحظي عنده أيضا جليسه ومحدثه عيسى بن دأب^(١) (ت ١٧١ هـ) الذي كان يؤاكلة ويفاكهه ويسامره^(٢) . وقد كان الهادي مولعا بالشراب ، فكان يطلب منه - وخاصة عندما يكون ثملا - أن يحدثه بأحاديث الشراب^(٣) . وكان يدعو له بمتكا ويقول له : " يا عيسى ، ما استطلت بك يوما ولا ليلة ، ولا غبت عني إلا ظننت أنني لا أرى غيرك " .^(٤)

ولم يظهر الجلوساء الوعاظ في مجلسه لعدم اقتناعه - على ما يبدو - بمجالستهم .

ونجح أخوه هارون الرشيد في تنظيم علاقة النديم بالبلاط ، وبدأ النديم أيامه يظهر كأهم شخصية بين حاشية المقربين من الخليفة . وكان الرشيد يعطي لندمائه

١- عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب الليني البكري الكفائي ، أبو الوليد : خطيب ، شاعر ، عالم بالأنساب ، راوية . من أهل المدينة . اتصل بالمهدي العباسي وحظي عند الهادي حظوة لم تكن لأحد . اتهم بوضع الشعر وأحاديث السمر ونسبتها إلى العرب . راجع ترجمته في الأعلام ٥ : ٢٩٨ حيث يذكر مصادره .

٢- انظر المحاسن والمساوي ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

٣- انظر معجم الأدباء ١٦ : ١٥٧ .

٤- مروج الذهب ٣ : ٢٣٥ .

وخلطائه إذنا لفترة محدودة يغيبون فيها عن مجلسه^(١) ، وذلك لأن النديم تحوّل
لأول مرة الى موظف في البلاط له جار من الرزق عدا ما ينال من الصلات والجوائز .
وهكذا نال ندماءه لاعبو النرد والشطرنج أرزاقهم^(٢) ، كما خصّ أبا العتاهية بخمسين
ألف درهم كل سنة^(٣) .

ولكي يصبح مجلسه شبيها بمجالس ملوك الفرس قسم ندماءه وجلساءه طبقات^(٤) .
ويروى عن الرشيد أنه خصص دارا للندماء في قصره^(٥) .

١- راجع نهاية الأرب ٤ : ٣٥٢ ، والأغاني ٥ : ٣٧٣ - ٣٧٤ ، حيث يروى عن مخارق المغني
قوله : " أذن لنا أمير المؤمنين الرشيد أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيام ، وأعلمنا أنه يشتغل
فيها مع الحرم ، فمضى المجلساء أجمعون إلى منازلهم " ، كما ورد في ذيل زهر الآداب
(ص ٣١٩) عن إبراهيم الموصلي قوله : " استأذنت الرشيد أن يهب لي في الأسبوع يوما
أخلو فيه مع جوارتي " . وجاء في مطالع البدور ١ : ٢٤١ أنه حدد له يوم السبت
لذلك .

٢- أنظر مروج الذهب ٤ : ٣١٦ .

٣- أنظر الأغاني ٤ : ٦٣ ، حيث جاء أن أبا العتاهية كان لا يفارقه في سفر ولا حضر
إلا في طريق الحج .

٤- أنظر التاج ٣٧ - ٣٨ ، حيث يذكر أن إبراهيم الموصلي كان في الطبقة الأولى . ومن الأدلة
على طبقات جلسائه ما جاء في معجم الأدباء ١٣ : ١٦٨ من إخراجه الكشائي مؤدب ولدته من
طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين ، وهذا يذكرنا بطبقات أردشير بن بابك .

٥- أنظر الوزراء والكتاب ص ٢٥٠ .

وتوثقت الروابط بينه وبين إبراهيم الموصلي ، فنراه مثلا يقصده في منزله بعد أن هب من نومه ذات ليلة ويناديه هناك بعد أن يستمعاً لغناء الجواري .^(١)

وكان الرشيد معجبا بغنائه وقد غناه صوتا فكاد يطير طربا ، فاستعاده عامة ليله وقال : " ما رأيت صوتا يجمع السخا والطرب وجودة الصنعة . . . غير هذا الصوت " .^(٢)

وكان الرشيد يصطحب إبراهيم الموصلي عند خروجه من بغداد ليلقى قريبا منه . ولما خرج إلى الشام اصطخبه معه ، فدعاه يوما فدخل إليه في مجلس مفروش بالرخام فأمره بالأكل معه ، وجعل إبراهيم يتولى خدمته إلى العصر ثم دعا بالنبيذ فشرب الرشيد وسقاء ، ثم خلع عليه خلعة وشي من ثيابه وأمر له بألف دينار ، ثم قال : " انظر يا ابراهيم ، كم من يد أوليتك إياها اليوم ، نادمتني مفردا ، وأكلتني ، وخلعت عليك ثيابي من بدني ، ووصلتك ، وأجلستك في إيوان مسلمة بن عبد الملك تشرب معي " .^(٣)

١- أنظر الأغاني ٥ : ٢١٨ - ٢١٩ ، ومطالع البدور ١ : ٢٣٨ ، وراجع أيضا قطب السرور ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، حيث يذكر أنه ذهب متكررا إلى دار ابراهيم الموصلي وهو يركب حمارا ، فناديه .

٢- التاج ص ٤٢ .

٣- الأغاني ٥ : ٢٠٣ .

وبدا إسحق الموصلي يبرز في مجلسه ويشاطر والده إبراهيم تقره منه فتمكن
عنده ، حتى إن الرشيد تعصب له عندما نازع أخاه المغني إبراهيم ابن المهدي (١)
وكثيرا ما كان يستدعيه ليغنيه ويناديه (٢) ، ولم يكن إسحق مغنيا عنده وحسب بل
كان محدثا ، ويروي أبو الفرج الأصبهاني أنه بعد أن غناه عدة أصوات أخذ يحدثه
بأحاديث القيان والمغنين والعرب وأيامها وأخبارها ، وينشده أشعار القدماء والمحدثين (٣)

ويعد الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) أشهر جلسائه المحدثين والعلماء ، وله معه أخبار
كثيرة (٤) ، ولشدة تعلقه به كان لا يحجب عنه (٥) . واتصل به من العلماء أيضا

١- أنظر نهاية الأرب ٥ : ٤-٦ .

٢- أنظر الأغاني ٥ : ٢٩٩ .

٣- أنظر المصدر السابق ٥ : ٣٠٠ .

٤- أنظر العقد الفريد ١ : ١٩٤ - ٢٠٠ ، وكان الأصمعي يعتمد الأحاديث المضحكة
وسيلة للحظوة ، وقد صرح بذلك عندما قال : " توصلت بالملح " . راجع ذلك في
المصدر السابق ١ : ١٤ ، وراجع أيضا عيون الأخبار ٣ : ٣٠٠ ، والمحاسن والأضداد
ص ١٥٣ .

٥- أنظر المحاسن والمساوي ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

الكسائي (ت ١٨٦ هـ) ، وكان طرفا في المناظرات النحوية في مجلسه ^(١) . وقد استدعاء الرشيد ذات ليلة ليسأله عن معاني أبيات أرقته ففسرها له ^(٢) . وكان هو والأصمعي لا يفارقانه ، يقيمان بقمه ويظعنان بظعنه ^(٣) .

وقد اختص الرشيد من البرامكة جعفر بن يحيى (ت ١٨٧ هـ) وكان يستعين ببعض جلسائه ، فيطلب منه أن يرسلهم إليه ليحدثوه ^(٤) .

وأحب الرشيد الشعر والشعراء ، واختص أبا العتاهية وقربه ، ويروى أن الرشيد صنع طعاما موزخرف مجالسه ، وأحضر أبا العتاهية ، وقال : " صفا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا " ، فقال أبو العتاهية :

عَشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ

١- انظر معجم الأدباء ١٣ : ١٧٦ ، وقد قرّبه الرشيد لتعلقه بالنحو ، وكان يقول :
" النحو يستفرغني لأنني أستدل به على القرآن والشعر " . انظر المصدر السابق
١٣ : ١٧٥ .

٢- انظر المحاسن والمساوي ص ٤٤٠ .

٣- انظر معجم الأدباء ١٣ : ١٨٣ .

٤- انظر المحاسن والمساوي ص ٤٠٠ .

فقال الرشيد : " أحسنت ، ثم ماذا ؟ " فقال :

" يَسْعَى عَلَيْكَ بِمَا أَشْتَهَيْتَ لَدَى الرَوَائِحِ وَالْبُكُورِ "

فقال : " حسن ، ثم ماذا ؟ " فقال :

فهاذا النفوسُ تَقْعَقَعُ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فهناكَ تَعْلَمُ مَوْقِنًا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ

فبكى الرشيد ، فقال أحد الجلوساء : " بعث إليك أمير المؤمنين لتسره ، فحزنته ، فقال الرشيد : " دعه ، فإنه قد رآنا في عسى ، فكره أن يزيدنا منه " (١) .

وظهر عدد من العواظ في بلاطه منهم أبو يوسف القاضي (٢) (ت ١٨٢ هـ) وابن السماك (٣) (ت ١٨٣ هـ) ، والأوزاعي . ولم يتقدم عنده منهم إلا أبو يوسف القاضي .

١- الفخري في الآداب السلطانية ص ١٤١ .

٢- يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري ، أبو يوسف القاضي . كوفي ، وهو صاحب أبي حنيفة وتلميذه ، سكن بغداد وتولى بها القضاء للمهدي والمهدي وهارون الرشيد ، وهو أول من دعي بقاضي القضاة . اتصل بالرشيد وجالسه وكان يكرمه ويجلسه ، وكان عنده حظيا مكينا . كان كثير الأحاديث . وأخباره كثيرة وله تصانيف . راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٦ : ٣٧٨ - ٣٨٨ حيث تجد بعض أخباره .

٣- أبو العباس محمد بن ضبيح المذكر مولى بني عجل ، المعروف بابن السماك ، القاص الكوفي المشهور ، كان زاهدا عابدا حسن الكلام ، صاحب مواعظ . روى عنه أحمد بن حنبل . قدم بغداد زمن هارون الرشيد واتصل به وجالسه ، ومكث في بغداد مدة ثم رجع إلى الكوفة فمات هناك . وأخباره كثيرة . راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٤ : ٣٠١ .

ولما سأل الرشيد الأوزاعي عن لبس السواد قال : " لا أحرمه ، ولكني أكرهه " ،
قال : " ولم ؟ " قال : " لأنه لا تجلى فيه عروس ، ولا يلبي فيه محرم ، ولا يكفن فيه
ميت " . فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف القاضي وقال : " ما تقول أنت في السواد ؟ " .
قال : " يا أمير المؤمنين ، النور في السواد " ، فاستحسن الرشيد ذلك ، ثم قال :
" وفضيلة أخرى يا أمير المؤمنين " ، قال : " وما هي ؟ " قال : " لم يكتب كتاب الله
إلا به " . فاهتز الرشيد طرباً^(١) .

وقد شعر بعض الوقاظ أن الرشيد يقرب من يغتي بما يروقه ، فاجتهدوا في
إرضائه بفتاويهم وقد روى ابن خلكان أنه : " حلف أنه من أهل الجنة " ، فاستفتى
العلماء ، فلم يفته أحد . . . فقل له عن ابن السكّك ، فاستحضره وسأله ، فقال له :
" هل قدر أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفاً من الله تعالى ؟ " فقال : " نعم ،
كان لبعض الزامي جارية فهويتها ، وأنا إذ ذاك شاب ، ثم إني ظفرت بها مرة ،
وعزمت على ارتكاب الفاحشة معها ، ثم إني فكرت في النار وهولها ، وأن الزنا من
الكبائر ، فأشفقت من ذلك ، وكففت عن الجارية ، مخافة من الله تعالى " ، فقال له ابن

١- نهاية الأرب ٤ : ١١٠ . والمعروف أن السواد كان شعار الدولة العباسية ،
ولذا لاقى كلامه استحسان الخليفة .

السَّمَاءِ : " ابشر يا أمير المؤمنين ، فإنك من أهل الجنة " ، فقال هارون : " ومن أين لك هذا ؟ " فقال : " من قوله تعالى : " وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ، فَلَهُنَّ الْجَنَّاتُ هِيَ الْمَأْوَىٰ " (١) .

وكان الرشيد لا يسمع للوعاظ بالجرأة عليه ، فعندما قال له أحدهم : " يا أمير المؤمنين ، إني أريد أن أعظك بعضة فيها بعض الغلظة فاحتملها " ، قال : " كلا ، إن الله أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو شر مني ، قال لثبته موسى عليه السلام ، إذ أرسله الى فرعون : " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى " (٢) .

وكان الأمين (١٩٣ - ١٩٨ هـ) متعلقا بمجالس الشرب والمنادمة التي طغت على حياته حتى إن الجهمشياري يروي أنه كان يعيث بشؤون حكمه أثناء مناداته ، ويتحدث عن ذلك فيقول : " عزم الأمين يوما على الاصطباح ، وأحضر ندماءه والمغنين ، وصفت الموائد ، فلما ابتدأ الأكل دخل عليه صاحب الديوان فقال : يا أمير المؤمنين ،

-
- ١- وفيات الأعيان ٤ : ٣٠٢ ، وسورة النازعات : آية ٤٠-٤١ . وراجع نشوار المحاضرة ١ : ٢٥٢ - ٢٥٣ حيث جاء أن أبا يوسف القاضي حظي عنده وازداد به الرشيد أنسا واختصاصا لأنه كان يتناول الفتاوى ليرضيه بها .
 - ٢- العقد الفريد ٣ : ١٦٥ ، وسورة طه : آية ٤٤ .

هذا هو اليوم الذي وعدتني فيه أن تنظر في أعمال الخراج والضيايع وجماعات العمال وقد اجتمعت عليّ أعمال ، منذ سنة لم تنظر في شيء منها ، ولم تأمر فيها ، وفي هذا دخول خلل في الأعمال ، فقال له محمد : " إن اصطباحي لا يحول بيني وبين النظر ، وفي مجلسي من لا أنقبض عنه ، من عتي وبني عتي وإخوتي ، وهم أهل هذه النعمة التي يجب أن تحاط ، فاحضر ما تريد أن تعرضه علي ، فأعرضه علي وأنا آكل ، لأتقدم إليك فيه بما تحتاج إليه ، إلى أن يرفع الطعام ، ثم أتم النظر فيما يبقى ، ولا أسمع سماعاً أو أهرم الباقي وأفرغ منه ، فحضر كتاب الدواوين بأكثر ما في دواوينهم ، وأقبل صاحب الديوان يقرأ ٠٠٠ ، ومحمد يأمر وينهي بأحسن أمر وينهي وأشدّه ، وربما شاور من حوله في الشيء بعد الشيء ، وكلما وقع في شيء وضع بالقرب من صاحب الديوان ، ورفعت الموائد ، ودعا بالنبيذ ، وكان لا يشرب في القدح أقل من رطل واحد في تنعيم العمل ، ثم دعا بخادم له ، ففاجاه بشيء أسره إليه ، فمضى ثم عاد ، فلما رآه نهض ندماً ، فما مشوا عشرة أذرع حتى أقبل جماعة من النقاطين ، ففرضوا تلك الكتب والأعمال بالنار " (١) .

وقد عرف عنه تبدّله في مجالسه ، ومن لطفه لندمائه : — يقول صاحب التاج : " ما كان أعجب أمره كله ، فأما تبدّله ، فما كان يبالي أين قعد ومع من قعد ، وكان لو كان

بينه وبين ندمائه مائة حجاب، خرّقها كلها وألقاها عن وجهه حتى يقعد حيث
قعدوا^(١).

وأتصل الأمين بأشهر ندمائه، إسحق الموصلي، والحسين بن الضحّاك وأبي
نواس وإبراهيم بن المهدي^(٢). وكان إبراهيم بن المهدي يحرص على صحبة الأمين
ويروى أنه: "دار كلام بين الأمين وبين إبراهيم بن المهدي، فوجد عليه الأمين
فهجره، فوجه إليه إبراهيم بوصيفة مع عبد هندي، فأبى الأمين أن يقبلها، فكتب
إليه:

وَكَشَفْتَ هَجْرَكَ لِي فَأَنْكَشَفَ	هَتَكْتَ الضَمِيرَ بَرْدَ اللَّطْفِ
فَهَبَ لِلْخِلَافَةِ مَا قَدْ سَلَفَ	فَإِنْ كُنْتَ تَحْقِدُ شَيْئًا مَضَى
فَبِالْفَضْلِ تَأْخُذُ أَهْلَ الشَّرَفِ	وَجُدْ لِي بِعَفْوِكَ عَنْ زَلَّتِي

فرضي عنه ودعاه للمنادمة^(٣).

١- التاج ص ٤٢ .

٢- كان لإبراهيم بن المهدي نوبة يحضر فيها عند الأمين فيغنييه ويناديه . راجع

الأغاني ١٠، ١٠٩، ١١٠ .

٣- المحاسن والأضداد ص ١٨٣ .

ولحظة إسحق الموصلي عنده كان يتجاوز عن بعض هفواته ، ويجيزه على الرغم من ذلك ، ولما غناه إسحق :

"إِذَا مَا زِيَادٌ^(١) عَلَّنِي ثُمَّ عَلَّنِي
خَرَجْتُ أَجْرُ الدَّيْلِ زَهْوًا كَأَنَّنِي
ثَلَاثَ رُجَاجَاتٍ لَهْنٍ هَدِيرٌ
عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرٌ"

فقال الأمين : " بل على أبيك ، قبح الله فعلك ، فما يزال إحسانك في غنائك يبحو
إساءتك في فعلك " . وأمر له بألف دينار^(٢) .

وارتبط الحسين بن الضحّاك بمجالسه وقاربت مكانته مكانة إسحق الموصلي^(٣) ،
وكانت علاقته بأبي نواس من الأسباب التي اتخذها أنصار أخيه المأمون لتأليب
الناس عليه ، فقد قال الفضل بن سهل ، وكان من رجال المأمون : " وكيف لا يستحل
قتال محمد ، وشاعره في مجلسه يقول ما لا ينكره عليه ، وهو :

"أَلَا سَقْنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ"^(٤)

١- زياد هو غلام لإسحق الموصلي . راجع أخباره مع إسحق في الأغاني ٢٠ : ٣٢١-٣٢٥ .

٢- المصدر السابق ٢٠ : ٣٢٣-٣٢٤ .

٣- المصدر السابق ٧ : ٢٠٨ ، حيث يذكر أن الأمين كان يركب ظهر الحسين بن الضحّاك
في مجالس شره وغبته .

٤- الوزراء والكتاب ص ٢٩٥ .

وهكذا كان الأمين يعيش للخمر يشربها ، وينادم عليها ، ويصل ليله بنهاره ،
ويروى أنه اصطحب يوما مع أبي نواس وغيره من الندماء ، "فأتي بالشراب كأنه
الزعفران ، أصفى من وصال المعشوق ، وأطيب ريحا من نسيم المحبوب ، وقام سقاء
كالبدور بكؤوس كالنجوم ، فطافوا عليهم ، وضربت المغنيات خلف الستائر ، فشرابوا معه
من صدر نهارهم إلى آخره في مذاكرة كقطع الرياض ، ونشيد كالدرّ المفصل بالعقيان ،
وسماع يحيي النفوس ، ويزيد في الأعمار . فلما كان آخر النهار دعا بعشرة آلاف في
صواني ، فأمر فنثرت عليهم فانتهبوها والشراب يدور عليهم بالصغير والكبير من الصرف
والممزوج ، حتى إذا نام واستيقظ في السحر طلب إلى أبي نواس أن ينشطه إلى
متابعة السكر ببعض الأبيات فأنشده :

نَبَّهْ نَدِيمَكَ قَدْ نَعِسَ	بَسَقِيكَ كَأْسًا فِي الْغَلَسِ
صُرْفًا كَانَ شُعَاعَهَا	فِي كَفِّ شَارِبِهَا قُبَسِ
تَذَرُ الْفَتَى وَكَائِمًا	بِلِسَانِهِ مِنْهَا خُسْرَ
يُدْعَى فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ	فَإِذَا آسَقَلَ بِهِ نَكْسَ
أَضْحَى الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ	لِلَّذِينَ نُورًا يَقْتَبِسُ

فهش الأمين ونشط ، ودعا بالشراب يصطحب به لليلى التالي وينعم بنشوته . (١)

ولما تولّى المأمون الخلافة أبعد المغنّين عن مجلسه لفترة قصيرة إذ أقام
عشرين شهرا لا يسمع حرفا من الغناء ، ثم سمعه من وراء حجاب متشبها بالرشيد
فكان كذلك سبع حجج ، ثم ظهر للندماء والمغنّين ^(١) .

وقد حظي عنده إسحق الموصلي فسأله : " أن يكون دخوله مع أهل العلم والأدب
والرواة لا مع المغنّين ، فإذا أراد الغناء غنّاه ، فأجابه إلى ذلك " ^(٢) . وكان المأمون
يقول : " لولا ما سبق لإسحق على السنة الناس ، واشتهر بالغناء لولّيته القضاء ،
فإنه أولى به ، وأعفّ وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة " ^(٣) .

وكان عمه إبراهيم بن المهدي من ندمائه ومغنيه ، لكنه توقّف عن الغناء والشرب
عندما بلغ الستين ، وقد أعفاه المأمون بناء على طلبه ^(٤) .

وقد بحث المأمون عن يصلح لندامته ومحاذته ، وكان حريصا على جليس شبيه

١- التاج ص ٤٣ .

٢- نهاية الأرب ٥ : ٣ .

٣- وفيات الأعيان ١ : ٢٠٣ . وكان المأمون يستدعيه ليناديه ويغنيه . راجع الأغاني ،
٥ : ٤٢٥ .

٤- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ص ٢٢ .

بالأصمعي ، فقد قال لمحدثه وجليسه يحيى بن أئثم^(١) (ت ٢٤٢هـ) : "وددت لو وجدت رجلا مثل الأصمعي ممن يعرف أخبار العرب وأيامها وأخبارها فيصحبني كما صحب الأصمعي الرشيد"^(٢) . ولم يتصل به لضعفه وكبره ، فكان المأمون يجمع المشكل من المسائل ويسيرها إليه ليجيب عنها^(٣) .

ولكون المأمون من أفاضل الخلفاء وعلمائهم فقد حرص على تقريب العلماء من مجلسه ، وقد خصص يوما في الأسبوع للجلساء العلماء الذين اختارهم يحيى بن أئثم لمجالسته ، فكانوا يحضرون يوم الثلاثاء لمذاكرة الفقه^(٤) .

١- يحيى بن أئثم بن محمد بن قطن التميمي الأسدي الروزي ، أبو محمد ، يتصل نسبه بأئثم بن صيفي حكيم العرب ، قاض من نبلاء الفقهاء ، ولد بمرور واتصل بالمأمون أيام مقامه بها ، فولاه قضاء البصرة ثم قضاء القضاة في بغداد ، وأضاف إليه تدبير مملكته ، فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون في شيء إلا بعد عرضه عليه ، وغلب على المأمون ، ولما مات المأمون عزله المعتصم عن القضاء ، ولكن المتوكل رده إلى عمله ثم عزله ، فرحل إلى مكة ، ولما بلغه أن المتوكل صفا عليه عاد راجعا لكنه مات في الطريق . له تصانيفه وأخباره كثيرة . راجع ترجمته في الأعلام ٩ : ١٦٧ حيث مضاده .

٢- بدائع البدائة ٢ : ٧٦ - ٧٧ ، معجم الأدباء ١٢ : ٨٠ .

٣- أنظر وفيات الأعيان ٣ : ١٧٢ .

٤- أنظر المحاسن والمساوي ص ١٦١ .

ولمحبته للمناظرات جالس المتكلمين من رجال المعتزلة ، فـقرب إليه كثيرا من الجدليين المبرزين والمناظرين ، كأبي الهذيل العلاف^(١) (ت ٢٣٥ هـ) ، وأبي إسحق إبراهيم بن سيار النظام^(٢) (ت ٢٣١ هـ) ، وغيرهم ، وألزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء ، وأقدمهم من الأمصار وأجرى عليهم الأرزاق^(٣) . ومن علماء المعتزلة الذين قرّبهم ثمامة بن أشرس (ت ٢١٣ هـ) الذي تحدّث المأمون عن حسن معاشرته بقوله : "إنّه يتصرّف مع القلوب تصرّف السحاب مع الجنوب"^(٤) .

١- محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي ، مولى عبد القيس ، أبو الهذيل العلاف ، من أئمة المعتزلة . ولد في البصرة ، واشتهر بعلم الكلام ، وكان حسن الجدل ، قوي الحجّة ، سريع الخاطر ، وله مقالات في الاعتزال . اتّصل بالمأمون الذي قال فيه : "أطلّ أبو الهذيل على الكلام كإطلال الغمام على الأنام" . كفّ بصره في آخر عمره ، وتوفي بسامراء ، وله كتب كثيرة . راجع ترجمته في الأعلام : (٧ : ٣٥٥) حيث يذكر مصادره .

٢- إبراهيم بن سيار بن هاني ، البصري ، أبو إسحق النظام ، من أئمة المعتزلة . تبخّر في علوم الفلسفة ، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت "النظامية" نسبة إليه . وقال الجاحظ : "الأوائل يقولون : في كل ألف سنة رجل لا نظير له ، فإن صحّ ذلك فأبو إسحق من أولئك" . وكان شاعرا أدبيا بليغا ، وله كتب كثيرة في الفلسفة والاعتزال . والبعض يّتهمه بالزندقة . راجع ترجمته في الأعلام ١ : ٣٦ حيث يذكر مصادره .

٣- أنظر مروج الذهب ٤ : ٣١٨ - ٣١٩ ، والكشكول ٢ : ٢٦٦ . ولتأثير المعتزلة على المأمون ولاعتناقه آراءهم الفلسفية ألزم الناس القول بخلق القرآن ، وأوصى أخاء المعتصم بذلك . انظر ذلك في "الفخري في الآداب السلطانية" ص ١٥٩ .

٤- المستطرف ١ : ١٤٦ .

وكان المأمون لسعة علمه يناقش العلماء في أحاديثهم ، فعندما دخل عليه النضر ابن شميل^(١) (ت ٢٠٤ هـ) استفسره عن "لفظة سداد" في حديث مرفوع إلى الرسول (ص) وعن سبب فتحه للسين "سداد" ، لكن ابن شميل بين أن "سداد" بكسر السين خطأ ، وأن فتحها هو الصحيح ، واستشهد بشعر دعم به أقواله^(٢) .

وكان المأمون يتداول القضايا الأدبية مع جلسائه ، وقد قال لهم يوما : " ما أحسن ما قيل في المراثي ، فقال بعضهم :

فَتَى لَمْ تُكَلِّبْ مَوْتَهُ نَادِبَاتَهُ بِمَا قُلْنَ فِيهِ لَا وَلَا الْمَادِحُ الْمُطِيرِ
فَتَى لَمْ يَزَلْ مَذْ شُدَّ عَقْدَ إِزَارِهِ مُشِيدَ الْمَعَالِي أَوْ قُيِّمًا عَلَى ثَقْرِ^(٣)

ولمعرفته بالشعر كان يبدي آراءه النقدية فيما يطرحه عليه جلساؤه ، وعندما سأل عن شعر يدل على أن قائله ملك ، وأنشده أحدهم قول امرئ القيس :

١- النضر بن شميل بن خرشة يزيد بن كلثوم التميمي المازني النحوي اللغوي الأديب . ولد بمرو ، ونشأ بالبصرة ، وأخذ عن الخليل بن أحمد ، وأقام في البادية زمنا طويلا فأخذ عن فصحاء العرب ، اتصل بالمأمون وجالسه . وله تصانيف . راجع ترجمته في معجم الأدباء ١٩ : ٢٣٩ .

٢- أنظر المحاسن والمساوي ص ٤٣٢ . وما بعدها .

٣- المصدر السابق ص ٢٧٣ .

"أَمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا جَنُوبَ الْمَلَا^(١) عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ"

قال : " ليس في هذا ما يدل أن هذا القائل ملك ، فإنه يجوز أن يقول هذا سوقي حضري ، فكانه يؤتب نفسه على التعلق بأعرابية " ، ثم قال : " الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد بن يزيد :

"إِسْقِنِي مِنْ سُلَافِ رِيْقٍ سُلَيْمَى وَأَسْقِ هَذَا النَّدِيمَ كَأْسًا عَقَارًا"

أما ترون إلى إشارته في قوله : " هذا النديم " وأنها إشارة ملك^(٢) .

وقد ضمّ المأمون إلى مجلسه أحد الكذابين عندما أدعى النبوة بحضرة لأنه عندما سأله عن دلائل نبوته استصعب الإجابة ، وبرز عجزه بظرف أعجب المأمون الذي قال عنه : " هذا من الأنبياء التي تصلح للمنادمة " ^(٣) .

وأدخل المأمون إلى مجلسه نوعا جديدا من التنافس بين الندماء ، فقد أمر بأن تحضر اللحوم وما يحتاج إليه من آلة الطبخ ، وقال للندماء : " ليطبخ كل واحد منكم

١- الملا : موضع . راجع معجم البلدان مادة ملا .

٢- الأغاني ٢ : ٣٧ ، وراجع الكشكول ١ : ٥٤ - ٥٥ .

٣- مروج الذهب ٤ : ٢٥ - ٢٦ .

قدرا* ، وطبخ هو قدرا ، وطبخ أخوه أبو إسحق المعتصم قدرا ، وذلك ليرى أجودهم وأبرعهم في ذلك^(١) .

وأبرز ما حدث في مجلس المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) هو إعادة الإتصال بالحسين ابن الضحّاك الخليفة الذي حظي عنده ، وكان في مجلسه مع الجلساء ، وكان يترفع عن الإنشاد مع الشعراء^(٢) . وكان يخرج معه للتسادم في الأديرة^(٣) .

ومّا يلفت النظر في مجالسه هو بداية تقريب الغلمان المخنثين ، فقد كان مشغوفاً بـغلامه سيماء التركي^(٤) .

١- انظر الديارات ص ١١٨ - ١١٩ .

٢- انظر الأغاني ٧ : ١٩٤ . ولم يتصل الحسين بن الضحّاك بالمأمون لعلاقته السابقة بأخيه الأمين لأنه أمر أن يكتب من يصلح لعنادته من أهل الأذّب ، وأثبتت قوم فيهم الحسين ابن الضحّاك ، قال المأمون : " ليس القائل ، وكان لغيرك التلف والله لا أرى وجهه على الطريق " راجع ذلك في وفيات الأعيان ٢ : ١٦٣ ، ومعجم الأدباء ١٠ : ١٠٦ - ٧ .

٣- أنظر الديارات ص ٣٦ - ٣٧ ، والأغاني ٧ : ١٩٢ - ١٩٤ . وقد أصبحت الأديرة مقصد طالبي اللذة والشرب من رجال الدولة وغيرهم من أهل العصر .

٤- أنظر بدائع البداية ١ : ٨٧ .

واختص المعتصم إسحق الموصلي فكان يناديه ويغنيه وينشده الأشعار، وينال عطايه^(١) . وقد غضب عليه يوما في أحد مجالسه فحجبه أياما ، ثم كتب إليه شعرا يترضاه فيه ، فعفا عنه ، وأعادته إلى مجالسه^(٢) .

وكان المعتصم يسمح لندمائيه المغنين بالتنافس في حضرته^(٣) ، ويروى عنه أنه خصص كوالده حجرة لهم^(٤) .

والواق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) أول الخلفاء العباسيين الذين يؤثر عنهم الغناء^(٥) ، ولذلك نراه يحرص على اختلاطه بندمائيه ومغنيه ليكون مساويا لهم ، فعندما وجه إليهم - وكان فيهم إسحق الموصلي - قال لهم : "إني عزمت على الصبح ولست أجلس على سرير حتى أختلط بكم ونكون كالشيء الواحد ، فاجلسوا معي حلقة ، وليكن إلى جانب كل جليس مغنٍ"^(٦) .

١- أنظر الأغاني ٣٠٢ ، ٥ .

٢- أنظر المصدر السابق ١٦٧ ، ٧ .

٣- أنظر المصدر السابق ١١٤ ، ١٠ .

٤- أنظر المحاسن والمساوي ص ١٦٦ .

٥- لم نعتبر إبراهيم بن المهدي من الخلفاء ، مع أنه أول من شهر بالغناء من آل عباس .
وراجع الأغاني ٩ : ٢٩٠ - ٢٩١ حيث جاء أن الواق كان يصنع الخانة ويعرضها على إبراهيم بن المهدي . وراجع أيضا المصدر السابق (٩ : ٢٧٦) حيث جاء أنه غنى بحضرة إسحق .

٦- نهاية الأرب ٤ : ٢٢٣ . ولاحظ استعمال كلمة جليس مرادفة لكلمة نديم .

وكان إسحق في مجلسه مع الندماء لا المغنّين ، وكان إذا قدم عليه يحضر مع
الندماء بغير عود ، فيدنيه الواصل ، ولا يغني حتى يقول له : "غن" ، فإذا قال له
غن جاءوا بعود فيغني به ، وإذا فرغ رفع العود من بين يديه إكراما من الواصل له^(١) .
وقد عبّر الواصل عن علاقته بإسحق وإعجابه به عندما قال : " ما غنّاني إسحق قط إلا
ظننت أنه قد زيد ملكي ، ولا سمعته قط يغني غناء ابن سريج إلا ظننت أن ابن
سريج قد نشر ، ولّاتي ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضرا ، فيتقدّمه عندي بطيب الصوت
حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحق يعلو ، ورأيت من ظننت أنه يتقدّمه ينقص ، وإن
إسحق لنعمة من نعم الملوك التي لم يحظ أحد بمثلها ، ولو أن العمر والشباب والنشاط
مما يشتري لا شترتتهنّ له بشرط ملكي^(٢) . وكان الواصل لا يصبر على غياب إسحق وكان
يصطحبه معه عند خروجه إلى الصيد^(٣) .

واستطاع الحسين بن الضّحّاك الخليف مجارة إسحق في مناداة الواصل ، فكان يخرج
معه في متزهاته ، ويصطحبه إلى الأديرة للتّنادم^(٤) ، كما كان يلعبه بالنرد^(٥) ويلقي

١- الأغاني ١٥ : ٢٩٥ - ٢٩٦ : ٩٦ ، ٢٨٦ وهذا يشير إلى أن الندماء أصبحوا في طبقة أرفع
من طبقة المغنّين .

٢- نهاية الأرب ١٥ : ٣ . وهذه أول إشارة إلى كبر إسحق .

٣- أنظر الأغاني ١٥ : ٣٩٤ - ٣٩٥ .

٤- أنظر المصدر السابق ١٥ : ٤٢٧ - ٤٢٨ .

٥- أنظر المصدر السابق ٧ : ٢٠١ - ٢٠٢ .

عليه الأشعار .

وكان الواصل مولعا بالشرب والغناء ، ويروي إسحق الموصلي : " إن الواصل اصطبح في يوم مطير ، فاتصل شربه وشرينا معه حتى سقطنا لجنونا صرعى ، وهو معنا على حالنا ، فما حرك أحد منا عن مضجعه ، وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدونا ، وبذلك أمرهم ، وقال : " لا تحركوا أحدا عن موضعه ، فكان هو أول من أفاق منا ، فقام وأمر بإنباهنا ، فأنبهنا فقمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا ، وجئت إليه وهو جالس وفي يده كأس ، وهو يرم شربها ، والخمار يمنعه ، فقال لي : " يا إسحق ، إنشدني في هذا المعنى شيئا ، فأنشدته قول أشجع السلمي ^(١) (ت نحو ١٩٥ هـ) :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ اللَّيْلَ فِي أَعْجَازِهِ	بِالْكَأْسِ بَيْنَ غَطَارِفِ كَالْأَنْجَمِ
يَتَمَايَلُونَ عَنِ التَّعْيِمِ كَأَنَّهُمْ	قُضِبَ مِنَ الْهِنْدِيِّ لَمْ تَتَلَمَّ
وَسَعَى بِهَا الظُّبْيُ الْغَرِيرُ يَزِيدُهَا	طَيِّبًا وَيَغْشِمُهَا إِذَا لَمْ تُغْشِمِ

١- أشجع بن عمرو السلمي ، أبو الوليد ، نشأ باليمامة ، وعاش في البصرة ، وهو شاعر معدود في الفحول ، وكان الشعر في ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر معدود ، فلما نجم أشجع ، وقال الشعر ، افتخرت به قيس ، وأثبتت نسبه بعدما كان بعضهم يدفع ذلك . مدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر بن يحيى الذي أدخله على الرشيد ، فمدحه وحظي عنده . راجع ترجمته في الأغاني ١٨ : ٢١٢ .

فطرب وقال : " أحسن والله أشجع ، وأحسن يا أبا محمد ، أعد بحياتي " ، فأعدتها ،
وشرب كأسه ، وأمر لي بألف دينار^(١) .

ولم يخل مجلس الواثق من العلماء الذين كانوا حكما في المنازعات في مجالسه ،
فعندما لحن بعض الجلساء مخارقا المغني^(٢) (ت ٢٣١ هـ) استدعي المازني^(٣) (ت ٢٤٩ هـ)
فشهد بصحة ما قاله مخارق فسر منه الواثق ، وأجرى عليه كل شهر مائة دينار^(٤) .

وقد عرف المتوكل (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) بعنايته بندمائه ومجالس شربه ، فخصص موظفا
موثقا بالشراب^(٥) ، كما أنه خصص لهم حجرا ملحقة بقصره^(٦) .

١- المصدر السابق ١٨ : ٢٢١ — ٢٢٢ .

٢- أبو المهنأ ، مخارق بن يحيى الجزاري ، إمام عصره في فن الغناء ، ومن أطيب الناس صوتا ، كان
مملوكا لعاتكة بنت شهدة بالكوفة فعلمته الغناء والضرب على العود ، وباعته فذكره إبراهيم
الموصلي للرشيد ، فسمعوا عتقه وأغناه وكناه بأبي المهنأ ، وكان الرشيد معجبا به حتى أقعد
مرة على سريره . واتصل بالأمين والمأمون وزار معه دمشق ، وتوفي بسر من رأى . راجع ترجمته
في الأعلام ٨ : ٦٨ .

٣- بكر بن محمد بن حبيب بن بقية ، أبو عثمان المازني ، أحد بني مازن بن شيان ، وهو من أهل
البصرة ، وأستاذ المبرد ، روى عن الأصمعي ، وكان لا يناظره أحد إلا قطعه لقدرة على الكلام ،
وكان المبرد يقول : " لم يكن بعد سيبويه أعلم من أبي عثمان بالنحو " ، وله تصانيف . راجع ترجمته
في معجم الأدباء ٧ : ١٠٧ — ١٢٨ .

٤- أنظر المصدر السابق ٧ : ١١٦ .

٥- أنظر تنبيه الملوك والمكائيد ص ٢٩٤ .

٦- أنظر المصدر السابق ص ٢٩٤ .

ويتحدث المسعودي عن أيام المتوكل ومجالسه فيقول : " وكانت أيام المتوكل أحسن أيام وأنضرها ، من استقامة الملك ، وشمول الناس بالأمن والعدل ، ولم يكن المتوكل ممن يوصف بعطائه وبذله بالجد ، ولا بتركه وإمساكه بالبخل ، ولم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه اللعب والمضاحك والهزل مما قد استفاض في الناس تركه إلا المتوكل ، فإنه السابق إلى ذلك والمحدث له ، وأحدث أشياء . . . اتبعه فيها الأغلب من خواصه وأكثر رعيته ، فلم يكن في وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بنجود ولا إفضال أو يتعالى عن مجون وطرب^(١) .

وكان المتوكل حريصا على إقامة مجالس الشرب ، التي يظهر فيها الترف والتبذير ، فقد شرب يوما فقال لندمائه : " رأيتم إن لم يكن أيام الورد نعمل نحن " شاذ كلاه^(٢) . قالوا : " يا أمير المؤمنين ، لا يكون " الشاذ كلاه " إلا بالورد " ، فقال : بلى ، ادعوا لي عبید الله بن يحيى^(٣) (ت ٢٦٣ هـ) . فحضر ، فقال : " تقدم بأن تضرب لي دراهم في

١- مروج الذهب ٤ : ٨٦ .

٢- الشاذ كلاه : لفظة فارسية تتألف من : شاذ بمعنى فرح ، وكل بمعنى ورد ، وآه بمعنى العظيم ، فيكون معناها : يوم الفرح العظيم بالورد ، وعربيتها النشار . راجع هامش الديارات ص ١٠٢ .

٣- عبید الله بن يحيى بن خاقان ، أبو الحسن : وزير من المتقدمين في العصر العباسي ، استوزره المتوكل والمعتمد ، وكان عاقلا حازما . استمر في الوزارة إلى أن توفي . راجع ترجمته في الأعلام ٤ : ٣٥٥ حيث يذكر مصادره .

كل درهم حبتان" قال: "كم المقدار يا أمير المؤمنين؟" قال: "خمسة آلاف درهم". فتقدم عبيد الله في ضربها، فضربت وعرفته الخبر. فقال: "اصبغ منها الحمرة والصفرة، والسواد، واترك بعضها على حاله". ففعل. ثم تقدم إلى الخدم والحواشي، وكانوا سبعمائة، أن يعد كل واحد منهم قباء جديد، وقلنسوة على خلاف لون قباء الآخر وقلنسوته، ففعلوا. ثم عمد إلى يوم تحركت فيه الريح، فنصبت له قبة لها أربعون باباً، فاصطبج فيها والندماء حوله، ولبس الخدم الكسوة التي أعدها، وأمر بنثر الدراهم، كما تنثر الورود، فنشرت أولاً أولاً، فكانت الريح تحمل الدراهم، فتقف بين السماء والأرض، كما يقف الورود، فكان من أحسن أيام المتوكل وأنضرها^(١).

وقرب المتوكل إسحق الموصلي، وقد استدعاه يوماً وأجلسه على مخدة أمام السرير، فغناه إسحق ونال جائزته^(٢). وكان المتوكل متعلقاً به ولما توفي حزن عليه^(٣).

١- الديارات ص ١٠٢-١٠٣. وراجع ص ٩٦-٩٩ حيث يلاحظ أن المتوكل كان في منادياته ينفق الأموال الطائلة التي تنثر على ندمائه. وهذا هو الذي دفع المسعودي إلى القول: "إنه لم تكن النفقات في عصر من الأعصار، ولا وقت من الأوقات مثلها في أيام المتوكل". راجع مرجع الذهب ٤: ١٢٢.

٢- أنظر نهاية الأرب ٥: ٨٥٧، والأغاني ٥: ٤١٤.

٣- أنظر معجم الأدباء ٦: ٥٣.

وحرص على مناداة الحسين بن الضحّاك ، فأمر أن يلزمه ليناديه ، فلم يطق ذلك لكبر سنّه ، فسعى به الوشاة ، ولكّنه استطاع استرضاءه^(١) وقد حضر مجلسه في جملة الندماء ، وقد كبر سنّه وضعف ، وبين يديه " شفيح " خادمه ، ينضد وردا عليه في ثياب مودّدة ، ولم يكن في عصره خادم أحسن منه ، فأمر المتوكل أن يحييه بوردة ، ويغمز يده ليحرّك خاطره ، ففعل وارتجل :

وَاللَّوْرَدَةُ الْبِيضَاءُ حَيًّا بِوَرْدَةٍ	مِنْ الْخُمْرِ يَمْشِي فِي قَرَاطِقٍ ^(٢) مِنْ وَرْدٍ
سَقَانِي بِعَيْنَيْهِ وَكَفَيْهِ شُرْبَةً	فَأَذْكُرْنِي مَا قَدْ نَسِيتُ مِنَ الْعَهْدِ
لَهُ عَبَّاتٌ عِنْدَ كُلِّ تَحِيَّةٍ	بِكَفَيْهِ تَسْتَدْعِي الْخَلِيَّ إِلَى الْوَجْدِ
سَقَى اللَّهَ دَهْرًا لَمْ آيْتْ لَيْلَةً	مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ ^(٣)

وهكذا ، فبعد أن كان المخنث شخصية ثانوية في بلاط المعتصم أصبح جزءا من مجالس المتوكل ، وقد ظهر عبادة المخنث^(٤) كقطب لكثير من مجالس عبته ، فقد أمر في أحد مجالسه بإلقائه في بعض البرك في أيام الشتاء ، فابتل وكاد يموت بردا ، ثم أخرج

١- أنظر الأغاني ٧ : ٢٢٥ .

٢- القرطبي : قباء . وهو تعريب كرتة . أنظر اللسان مادة قرطقي .

٣- بدائع البدائة ٢ : ٨٦-٨٧ ، وراجع الديارات ص ٣٧-٣٨ .

٤- كان أبوه من طبّاخي المأمون . راجع الديارات ص ١١٨ .

من البركة وكسي ، وجعل في ناحية من المجلس ، ف قيل له : يا عبادة ، كيف أنت ؟ وما حالك ؟ قال : " يا أمير المؤمنين جئت من الآخرة " ، فقال له : " كيف تركت أخي الواصل ؟ " قال : " لم أجز بجهنم " . فضحك المتوكل وأمر له بصلة^(١) .

والمختنون كانوا ممثلين هزليين يقومون بحكاياتهم أمام المتوكل ، ويرز منهم عبادة مضحك الخليفة^(٢) ، وظهر من الممثلين الهزليين في مجلسه أصحاب السّماجة^(٣) ،

١- العقد الفريد ٦ : ٤٣٠ - ٤٣١ .

٢- انظر ما ورد في بحث الدكتور محمد نجم " صور من التمثيل في الحضارة العربية من الكرخ حتى المقامات " عن الحكاية والمحاكين في المصادر العربية ، ويرى أن المتوكل هو الذي رعى الممثلين وشجعهم ويستشهد على ذلك بالميزانية الضخمة التي خصصها لهم .

٣- انظر المصدر السابق حيث يتتبع لفظ " السّماجة " في التراث ويبين أن أصحاب السّماجة كانوا فرقا للتمثيل الهزلي انتشرت في بغداد وغيرها من الحواضر الإسلامية منذ القرن الأول الهجري ، وكانت شبيهة بفرق السيم التي انتشرت في الدولة البيزنطية . ويربط بين هذه الصور التمثيلية التي قام بها أصحاب السّماجة وبين صور أخرى عرفها العرب مستشهدا بما وجدته في التراث ، ثم يربط ذلك بالديانة الوثنية التي عرفها العرب في الجاهلية وما كان يتصل بها من شعائر تمثيلية ، ثم يجد صلة بين كل ذلك وبين الفن المسرحي اليوناني والنشاط التمثيلي في الدولة البيزنطية .

فقد جاء في الديارات: "دخل إسحق^(١) (ت ٢٣٥هـ) في يوم نوروز إلى المتوكل والسماجة بين يديه، وعلى المتوكل ثوب وشي مثقل، وقد كثر أصحاب السماجة حتى قربوا منه للقط الدراهم التي تنثر عليهم، وجذبوا ذيله! فلما رأى إسحق ذلك ولى مغضبا، وهو يقول: "آف وتقد فما تغني حراستنا المملكة من هذا التضييع!" ورآه المتوكل وقد ولى، فقال: ويلكم! ردوا أبا الحسين، فقد خرج مغضبا! فخرج الحجاب والخدم خلفه، فدخل وهو يسمع وصيفا وزرافة كل مكروه، حتى وصل إلى المتوكل. فقال: "ما أغضبك، ولم خرجت؟" فقال: "يا أمير المؤمنين، عساك تتوهم أن هذا الملك ليس له من الأعداء مثل ما له من الأولياء! تجلس في مجلسك يتبدل فيك فيه مثل هؤلاء الكلاب تجذبوا ذيلك، وكل واحد منهم متتكر بصورة منكرة^(٢)، فما يؤمن أن يكون فيهم عدو وقد احتسب نفسه ديانة وله نية فاسدة وطوية

١- إسحق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبي، الخزاعي، أبو الحسن، صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. كان مقربا من الخلافة، ذاهبا رأي وشجاعة، استخلفه المأمون على بغداد حين برحها لغزو الروم سنة ٢١٥هـ، وأضاف إليه ولاية المواد وغيرها، وقد سيره المعتصم لقتال أصحاب بابك الخرمي، فظفر بهم. وحج سنة ٢٣٠هـ فولّي أحداث الموسم. ولما مرض أرسل إليه المتوكل ابنه المعتز يعوده. وقد جزع المتوكل لموته، وقد مات ببغداد. انظر ترجمته في الأعلام ١: ٢٨٣ - ٢٨٤ حيث يذكر مصادره.

٢- انظر "صور من التمثيل في الحضارة العربية من الكج حتى المقامات" حيث يرى الدكتور محمد نجم أن أصحاب السماجة كانوا متتكرين إما بالأقنعة أو كانوا كالممثلين الهزليين الذين يطلون وجوههم بالأصابع أو الذين يلبسون ملابس تنكر أشكالهم.

ردية ، فيثب بك ! فمتى كان يستقال هذا ، ولو أخليت الأرض منهم ؟ " فقال : " يا أبا الحسين ، لا تغضب ! فوالله لا تراني على مثلها أبدا " . وبني للمتوكل بعد ذلك مجلس مشرف ، ينظر منه إلى السجاجة ^(١) ويلاحظ أنه على الرغم من احتجاج إسحق على ظهور هؤلاء الممثلين — أصحاب السجاجة — فإنه قد بني للخليفة مجلس مشرف ينظر منه إليهم ، وكأنه قد حوّل المكان الذي يقومون فيه بحكاياتهم إلى خشبة مسرح يؤدون عليها أدوارهم .

وكان المتوكل يشارك جلساءه في أحاديث الشعر ، فقد سأل أحد جلسائه : " من أشعر الناس في زماننا ؟ " فقال : " البحري " (ت ٢٨٤ هـ) ثم قال : " وبعده ؟ " قال : " مرزبان أبي حفصة " (ت ١٨٢ هـ) ، فالتفت إلى جلسائه وسأله : " من أشعر زماننا ؟ " قال : " علي بن محمد العلوي " ، قال : " وما تحفظ من شعره ؟ " قال : " قوله :

"لَقَدْ فَاخَرْتَنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَصَابَةً بِمِطِّ خُدُودٍ وَأَمْتِدَادِ الْأَصَابِعِ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْقَضَاءَ قَضَى لَنَا عَلَيْهِمْ بِمَا نَهَوَى نِدَاءُ الصَّوَامِعِ"

قال المتوكل : " وما معنى نداء الصوامع ؟ " قال : " أشهد أن لا آله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله " ، قال : " وأبيك إنه لأشعر الناس " ^(٢) .

١ — الديارات ص ٢٦ .

٢ — المحاسن والمساوي ص ١٠٣ .

وكان البحتري شاعره ونديمه ، فقد كان قاعدا في أحد المجالس عنده فمرت
سحابة فقال له : " قل " ، فقال البحتري :

"مُسْفُوحَةُ الدَّمْعِ بَغِيْرٌ وَجِدْ لَهَا نَسِيْمٌ كَسِيْمٍ الْوَرْدُ"

ثم أنشده لمروان بن أبي حفصة :

"رَجَحَتْ زُبَيْدَةُ وَالنِّسَاءُ شَوَائِلُ^(١) وَاللَّهُ أَرْجَحُ بِالتَّقَى مِيزَانَهَا"

فصاح به المتوكل صيحة ، فقال : " كذبت ، قل رجحت قبيحة^(٢) " ثم طلب منه المتوكل
أن ينشد لآخر فقال :

"أَلْحَقَنِي بِالْمُلُوكِ مُعْتَصِمٌ بِاللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ فِي عَصِمَةٍ"

فلما سمعها ارتاح ، ثم قال له : " سل " فقال : " تعطيني فترا من فتر قلبك " ، فقال
له : " أنت بهذا أشعر " ، ثم طلب منه أن ينشده ، فأنشد للخليع^(٣) .

١- يقال شال الميزان : ارتفعت إحدى كفتيه ، ويقال شال ميزان فلان ، وهو مثل
في المفاخرة ، يقال فاخرته فشال ميزانه ، أي فخرته بآبائي وغلبته . راجع
اللسان مادة شول .

٢- جارية المتوكل .

٣- المحاسن والمساوي ص ٤٥٠ - ٤٥٢ .

وكان البحترى يعرف كيف يقتص شعره جوائز المتوكل ، ويروي : " دخلت على المتوكل يوما فرأيت في يديه درّتين ما رأيت أشرق من نورهما ، ولا أنقى بياضا ولا أكبر ، فأدّمت النظر إليهما ، ولم أصرف طرفي عنهما ، ورآني المتوكل فرمى إليّ التي كانت في يده اليمنى ، فقبلت الأرض وجعلت أفكر فيما يضحك طمعا في الأخرى ، فعنّ لي أن قلت :

تَغْرِفُ مِنْ كَفِّهِ الْيَحَارُ	"بُسْرَ مَرًّا لَنَا إِمَامَ
كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ	خَلِيفَةُ يُرْتَجَى وَيُخْشَى
مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ	الْمَلِكُ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ
هَذَا عَلَى هَذِهِ تَغَارُ	يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ
إِلَّا أَنْتَ مِثْلُهُ الْيَسَارُ .	وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينُ شَيْئًا

فرمى بالدرّة التي كانت في يده اليسار^(١) .

وقد جرت للبحترى مع أبي العنيس الصيمري^(٢) (ت ٢٧٥ هـ) نوادر مضحكة في

١- بدائع البدائة ٢ : ٨٩ - ٩٠ .

٢- محمد بن إسحق بن إبراهيم بن أبي العنيس الصيمري ، أبو العنيس ، كان أدبيا ، ظريفا ، عارفا بالنجوم ، شاعرا ، هجاء ، وهو من أهل الكوفة ، ولحق قضاة الصيمرية فنسب إليها . قدم بغداد ونادم المتوكل والمعتمد ، دفن في الكوفة . وله تصانيف كثيرة . راجع ترجمته في الأعلام ٦ : ٢٥٢ .

حضرة المتوكل ويروي أبو العنبر الصيمري قوله : " كنت عند المتوكل والبحري ينشده :

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ تَبَسَّيْتُ وَأَبَى طَرْفٍ تَحْتَكِبُ

حتى بلغ إلى قوله :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ الْوَلَدُ مُتَوَكِّلِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ
وَالْمُجْتَدِي بْنِ الْمُجْتَدِي وَالْمُنْعِمِ بْنِ الْمُنْعِمِ
إِسْلَمَ لِدِينٍ مُحَقَّقٍ وَإِذَا سَلِمْتَ فَقَدْ سَلِمَ

وكان البحري من أبغض الناس إنشادا ، يتشدد ويتزاور في مشيه ، مرة جائيا ومرة القهقري ، ويهز رأسه مرة ومنكبه أخرى ، ويشير بكمه ، ويقول : " أحسنت والله " ، ثم يقبل فيقول : " ما لكم لا تقولون : أحسنت ؟ هذا والله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله ، فضجر المتوكل من ذلك ، وأقبل علي ، فقال : " أما تسمع يا صيمري ما يقول ؟ " فقلت : " بلى يا سيدي ، فمر فيه بما أحبيت " ، فقال : " بحياتي ، اهجه على هذا الروي الذي أنشدنيه " . فقلت :

فِي أَبِي سَلَحٍ تَلْتَطِئُ وَأَبَى كَفٍّ تَلْتَقِئُ
أَدْخَلْتَ رَأْسَكَ فِي الْحُرْمِ وَعَلِمْتَ أَنَّكَ تَهْمِلُ
يَا بُحْرِي حَذَارِ وَيْ لَكَ مِنْ قَضَاقِضَةٍ ضَغْمٍ (١)

١- القضاضة : من أوصاف الأسد . انظر اللسان مادة قضض الضغم : العض الشديد ومنه سني الأسد ضيغما . انظر اللسان مادة ضغم .

وَاللَّهُ خَلْفَهُ صَادِقٌ	وَيَقْبُرُ أَحْمَدَ وَالْحَرَمُ
وَيَحَقُّ جَعْفَرُ الْإِمَامَا	مُأَبِّنُ الْإِمَامِ الْمُعْتَصِمِ
لَأَصِيرَنَّ شُهُرَةً	بَيْنَ الْمَسِيلِ إِلَى الْعِلْمِ
يَا أَبْنُ الثَّقِيلَةِ وَالثَّقِيبِ	عَلَى قُلُوبِ ذَوِي الثَّعْمِ
وَعَلَى الصَّغِيرِ مَعَ الْكَبِيرِ	يَسِرُّ مَعَ الْمَوَالِي وَالْحَشَمِ

فخرج البحتري مغضبا يعدو، وجعلت أصبح خلفه :

"أَدْخَلْتَ رَأْسَكَ فِي الْحَرَمِ" وَعَلِمْتَ أَنَّكَ تَهْمُنُ

والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عنه ، وأمر لأبي العنبر عشرة آلاف درهم^(١) .

وكان الصيمري يقوم بإضحاك المتوكل بسرد النوادر والأشعار التي تبعث السرور في نفسه ، فقد قال المتوكل له : " أخبرني عن حمارك ووفاته ، وما كان من شعره في الرؤيا التي أريتها ، قال : " نعم يا أمير المؤمنين ، كان أعقل من القضاة ، ولم يكن له جريرة ولا زلة ، فاعتل على غفلة ، فمات منها ، فرأيت فيما يرى النائم ، فقلت له : " يا حماري ، ألم أبرد لك الماء ؟ وأتق لك الشعير ، وأحسن إليك جهدي ؟ فلم مت على غفلة ؟ وما خبرك ؟ " قال : نعم ، لما كان في اليوم الذي وقفت على فلان الصيد لاني تكلمه في كذا وكذا ، مرت بي أتان حسنا ، فرأيتها ، فأخذت بمجامع قلبي ،

فَعَشَقْتُهَا ، وَاشْتَدَّ وَجْدِي بِهَا ، فَمَتَّ كَمَا مَنَاسِفَا ، فَقُلْتُ لَهُ : " يَا حِمَارِي فَهَلْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ شَعْرًا ؟ " قَالَ : " نَعَمْ " ، وَأَنشَدَنِي :

هَامَ قَلْبِي بِأَتَانٍ	عِنْدَ بَابِ الصَّيْدَانِي
تَيْتَنِي يَوْمَ زَحْنَا	بِثَنَائِهَا الْحَسَانِ
وَيَخْدِنُ أَسِيلَيْنِ	كَلُونِ الشَّنْقَرَانِي
فَبَهَا مَتَّ وَلَوْ عِشْتُ	إِذَا طَالَ هَسْوَانِي

قُلْتُ : " يَا حِمَارِي ، فَمَا الشَّنْقَرَانِي ؟ " فَقَالَ : " هَذَا مِنْ غَرِيبِ الْحَمِيرِ " ، فَطَرِبَ الْمُتَوَكَّلُ ، وَأَمَرَ الْمَلْهُمِينَ وَالْمَغْنَمِينَ أَنْ يَغْنَوْا ذَلِكَ الْيَوْمَ بِشَعْرِ الْحِمَارِ ، وَفَرِحَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ فَرَحًا شَدِيدًا ، وَسَرَّ سُرُورًا عَظِيمًا لَمْ يَرِ مِثْلُهُ ، وَزَادَ فِي تَكْرِمَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَجَائِزَتِهِ ^(١) .

وَتَقَرَّبَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ (ت ٢٤٩ هـ) مِنَ الْمُتَوَكَّلِ فَنَادَاهُ ، وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ عِنْدَمَا أَتَى بِرَأْسِ أَحَدِ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ يَخْطُرُ بَيْنَ يَدَيْ الرُّسُولِ وَهُوَ يَرْتَجِزُ :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ
جِئْتُ بِمَا يُشْفِي مِنَ الْغَلِيلِ

فَقَالَ الْمُتَوَكَّلُ : " التَّقَطُّوا هَذَا الْجَوْهَرَ لَا يَضِيعُ " ^(٢) .

١- مرجع الذهب ٤ : ٩٢-٩٣ . وكان للمتوكل مضحك آخر هو الحسين بن شعرة . راجع ذلك في المكانة ص ١٣٢ .

٢- بدائع البدائة ٢ : ٨٤ .

وكان ندما المتوكل الشعراء يتنافسون بالإشاد في مجلسه وكان هويشجع ذلك ، فعندما اجتمع علي بن الجهم ومروان بن أبي الجنوب^(١) (ت نحو ٢٤٠ هـ) عنده ، وكان علي يحسده على مكانته عند المتوكل ، فقال المتوكل : "أيكما أشعر؟" فادعى الإثنين التفوق ، ثم اختير أحد الجلساء قاضيا بينهما ، ولكن عليا بن الجهم لم يستطع القول لغلبة السكر عليه ، أما مروان فقد هجاه وقال فيه شعرا مضحكا ، وتغلب عليه^(٢) .

واتصل بالمتوكل علي بن يحيى المنجم^(٣) (ت ٢٧٥ هـ) الذي ورث شهرة الخليل وإسحق الموصلي^(٤) ، والذي يعتبر أشهر ندما القرن الثالث الهجري ؛ وقد وصفه الفتح بن خاقان (ت ٢٤٧ هـ) للمتوكل ليجالسه إذا قعدمع الحزم ، ولكنه خشي على نفسه من ذلك فاعتذره^(٥) وكان المتوكل يستدعيه ليروي له

١- مروان بن يحيى (أبي الجنوب) بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، وال من الشعراء ، كنيته أبو السنفطه ويلقب بعبار العسكر لبيت قاله . ويعرف بمروان الأصغر تميزا له عن جدّه محسنت حاله عند المتوكل ، وخص به وناداه ، وقلقه المتوكل الأيامة والبحرين وطريق مكة . راجع ترجمته في الأعلام ١٨ : ٩٨ حيث يذكر مضاده .

٢- بدائع البداة ١٩ : ١١ - ٢١ ، وانظر الأغاني ٨١ : ١٢ .

٣- انظر ترجمته في الملحق الأول .

٤- انظر معجم الأدباء ١٥ : ١٦٤ - ١٦٦ .

٥- انظر معجم الأدباء ١٥ : ١٦٤ - ١٦٦ .

الأشعار^(١) . وكان معجبا به وقد طلب ذات يوم منه أن يحضر طعاما من منزله ، وطلب أن يحضر جليس آخر طعاما من منزله ، وبعد أن رأى المتوكل ما أحضر من منزليهما ، ووجد أن أثر النعمة لم يظهر على الجليس الآخر ، أخرجه من جلسائه وأمر بنفيه إلى البصرة وقال عنه : " ما في هذا خير ولا يصلح مثله لمجالستي " ولكنه أعجب بطعام علي بن يحيى المنجم فقال له : " وكذا فليكن من خدم الملوك " ^(٢) .

وأصبح علي بن يحيى المنجم مقدما عند المتوكل ، فلزمه في مجالسه ، وقد حضر عنده في أحد مجالس الشرب والعبث ، فأظهر براعة في الحديث ، وفي طلب الطعام ، وفي صفة الشراب والغناء ، مما نفع أحد الجلساء إلى مخاطبته قائلا : " لأمر ما قدمته فيك ألف خصلة : طبيب ، ومضحك ، وأديب ، وجليس ، وحذق طبّاح ، وتصرف مغنّ ، وفكر منجم ، وفطنة شاعر ، ما تركت شيئا يحتاج إليه الملوك إلا ملكته " ^(٣) . ولحظوته عند المتوكل طلب منه أن يعطيه مائة ألف دينار ، فكره الخليفة أن يقال إنه أعطاهم لجليس دفعة واحدة ، فوعد أن يعطيها متفرقة ^(٤) .

١- انظر المحاسن والمساوي ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

٢- انظر معجم الأدباء ١٥ : ١٤٨ - ١٥٣ .

٣- المصدر السابق ١٥ : ١٦٠ - ١٦٣ .

٤- المصدر السابق ١٥ : ١٥٣ .

وجالس المتوكل جماعة من العلماء كابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) وأبي عبيد الله بن حمدون^(١) (ت نحو ٢٥٥ هـ) ومحمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦ هـ) الذي كان طرفا في المحاورات والمناظرات اللغوية في مجلسه^(٢).

وكان ابن حمدون أخف الناس روحا وأحلام دعاة، وكان المتوكل يستملحه، فقال يوما "الزئبق من أين يجاء به؟" فقال ابن حمدون: "من الشيز، وأنا أعرف الناس بها"، قال: "قد وليتك إياها"، فاخرج إليها، فضاقت به الدنيا، وأنشده:

وَلَايَةَ الشِّيزِ عَزَلُ وَالْعَزْلُ عَنْهَا وَلَايَةٌ
فَوَلَّيْتُ الْعَزْلَ عَنْهَا إِنْ كُنْتُ بِي ذَا عِنَايَةٍ

فضحك المتوكل وأعفاه^(٣).

وأكرم المنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ) الحسين بن الضحاک الذي أصبح عاجزا كبيرا لسنه وقد هناه بالخلافة بقوله:

١- انظر ترجمته في الملحق الأول.

٢- معجم الأدباء ٧: ١٣٠ - ١٣٢.

٣- ذيل زهر الآداب ص ٢٩٩. والشيز موضع بأذربيجان. انظر معجم البلدان مادة: شيز.

"تَجَدَّدَتِ الدُّنْيَا بِمُلْكِ مُحَمَّدٍ
هَنَّتَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خِلَافَةً
فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالزَّمَانِ الْمَجْدِ
جَمَعَتْ بِهَا أَهْوَاءَ أُمَّةٍ أَحْمَدِ"

قال له : "إِنَّ فِي بَقَائِكَ بِهَا" للملك ، وقد ضعفت عن الحركة ، فكاتبني بحاجاتك ولا تحمل نفسك بكثرة الحركة " . ووصله بثلاثة آلاف درهم ليقضي بها ديننا بلغه أنه عليه (١) .

والمنتصر من الخلفاء الذين يروى لهم صنعة في الغناء (٢) . ولذا قرب المغنيين وغيرهم من الجلوس والندمات ، وكان إذا أراد الخلوة بهم أنشد :

"لَعَرَبِي لَقَدْ أَصْحَرْتُ خَيْلُنَا
فَمَنْ يَكُ مِنْنَا يَيْتُ آمِنًا
بِأَكْثَافِ دِجْلَةَ لِلْمَلْعَبِ
وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرَبُ (٣) "

١- الأغاني ٩ : ٢٧٦ ، ٣٠١ .

٢- انظر المصدر السابق ٩ : ٢٧٦ ، ٣٠١ .

٣- انظر المصدر السابق ٩ : ٣٠١ .

وقد اختص من المغنين عبد الله بن العباس الربيعي^(١) الذي استدعاه يوما وهو مصطبح فقال له : " يا عبد الله ، اصنع لحنا ، وغني به ، فغناه :

" يا طيبَ يَوْمِي في قَرَّاحِ^(٢) التَّرْجِسِ في مَجْلِسٍ ما قَبْلَهُ مِنْ مَجْلِسِ
تُسْقَى مُشْعَشَعَةً كَأَنَّ شَعَاءَهُ نَارَ تَشْبَلِبائِسٍ مُسْتَقْبِلِ^(٣)

ولكن المنتصر قدم عليا بن يحيى المنجم على جميع جلسائه وندمائه ، وفلده الأعمال^(٤) :

وعندما تولّى المستعين الخلافة (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ) تابع تقريبه لعلي بن يحيى

المنجم ، فقدمه على جميع جلسائه وندمائه ، وأقره على ما تقلده من أعمال ، ولم يكن يأكل إلا ما يحمل إليه من منزله^(٥) .

١- عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، شاعر مطبوع ، ومغني محسن ، حسن الرواية غنى للرشيد ومن بعده من الخلفاء ، وكان مشغوبا بشرب الخمر . راجع ترجمته وأخباره في الأغاني ٢١٩ : ٢١١ وما بعدها .

٢- القراح من كل شيء : الخالص . انظر اللسان مادة قرح .

٣- الأغاني ٢٣٧ ، ١١٩ .

٤- انظر معجم الأدباء ١٧١ : ١٥ .

٥- انظر المصدر السابق ١٧٢ : ١٥ .

وقرب المستعين أبا جعفر البلاذري^(١) (ت ٢٧٩ هـ) الذي يروي قوله : " كنت من جلساء المستعين ، فقصده الشعراء ، فقال : " لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحتري في المتوكل :

" ولو أن مُشْتَقًا تكلف فوق ما في وسعه لمشي إليك المنبر "

فرجعت إلى داري ، وأتيتة وقلت : " قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري " ، فقال : " هاته " ، فأنشدته :

" وَلَوْ أَنَّ بَرْدَ الْمُضْطَفَى إِذْ لَبِسَتْهُ
يَظُنُّ ، لَظَنَّ الْبَرْدُ أَنَّكَ صَاحِبُهُ
وَقَالَ وَقَدْ أُعْطِيَتْهُ وَلَبِسَتْهُ
نَعَمْ ، هَذِهِ أَعْطَانِي وَمُنَاكِبُهُ "

فقال : " ارجع إلى منزلك ، وافعل ما أمرك به ، فرجعت ، فبعث إلي سبعة آلاف دينار ، وقال : " أذكر هذه للحوادث من بعدي ، ولك علي الجراية ما دمت حيًا " .^(٢)

ولما تولى المعتز بالله (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ) الخلافة حرص على تقريب علي بن يحيى المنجم ، فكان أول من طلب للمنادمة ، ولما شخص إليه لقيه أجمل لقاء ، وخلع عليه

١- أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري مؤرخ ، جغرافي ، نسابة له شعر . من أهل بغداد ، جالس المتوكل ومن بعده ، ومات أيام المعتمد ، كان يجيد الفارسية وترجم عنها كتاب " عهد أردشير " ، أصيب في آخر عمره بالذهول ، وقيل إنه أكل من حب البلاذري فكان سبب علته . وله تصانيف . راجع ترجمته في الأعلام ١ : ٢٥٢ حيث يذكر مصادره .

٢- وفيات الأعيان ٦ : ٢٤ ، الكشكول ٢ : ٤١ . ويلاحظ أنه تحول إلى موظف عنده .

ووصله وأقرّه على ما كان يتقلّده من الأعمال^(١) . كما انه نادى حمدون بن اسماعيل^(٢)
(ت ٢٥٤ هـ) .

والمعتز من الخلفاء الذين ينسب إليهم غناء بعض الأصوات ، كما ينسب إليه
بعض الأشعار ، وهذا ما مكّنه من إجازة بعض أشعار جلسائه ، وعندما تنازع بعضهم
في حضرته ، حاول أحدهم الاعتذار عما بدر منهم فقال :

"عَادَتُكَ الصَّفْحُ وَالذُّنُوبُ لَنَا "

فقال المعتز :

"كَذَّآكَ فِعْلُ الْعَبِيدِ وَالْمَلِكِ "^(٣) .

كما أنّه كان يصنع بعض الأشعار ويعرضها على جلسائه طالبا منهم إجازتها ، فقد
دخل عليه أحدهم فسلم عليه فقال له المعتز : "إني قلت في ليلتي هذه أبياتا وقد أعيا
عليّ إجازتها" ، فقال : "انشدني" ، فأنشده :

"مَنْ كَانَ يَشْغُلُهُ عَنْ حُبِّهِ وَجَعٌ
فَلَيْسَ يَشْغُلُنِي عَنْ حُبِّكُمْ وَجَعِي "

١- انظر معجم الأدباء ١٥ ، ١٧٣ - ١٧٤ .

٢- انظر ترجمته في الملحق الأول .

٣- بدائع البدائة ١ : ٦٢ .

فقال :

"وما أَمَلُ حبيبي ليلةً أبداً
مع الحبيبِ يا لَيْتَ الحبيبِ معي"
فأمر له بألف دينار^(١) .

وفي مجالس اصطباحه كان يقترح الأصوات على المغنين ويواصل الشرب بقيّة
يومه ، ويوزّع الجوائز على الجلساء^(٢) .

ومجيء المهتدي (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ) اختفت المناديات لانه حثّم الشرب^(٣) ،
ولذا قرب العلماء ورفع من منازل الفقهاء^(٤) . ولذا قُرب من يحدثه عن الخلفاء
الراشدين^(٥) .

١- العقد الفريد ٥ : ٣٧٦ .

٢- انظر الأغاني ١٠ : ٢٢٦ .

٣- ذهب المهتدي إلى القصد والدين ، وكان يقول : " يا بني هاشم ، دعوني حتى أسلك
مسلك عمر بن عبد العزيز ، فأكون فيكم مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية " ، وقُلل من
اللباس والفرش والمطعم والمشرب ، وأمر بإخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت
وضربت دنانير ودراهم ، وعمد إلى الصور التي كانت في المجالس فمحيت . . . وكانت قبله
الخلفاء تنفق على موائد ها في كل يوم عشرة آلاف درهم ، فأزال ذلك ، وكان يواصل الصيام .
وكل ذلك أسهم في اختفاء ندماء الشراب من مجلسه . راجع مروج الذهب ٤ : ١٨٩ .

٤- انظر المصدر السابق ٤ : ١٨٩ .

٥- انظر المصدر السابق ٤ : ١٩٣ .

ونادم المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) علياً بن يحيى المنجم الذي نال منه ما نال من المتوكل^(١)، وشغف بالطرب وغلب عليه المعاقرة ومحبة الغناء الذي كانت له صفة فيه^(٢). ونادم من المغنيين عبد الله بن محمد الأمين العباسي^(٣)، كما اتصل به النديمان المغنيان جحظة البرمكي^(٤) (ت ٣٢٤ هـ) وهبة الله بن ابراهيم بن المهدي^(٥) (ت ٢٧٥ هـ).

ولما تولى المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) الخلافة وكل بنديماً أحد الموظفين^(٦)،

١- انظر معجم الأدباء ١٥ : ١٧٤ .

٢- انظر مروج الذهب ٤ : ٢٢٠ ، والأغاني ٩ : ٣٢٣ .

٣- عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد ، شاعر غزل ظريفه وكان مغنياً ، نادم الوثائق والخلفاء بعده إلى المعتمد . راجع الأغاني : ١٩٨ - ٢٠٠ .

٤- أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد بن برمك ، أبو الحسن ، أديب ، مغنٍ ، من بقايا البرامكة ، من أهل بغداد ، كان في عينيه نتوء فلُقبه عبد الله بن المعتز بجحظة ، فلزمه اللقب . كان كثير الرواية والأخبار ، متصرفاً في فنون العلم كاللغة والنجوم ، مليح الشعر ، حاضر النادرة ، عارفاً بالموسيقى ، ولم يكن أحد يتقدمه في صناعة الغناء . نادم ابن المعتز والمعتمد ، وله تصانيف يهود يوان شعر . انظر ترجمته في الأعلام ١٠٢ : ١-١٠٣ حيث يذكر مصادره .

٥- هبة الله بن ابراهيم بن المهدي ، أبو القاسم ، شاعر ، عالم بالغناء ، من أمراء آل عباس . من أهل بغداد ، أسود اللون . جالس الخلفاء وآخر من جالسه المعتمد توفي كتاب الصولي والمرزباني نماذج من شعرة . انظر ترجمته في الأعلام ٩ : ٥٦ حيث يذكر مصادره .

٦- ذيل زهر الآداب ص ١٨١ .

وقرب يحيى بن علي بن يحيى المنجم^(١) (ت ٣٠٠ هـ) الذي كان ينادمه وينشده الشعر ويتحدث عن مجالسته فيقول: "كنت يوماً بين يدي المعتضد وهو مقطب، فأقبل أحد غلمانہ، فلما رآه من بعيد ضحك، وقال لي: "يا يحيى من الذي يقول من الشعراء؟

"فِي وَجْهِهِ شَانِعٌ يَمْخُو إِسَاءَتَهُ
مِنَ الْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثُمَا شَفَعَا"

وبعد أن أخبره عن قائله، قال: "لله دره، انشدني هذا الشعر" فأنشده:

"وَنَلِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النَّوْمُ فَاْمْتَعَا
وَزَادَ قَلْبِي عَلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعَا"^(٢)

وبرز أيامه لاعبوا الشطرنج من آل حمدون، فكان يجالسه منهم عبد الله بن حمدون^(٣) (ت ٣٠٩ هـ)^(٤). وقد فكر المعتضد بحبسه لدين لحقه لكنه اضطر أن يلزم المال ويسدد الدين حتى لا يبطل أنسه. ويتحدث الناس أنه بخل بقضاء دين نديم له^(٥). واختص المعتضد من المغنيين أحمد بن أبي العلاء الذي غناه في أحد مجالسه بشعر الوليد بن يزيد بن عبد الملك^(٦).

١- انظر ترجمته في الملحق الأول.

٢- مروج الذهب ٤: ٢٧٩.

٣- انظر ترجمته في الملحق الأول.

٤- انظر نشوار المحاضرة ١: ٢٦٨. وكان يأنس بعبد الله بن حمدون في خلواته. راجع

مروج الذهب ٤: ٢٣٢.

٥- انظر نشوار المحاضرة ١: ٢٦٨.

٦- انظر الأغاني ١: ١٣٢.

ولما تولى المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) الخلافة اختص يحيى بن علي بن يحيى المنجم^(١) كما اختص أبا محمد عبد الله بن حمدون وقد ذكر مجلسا له معه دارت الأحاديث فيه حول الأشرة فقال : " تذاكرنا يوما بحضرة المكتفي أصناف الأشرة ، فقال : " فيكم من يحفظ في النبذ شيئا ، فأنشدته قول ابن الرومي :

إذا أجدت حبه ودبسه ثم أجدت ضربه ومرسه
ثم أطلت في الإناء حبسه شربت منه البابلي نفسه

فقال المكتفي : " قبحه الله ما أشربه ، لقد شوقني هذا اليوم إلى شربه " ^(٢) . واختص المكتفي من العلماء المحدثين نبطويه^(٣) النحوي (ت ٣٢٣ هـ) الذي كان يؤاكلة ويروي له الأحاديث المضحكة^(٤) .

وقرب المكتفي أبا بكر محمد بن يحيى الصولي الذي كان ينشده لبعض الشعراء والذي بدأ اتصاله به لاعبا للشطرنج بين يديه حيث استطاع أن ينال إعجابه بعد أن تغلب

١- انظر المصدر السابق ١٩٨ : ٦ .

٢- مروج الذهب ٢٨٩ : ٤ .

٣- إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ، المعتكي ، أبو عبد الله ، من أحفاد المهلب بن أبي صفرة ، إمام في النحو ، كان يروي مذهب سيويه فلقب بنبطويه ، كان فقيها وثقة في الحديث . كان دميم الخلقة ويغلب عليه سذاجة الملبس . مات ببغداد ، وله تصانيف . راجع ترجمته في الأعلام ٥٧ - ٥٨ حيث يذكر مصادره .

٤- مروج الذهب ٢٩٠ : ٤ .

على الماوردي (١) .

ولما تولى المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) الخلافة قرب مشاهير المغنيين في عصره كجحظة البرمكي وإبراهيم بن أبي العبيس (٢) ، وكان يستدعيهما غالبا لتأخذ جواره ما يستحسنه من أصوات (٣) .

وخلفه القاهر بالله (٣٢٠ - ٣٢٢ هـ) الذي اختص محمدا بن علي العبدي الخراساني محدثا ، فأنس به ، وكان يحدثه عن خلفاء بني العباس السابقين (٤) .

وظهر في القرن الرابع الهجري الراضي بالله (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) كأشهر الخلفاء الذين قربوا الجلساء والندماء (٥) ، مع أنه بقي سنتين من عهده لا يشرب ، ولكن جلساءه وندماءه كانوا يشربون بحضرته ، وعندما حصل على رخصة من الفقهاء شرب وانغمس في المناديات (٦) .

١- انظر وفيات الأعيان ٤ ، ٣٥٩ - ٣٦٠ .

٢- انظر ترجمته في الملحق الأول .

٣- الأغاني ١٥ ، ٢٢١ - ٢٢٢ .

٤- انظر مروج الذهب ٤ ، ٣١٣ - ٣١٩ .

٥- وهذا ما جعل المصادر تصفه بأنه "آخر خليفة جالس الجلساء" ، ووصل إليه الندماء ، وآخر خليفة كانت مراتبه وجوائزه وخدمه وحجابه تجري على قواعد الخلفاء المتقدمين .
انظر نشوار المحاضرة ١ ، ٣٠٠ هو الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٠٤ .

٦- انظر أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص ٤٧ .

ويصف الصولي أول جلسة للراضي بالله بعدما استدعى الندما والجلسا والمرسومين بالمجالسة فيقول : "أمر الراضي بأن يكون ترتيب جلوسنا على ما أنا أذكره ، رسم أن يكون على يمينه أقربنا إليه ، إسحق بن المعتمد ، ثم أكون أنا تاليا له ، ثم يكون العروضي ^(١) (ت ٣٣٦ هـ) تاليا لي ، ثم يكون ابن حمدون ^(٢) تاليا له ، ثم يجلس الباقيون عن يسره ، على ترتيب ربما اختلف . فكنا في المجلس في أول جلسة جلسها ، أربعة عن يمينه ، كما ذكرت ، وخمسة عن يساره ، وهم يوسف وأحمد أبنا يحيى المنجم ^(٣) (ت ٣٢٧ هـ) ، وعلي بن هارون بن علي بن يحيى ^(٤) المنجم (ت ٣٥٢ هـ) ، واليزيدان ، إسحاق وعلي أبنا إبراهيم ^(٥) . وعند ما حضر ندماؤهم جلسوا حوله ، وأخذوا يتبارون في الشرب بين يديه ، وكان يقول لهم : "أمر النبذ إليكم ، فاشربوا ما شئتم" ^(٦) .

-
- ١- أحمد بن محمد بن أحمد العروضي ، عالم بالعروض ، أدب الراضي بالله ، وناداه ، وأدب أولاده ، وحظي عنده ، فأنس به وقربه . راجع معجم المؤلفين ٢ : ٧٣ حيث يذكر مصادره .
 - ٢- هو محمد بن عبد الله بن حمدون . راجع ترجمته في الملحق الأول .
 - ٣- انظر ترجمة أحمد بن يحيى المنجم في الملحق الأول .
 - ٤- انظر ترجمته في الملحق الأول .
 - ٥- أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص ٨-٩ .
 - ٦- انظر مجالس شربه في المصدر السابق ص ٥٥-٥٦ .

ويعتبر أبو بكر محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي أشهر ندمائه بل يمكن اعتباره أشهر ندماء القرن الرابع الهجري . ويروى عن شغف الراضي بلعبه وإعجابه به أنه : "أتى في بعض متنزحاته بستانا مونقا وزهرا رائقا ، فقال لمن حضره ممن كان في ندمائه : "هل رأيتم منظرا أحسن من هذا ؟" "فكل أثنى، وذهب فيه إلى مدحه ووصف محاسنه ، وأنه لا يقي بها شيء من زهرات الدنيا ، فقال الراضي : "لعب الصولي بالشطرنج أحسن من هذا ومن كل ما تصفون" (١) .

وقد نظم الراضي حضور الجلوس والندماء فجعل لهم نوبات يحضرون فيها مجالسه (٢) ، وكان كريما يحب أن يوكل طعامه ، وكثيرا ما كان يقول لخلطائه : "أمر الأكل إلّاي ، لا بدّ من مطالبكم به حتى تأكلوا معي" (٣) .

وقد خلفه أخوه المتقي لله (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ) فلم يشرب النبيذ قط ، ولم يقرب الندماء معاقري الشراب ، وكان يقول : "لا أريد جليسا ، أنا أجالس المصحف" (٤) .

١- وفيات الأعيان ٤ : ٣٥٩ .

٢- أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص ١٣٧ .

٣- المصدر السابق ص ٥٦ .

٤- المصدر السابق ص ١٩٣ . ويروى أيضا أن الصولي كان واقفا بين يديه فقال له أحد الخدم : "إنه ليس مثل الراضي ، وأنه لا يريد الجلوس" . انظر الصفحة السابقة من المصدر نفسه .

ولذا فإن السعودي يتحدث عن مجالسته للعلماء ، ويروي : " أنه استدعى أحد الإخباريين ليحدثه عندما أرق في إحدى الليالي ، فأنس به ، واصطحبه إلى الرقة وإلى الأماكن التي تنقل إليها " .^(١)

ولكن الذي ناب عن المتقي في تقريب ندما ، الشراب كان بجكم التركي ، فقد انتقل أبو بكر الصولي إلى منادته ، وقد أمر أن يؤخذ له منزل قربه^(٢) . ويتحدث عن حظوته عنده فيقول : " وكان ربما شغلت عن خدمته والأوقات التي يريدني فيها لمؤاكلته ومجالسته ، وكنا نخدمه في كل يوم بلا نوبة ، فجعل لنا من أجل مجلس الجمعة يومين في الأسبوع ، الثلاثاء والجمعة نجلس فيهما في بيوتنا ، فكنت مباركا في ذلك على الجماعة المجالسين له " .^(٣)

ثم اضطربت الأمور بعد المتقي وحتى نهاية القرن الرابع الهجري ، فأصبحت مجالس رجال الدولة تستقطب أهم الجلساء والندما ، ولكن مجالس الدويلات التي استقلت عن الدولة العباسية هي التي أصبحت مقصد الندما والجلساء من رجال العلم والظرف .

١- مرجع الذهب ٤ : ٣٤٣ .

٢- انظر أخبار الرازي بالله والمتقي لله ص ١٩٣ - ١٩٤ .

٣- المصدر السابق ص ١٩٤ .

وتوقفنا عند المتقي لله لأن الأمور اضطربت عليه وعلى من تلاه ، فاستولى الديلم على الحكم ، فالمتقي هرب مع ابنه إلى الموصل خوفاً على نفسه ، ولما استدعاه الديلم إلى بغداد سملوا عينيه وخلعوه ، وبايعوا المستكفي (٣٣٣ - ٣٣٤ هـ) الذي لاقى هير سلفه ، وملك بعده خلفاء ضعاف لأن شوكة بني بويه قويت فسيطروا على الخلفاء الذين كانوا كالمولى عليهم ، لا أمر ينفذ لهم ، فالذين استقلوا بدويلاتهم عن بغداد اقتصروا على مكاتبة الخلفاء بإمرة المؤمنين ، والدعاء لهم ، وأما بالحضرة فتفرد بالأمور غيرهم ، فصاروا مقهورين خائفين ، قد قنعوا باسم الخلافة ، ورضوا بالسلامة^(١) .

وأبرز ما يلاحظ في منادات العصر العباسي الذي استمر في بهائه ما يقارب القرنين من الزمان أن هناك عائلات تخرج منها عدد من الندماء المشهورين الذين احترقوا منادمة الخلفاء كعائلة الموصلي والمنجم وحمدون^(٢) .

ويلاحظ أيضاً أن المنادات أسهمت في نهضة الحركة الأدبية والفنية والنقدية لأن مجالسها كانت ملتقى رجال العلم والفن .

١- راجع الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٠٧ وما بعدها . وانظر التنبيه والأشراف ص ٤٠٠ .

٢- انظر الملحق الأول .

- الفصل الثاني -

صفات الندما والجلساء وأخلاقهم وتصرفاتهم .

الفصل الثاني

صفات الندماء والجلساء وأخلاقهم وتصرفاتهم

إن مفهوم من يصاحب السلطان لا يصبح بيّناً واضحاً إلا اذا رسمنا صورة محدّدة لصفاته وأخلاقه وتصرفاته ، وهذه الصورة دخيلة في معظمها على البلاط العربي لأن رسوم البلاط الفارسي هي التي طغت ، وخاصّة في العصر العباسي ، ولذا نرى أن بعض أخبار ملوك العرب في العصرين الأموي والعباسي تشبه أخبار ملوك آل ساسان ، وهذا يعني أنهم قلّدوهم وساروا سيرتهم^(١).

معرفسة النديم أو الجليس بأداب مجالسة الملوك

من أوّل شروط صحبة السلطان ملازمته ومخالطته بالهيئة وإن طال الأنس به ، لأن انقباض الهيئة يؤدّي إلى الإخلال بأداب معاشرته ، وعلى النديم أن يعامله دوماً ، وفي كلّ مجلس يحضره معاملة من جالسه لأوّل مرّة ، حتى ولو كان قد هازله وضاحكه في المجلس السابق ، وكأنه لم يجر بينهما أنس قطّ ، لأن الملوك يتلونون

١- انظر الأخبار الخاصة بمسايرة الملوك ومحادثتهم والإصغاء إليهم وغيرها . من الأخبار التي تظهر ذلك في التاج ص ٧٨٠ ، ٧٩٠ ، ٨٣ وما بعدها .

من حال إلى حال ، ولا يعرفون الثبات في تصرفاتهم ولا الإستقرار^(١) . ويؤكد ابن المقفع ذلك عندما يخاطب صاحب السلطان بقوله : " وكن في مداراته كالمؤتف ما قبله ، ولا تقدر الأمر بينك وبينه ، على ما كنت تعرف من أخلاقه ، فإن الأخلاق مستحيلة مع الملك ، وربما رأينا الرجل المدل على ذي السلطان بقدمه قد أضر به قدمه " (٢) .

وقد جرى ملوك الفرس منذ القدم على معاملة ندمائهم وجلسائهم على هذا الشرط ، فكان " الندماء " من العظماء والأشراف وأبناء الملوك وأخوة الملك وعمومته وبني عمه ، وأوضاع الطبقات في مجلس الملك في نقاب واحد إطرافا وإخبانا وسكون طائر وقلة حركة^(٣) . وقد جرى الملوك من بعدهم على هذا ، ويمكن أن يندرج تحت هذا الشرط جميع الآداب والتصرفات المتعلقة بصحبة الندماء والجلساء للملوك .

١- انظر التاج ص ٥٦١ وكذلك المستطرف ١ : ١٠٩ - ١١٠ حيث ورد : "أصبح الملوك بالهيبة والوقار ... ولا تترك الهيبة وإن طال أنسك بهم" . وانظر ذلك في رسائل البلغاء ص ٥٤ . وانظر كليله ودمنة ص ١٩ ، ٢٣ .

٢- رسائل البلغاء ص ٥٤ - ٥٥ .

٣- التاج ص ٢٩ .

أخلاق النديم أو الجليس

يشترط في النديم أو الجليس الذي يصحب السلطان ويظيل ملازمته أن يتّصف بخلال محمودة تمكّنه من الحظوة لديه ، ولذا عليه أن يظهر الوُدّ لسلطانه حتى يكسب عطفه ، ولا يتمّ هذا الوُدّ إلا بإظهار النصيحة له لأنها من علامات الوفاء له ^(١) ، لأنه يدفع النديم إلى الإخلاص فيحفظ سرّه ويكتمه ^(٢) ، وكان الندماء دوماً يتقربون إلى الملوك ويحظون بثقتهم ، ويوثقون علاقاتهم بهم بحفظ أسرارهم وكتمانها ، وإظهار عدم رغبتهم في الاطلاع عليها لأن ذلك من علامات أمانتهم . وذكر أحد جلساء الرشيد أنه دعاه يوماً لياكل معه ، فلمّا توسّط الأكل ، رفع رأسه إلى رجل يكلمه بالفارسية ، فقال له الجليس " يا أمير المؤمنين ، إن كنت تريد أن تسرّ إليه ، فلنبي أفهم الفارسية ، فأمره بأن يتحقّق ليتقدّم إليه بما يريد ، وأعجب الرشيد كرم أخلاقه ، وأمر له بصلة ^(٣) . وأمّا إذا كان النديم غير قادر على حفظ أسرار سلطانه فليحذر معاملته في أسرارهِ ،

١- انظر العقد الفريد ١ : ٢٠ حيث جاء : " ينبغي لمن صحب السلطان أن لا يكتم عنه نصيحة " وانظر رسائل البلغاء ص ٢٣ حيث يرى ابن المقفع أن " ذا اللبّ من يخلص لهم النصيحة " .

٢- انظر نهاية الأرب ٦ : ١٤١ - ١٤٣ .

٣- المستجد من فعلاات الأجواء ص ١٨٠ - ١٨١ . وراجع رسوم دار الخلافة ص ٨٨ - ٨٩ حيث يروى خبر مشابه لهذا جرى في مجلس الخليفة المعتضد بالله .

وبواطن أموره حتى لا يعرض نفسه لعقابه . والمأمون يعتبر إفساء السر من الأمور التي لا تحملها الملوك ، وتعاقب عليها أشد عقاب^(١) .

وعلى النديم أن لا يكون حسودا ، لأن الحسد يفسد علاقته بالناس في مجلس الملك ، كما أنه يفسد علاقته بالملك ، وعليه أن يخلو من اللجاج ، وألا يكون بداخا ، لأن البذخ من دلائل سقوط النفس ، وألا يكون حريصا لأن الحرص من ضيق النفس ، وألا يكون قدما^(٢) ولا وخما^(٣) ، لأنها صفات لا تليق بمن يلاقي الملوك^(٤) .

والخلفاء تحب النديم الكريم وتقربه ، وتكره أن ترى من أحد ملازميها بخلا ، ولقد طرد المتوكل أحد ندمائه من مجلسه لأنه ييخل على نفسه^(٥) . ويكره ذوو السلطان عدم ظهور النعمة على جلسائهم لأن ذلك لا يدل على مروءتهم وإنما

١- انظر العقد الفريد ١ : ٧٧ .

٢- القدم : العبي عن الحجة والكلام . انظر اللسان مادة قدم .

٣- الوخم : الثقيل . انظر اللسان مادة وخم .

٤- انظر نهاية الأرب ٦ : ١٤١ - ١٤٣ ، ومطالع البدور ١ : ١٨٢ .

٥- انظر معجم الأدباء ١٥ : ١٤٨ .

يدل على بخلهم وتقتيرهم ، وجحدهم لنعمة سلطانهم ، لأن الرؤساء تعتبر ظهورها دلالة على شكرهم لهم . ويروى أن جعفر بن يحيى البرمكي (ت ١٨٢ هـ) ركب ذات يوم وأمر خادما له أن يحمل معه ألف دينار ، وقال له : " سأجعل طريقى على الأصمعي ، فإذا حدثني فرأيتني ضحكت ، فأجعلها بين يديه " ، ونزل جعفر عند الأصمعي ، فجعل الأصمعي يحدثه بكل أعجوبة ونادرة تطرب وتضحك ، فلم يضحك ، وخرج من عنده . فقال الخادم لجعفر : " رأيت منك عجبا ، أمرت بألف دينار للأصمعي ، وقد حركك بكل مضحكة ، وليس من عادتك أن ترد إلى بيت مالك ما قد خرج عنه ، فقال له : " إنه قد وصل إليه من أموالنا مائة ألف درهم قبل هذه المرة ، فرأيت في داره حبا مكسورا ^(١) ، وعليه دراعة خلق ^(٢) ، ومقعدا وسخاء ، وكل شيء رأيت عند رثا ، وأنا أرى أن لسان النعمة أنطق من لسانه ، وأن ظهور الضيعة أمدح وأهجن من مدحه وهجائه ، فعلى أي وجه أعطيه إذا كانت الضيعة لم تظهر عنده ، ولم تنطق النعمة بالشكر عنه؟ " ^(٣) .

١- الحب : الجرة الضخمة ، والخابية . انظر اللسان مادة حبيب .

٢- الدراعة : ضرب من الثياب ، وقيل جبة مشقوفة المقدم . انظر اللسان مادة درع .

٣- مرجع الذهب ٣ : ٣٧٩ .

ولكي يضمن النديم استمرار علاقته الحسنة بذوي السلطان عليه أن "يزين" سيرتهم ويذب بلسانه عنهم ، ويتوخى مرضاتهم ، ويقدر الأمور على موافقتهم ، ولا يواصل إلا من لا تباعد مواصلته إتياء عنهم ، وعليه أن لا يستخف بأمرهم ، وألا يتناقل عن طاعتهم ، وألا يبظر إذا أكرموه ، وألا يجترى عليهم إذا قرّبوه^(١)

وعلى النديم ألا يقوم بما يعتبر تيهًا وكبرًا في حضرة من ينادم من ذوي السلطان لأن ذلك يغيظهم ويستثير حقدهم عليه ، لأنهم يشعرون أن جميع من يخالطونهم يجب أن يكونوا في مرتبة أدنى منهم ، ولذا فهم يتوقعون من خلطائهم القيام بمحاولة الظهور بمظهر العظمة ، لأنهم لا يرضون أن يصدر ذلك عنهم ، ويروى أنه : "بينما المأمون ينادم إبراهيم بن المهدي ، بعد رضاه عنه ، وتعيينه ما كان منه ، تبين منه دالة أذكرته ما تقدم من ذنبه ، فنهض وأمر بإقراره ومن كان معه على حالهم ، ثم صار إلى مجلس جده ، وتزيًا بزي الخلافة ، واستوى على سريره ، وأذن للجيش في السواد والأسلحة ، ومد السماطان^(٢) ، وشهرت السيوف ، ثم أحضر

١- رسائل البلغاء ص ٢٣ - ٢٤ .

٢- السماطان: الصقان من الرجال ، وكل صف سباط . انظر اللسان مادة سبط .

إبراهيم مغتبقا معسوفاً^(١) ؛ فلما مثل بين يديه ، أطرق عنه ملياً ، ثم رفع طرفه وإبراهيم يبرعه ، فقال : " يا إبراهيم ، من حملك على ما كان منك ؟ " فقال : " قد سبق من عهد أمير المؤمنين ما لا أخاف عليه التغيير ، وأعتذر بعذر قبله منه ، وردّه إلى مكانه ، وعاد المأمون من وقته إلى مجلس الندام^(٢) .

واعتبر الظرف^(٣) صفة ملازمة للنديم ، لأن الظريف يخفّ على قلب السلطان ، أما الثقل فقد حرص الملوك على إبعاده عن مجالسهم ، لأن حضوره تكدير لصفو المجلس وعبء على الجلوس والندماء . وقد قيل لأنو شروان : " ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل فلا يعييه ، ولا يحمل مجالسة الثقيل ؟ " لأن الحمل تشترك فيه الأعضاء ، والثقل تنفرد به الروح^(٤) . وهكذا أبعد الثقيل عن ملازمة الملوك ومخالطتهم لأنه لا يصلح لذلك ، فقد قال أبو العتاهية لابنه : " يا بني ، إنك لا تصلح لمشاهدة الملوك " . قال : " لم ؟ " قال : " لأنك حار النسيم ، بارد المشاهدة ، ثقل الظل^(٥) .

١- المعسوف : المستهان به . انظر اللسان مادة عسف .

٢- قطب السرور ص ٣٠٤ .

٣- انظر أدب النديم ص ٣ حيث جاء : " واستظرف نديك ، فإنما يزك الداغل إليك بمقتال من يراه معك " .

٤- محاضرات الأنبا ٢ ، ٧٠١ .

٥- المخلاة ص ٢٨٧ .

صفات الندماء والجلساء العقلية

ينبغي للنديم أو الجليس أن يكون ذا مؤهلات عقلية وترفيهية بارزة حتى يستطيع القيام في أداء الدور الذي ينتظره الملوك منه ، فيشترط فيه مثلاً أن يكون ذكياً خفيف الإشارة ، لطيف العبارة ، رشيقاً ، لبقاً ، قد لبس لكل حالة لباسها ، وركب لكل آلة أفراسها . . . ويعرف كيف يخرج ممّا يدخل فيه ، إذا خاف ألا يستحسن ما يأتيه^(١) .

وهكذا فلنّ الذكاء أول ما يجب أن يتّصف به من يخالط السلطان ويلازمه لأن صحبة الملوك لا تليق بذوي الجهل ، وذكاءه عدته للخروج من كثير من المتاعب التي قد يتعرض لها . ولذا ينبغي أن يكون جليس السلطان وأنيسه جامعاً لخصال كثيرة أهمّها : "العقل ، فإنّه رأس الفضائل ، والعلم ، فإنّه من ثمار العقل" . . .^(٢) وإذا كان العقل أهم صفاته فهذا يعني أنّه يجب أن يكون قادراً على أن يفهم ما يريد الملك الذي يجالسه ويقرّه ، ولذلك قيل : "ينبغي للنديم أن يكون كأنما خلق من قلب الملك ، ويتصرّف بشهواته ، ويتقلب بإرادته ، لا يملّ المعاشرة ، ولا يسأم المسامرة ، إذا انتشى يحفظ ، وإذا صحا ييقظ"^(٣) .

١- ذيل زهر الآداب ص ٩ .

٢- نهاية الأرب ١٤١ : ٦ .

٣- المصدر السابق ١٤٩ : ٤ .

وإذا أخفق النديم في فهم نفسية الملك ، وما يحب وما يكره ، فإنه يتعرض

لما يخرجه ، ويسبب نعمة الملك عليه ، فمخارق غنى الأمين وهو مصطبح :

إِسْتَقْبَلْتُ وَرَقَ الرِّيحَانِ نَقْطِفُهُ وَغَبَرَ الْهِنْدِ وَالْوُرْدِیَّةَ الْجُدْدَا
أَلَسْتُ تَعْرِفْنِي فِي الْحَيِّ جَارِيَةٍ وَلَمْ أَخْنُكَ وَلَمْ تَرْفَعْ إِلَيَّ يَدَا

فطرب الأمين وشرب ووهبه جبّة وشي مذهبة ، ثم أمر بطبيع وحلف عليه أن يؤاكله - وكان يكره أن يؤاكله أحد من ندمائه - فلما انضم إليه ، رفس الأمين القصعة ، فأتلف الجبّة ، ثم دعاه إلى مجالسته ثانية ، وغناه مغن آخر ومخارق ، فاستحسن صوت الآخر واستفج صوت مخارق ، وقال له : " أردت أن أؤدبك لأن السادة لا ينبغي لعبيدها أن تؤاكلها " . ثم دعاه ثانية لمؤاكلته ، اختباراً له ، لكنه رفض ذلك ومضى إلى حجرة من حجر القصر وأكل هناك " (١)

وذكاء النديم عون له على استرضاء الملك ، وكسب وده إذا ما رأى منه تغيراً وتقلباً ، لأنه بذلك يستطيع أن يحافظ على علاقته الجيدة معه ، ومما يروى عن حسن ملاطفة النديم لجليسه ما جاء في مطالع البدور : " أن الفضل بن مروان ^(٢) (ت ٢٥٠ هـ)

١- الأغاني ١٨ : ٣٦١ .

٢- الفضل بن مروان بن ما سرجس ، وزيره ، كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء . كان جيد الإنشاء . أخذ البيعة للمعتصم ببغداد بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨ هـ . وكان المعتصم ببلاد الروم ، فاستوزره نحو ثلاث سنوات ، ثم اعتقله ، لكنه أطلقه ، فخدم بعده جماعة من الخلفاء إلى أن توفي .

دعا المعتصم إلى داره، واحتفل واحتشد في إحسان الدعوة، فلما حضر المعتصم، ورأى مروءته وتجمّله، عمل فيه الحسد عمله، فانقبض ورؤي في عينيه، ولم ينشط لطعام ولا شراب، وزعم أنّه يشكي بطنه، ففطن الفضل لما دهاه، وأراد أن يوهم أن تلك الآلات مستعارة من دار أمير المؤمنين ليطفئ نار حسده، فتقدّم إليه وقال: "يا أمير المؤمنين، إنّما استعرت أكثر هذه الأشياء من دار أمير المؤمنين، وقد أرهقني الخزائن، والفرّاشون باسترجاعها، فلن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمهالي في ردّها فعلت"، فضحك المعتصم، وقال: "قل لهم لا يسترجعونها"، ثمّ نشط للطعام والشراب". (١)

وذكَاء النديم وسرعة بديهته يساعده على التخلص من كثير من المآزق التي يتعرض لها، وعندما غنى مخارق بحضرة المأمون أبياتا وذهب عنه معناها وفين قيلته ومنها :

إِذَا الْبَيْتُ الْعَرَبِيُّ خَلَى مَكَانَهُ فَلَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ

...

وله ديوان رسائل، وكتاب جمع فيه الأخبار التي علم بها والمشاهدات التي رآها. راجع ترجمته في الأعلام ٥: ٣٥٨، حيث يذكر مصادره.

فلما بلغ إلى آخر البيت الأخير وهم أن يقول "يزيد" استيقظ، فقال: "مخارق"،
فضحك المأمون وقال له: "لو قلت يزيد ما عشت" (١).

ومما يميّز النديم أو الجليس عند سلطانه معرفته بما يتنافس فيه الملوك لأنه
يعرض عندهم كل ما يتنافسون فيه من الرقيق المثنى والجوهر النفيس، وأنواع الطيب
والفرش والخيل والسلاح، ولذا فلان علمه بها مفيد لأنه ربما جرى ذكرها أو عرض
شيء منها بحضرتهم، فتكون مشاركته الواعية الحاذقة فيه زيادة في رفعة محلّه وعلوّ
مقداره وتقديره. وقد رغب أبان بن عبد الحميد اللاحقى (٢) (ت ٢٠٠ هـ) يحيى بن خالد

١- ذيل زهر الآداب ص ١٢٠. وراجع ما جاء في وفيات الأعيان ٦: ٩٤ - ٩٥، حيث يروى

أن الفرزدق أنشد سليمان بن عبد الملك قصيدة ميمية وانتهى إلى قوله:

ثلاث واثنتان فهن خمس
وسادسة تميل إلى شمام
فبتن بجانبني مضرعات
وبت أفسح أعلاق الختام

فقال له سليمان: قد أقررت عندي بالزنا وأنا إمام، ولا بد من إقامة الحد عليك. فقال
له الفرزدق: ومن أين أوجبت علي يا أمير المؤمنين؟ فقال: بقول الله تعالى: "الزانية
والزاني فأجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة" (النور: ٢)، فقال الفرزدق: إن كتاب الله
يدروه عني بقوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاؤون"، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون،
وأنهم يقولون ما لا يفعلون" (الشعراء: ٢٢٤) وأنا قلت ما لم أفعل. فتبسّم سليمان
وقال: "أولى لك".

٢- أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن غفير الرقاشي، شاعر مكتر من أهل البصرة، نسب إلى
جده وكان أبو جده غفير من الموالي. انتقل أبان إلى بغداد، واتصل بالبرامكة، فأكثر من
مدحهم، وخص بالفضل بن يحيى، ونظم له كليلة ودمنة شعرا، واتصل عن طريق البرامكة بالرشيد،
فكان من شعرائه. وقد هجاه أبو نواس وغيره. راجع ترجمته في الأعلام ١: ٢٠ - ٢١ حيث يذكر
مصادره.

البرمكي في اختصاصه في شعر منه :

أَبْصَرَ النَّاسَ بِالْجَوَاهِرِ وَالْخَيْلِ وَالْخَرَدِ الْحَسَنِ الْمَلِاحِ (١)

والملوك يستجهلون النديم إذا سئل في شيء من هذه الأعلام ، ولم يحر جواباً ، ولم يجدوا عنده علماً به ، خاصة إذا أشار على السلطان أن يختار منها أقل الأصناف نفاسة ، وكان في المجلس غيره من الندماء الحاذقين في معرفته ، فيستغلون ذلك ليشتروا به ، حتى إذا ما اكتشف السلطان ذلك أزاله عن المكانة التي بلغها . ويرى القلقشندي أن مخالط السلطان بالإضافة إلى معرفته بما يتنافس فيه الملوك يحتاج إلى قدرة بلاغية تمكنه باستعاراتها وبلاغتها من وصف تلك النفائس بما يرغبها للسلطان (٢) .

١- نهاية الأرب ٦ : ١٤٦ ، وراجع أدب النديم ص ١١ ، حيث يعد علم النديم بكل ما يتنافس فيه الملوك ويغالون شرطاً لازماً له .

٢- انظر صبح الأعشى ٢ : ٩٧ - ٩٨ .

صفات في الجسم والهيئة

يفترض في النديم الذي يجالس الملوك ويدم مشاهدتهم أن تتوفر فيه صفات جسمية تجعله مقبولا لديهم لأنهم لا شك يفضلون معاشرة من يرتاحون لرؤيته .

وجمال الوجه من أول الصفات الواجب توفرها في النديم ، ولقد كانت ملوك الفرس تتبرك بالوجه الجميل^(١) . والحرص على الجمال جعل بعض الندماء يكرهون الشرب من يد ساق قبيح في مجالس الندام ، ويروى أن إسحق الموصلي كان ذات يوم عند إسحق بن إبراهيم بن مصعب فلما جعل الغلمان يسقون من حضر ، وجاء غلام قبيح الوجه إلى إسحق الموصلي بقدح نبيذ فلم يأخذه ، ورآه إسحق فقال له : "لم لا تشرب؟" فكتب إليه الموصلي :

أَصْبَحَ نَدِيمَكَ أَقْداحًا يُسْلِمِلِمِلِهَا	مِنَ السَّمُولِ وَأَتْبِعُهَا بِأَقْداحِ
مَنْ كَفَّ رِيحَ مَلِيحِ الدَّلْرِ رِيْقَتَهُ	بَعْدَ الْهُجُوعِ كَيْسِكَ أَوْ كَتْفِاحِ
لَا أَشْرَبُ الرِّاحَ إِلَّا مِنْ يَدَيْ رِشَاءِ	تَقْبِيلُ رَاحَتِهِ أَشْمَى مِنْ الرِّاحِ

فضحك وقال : "صدقت والله" ، ثم دعا بوصيفة كأنها صورة ، تأمة الحسن ، لطيفة الخصر ، في زِي غلام ، عليها أقبية ومنطقة^(٢) ، فقال لها : "تولي سقي أبي محمد ،

١- انظر الأغاني ٢ : ١٠١ ، وقد أعجب كسرى بعدي بن زيد لأنه كان جميل الوجه فائق الحسن فقر به واختصه .

٢- المنطقة ، كل ما شد به الوسط . انظر اللسان مادة نطق .

فما زالت تسقيه حتى سكره، ثم أمر بتوجيهها، وكل مالها في داره إليه فحملت معه (١) .

ولذا اشترط في النديم أن يكون سليم الجوارح، خاليا من كل العاهات والعيوب التي تشوه خلقته، وتجعل شكله قبيحا يشير النفور (٢) . ولكن الملوك وأصحاب السلطان تجاوزوا عن هذه الشروط في بعض الحالات وجالسوا ندما لا تخلو خلقهم من العيوب لما وجدوه عندهم من مزايا تجعلهم أهلا لمناذمتهم، لم يجدوا مثلها عند غيرهم . وقد قرّب عبد الملك بن مروان نصيبا الشاعر مع أنه كان مشوه الخلقة، قبيح المنظر، أسود البشرة، مغفل الشعر، وذلك لوفور عقله، وجودة شعره، ولائسه بمحادثته (٣) . كما اختص عمارة بن حمزة الكاتب (٤) (ت ١٩٩ هـ)، مع أنه كان أعور دميما، بالمنصور والمهدي الذي كان يسير وإياه

١- انظر الأغاني ١٥ : ٣٣٠ .

٢- انظر نهاية الأرب ١٤٦ : ١٤٧ .

٣- انظر ذيل الأمالي ص ١٢٧، الأغاني ١ : ٣٤١ .

٤- عمارة بن حمزة بن ميمون، من ولد عكرمة مولى ابن عباس، كاتب، من الولاة الأجواد الشعراء الصدور، وكان من الدهاة، وله في الكرم أخبار عجيبة، فيه تيه شديد يضرب به المثل فيقال: "أتيه من عمارة" . وكان المنصور والمهدي العباسيان يرفعان قدره، وقد جمع له بين ولاية البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين . وله مصنفات . انظر ترجمته في الأعلام ١٥ : ١٩٢ حيث ينكر مصادره .

يدا بيد لفضله وبلاغته^(١) . وتقرب علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم من الوراق والمتوكل ومن تلاهما من الخلفاء حتى المعتمد^(٢) مع أنه كان يوصف بأن القرد أملح منه قباحة ، وقد استطاع أن ينال منهم ما عجز عنه غيره من ندماء عصره^(٣) . كما أن المتوكل قرب المغني عمرو بن بانه^(٤) وناداه على ما كان به من الوضع^(٥) .

ولكن العيوب الجسميّة كانت تقف أحيانا عقبة أمام من يرى فيه الخليفة ما يؤهله لعنادته ، ويروى أن المتوكل قال : "لولا أن أبا العينا"^(٦) ضرير لنادىناه"^(٧) . ويروى

-
- ١- انظر معجم الأدباء ١٥ : ٢٤٢ ، ٢٤٥ .
 - ٢- لكنه لم ينادم المهدي لحقده عليه ، المصدر السابق ١٥ : ١٦٠ .
 - ٣- انظر المصدر السابق ١٥ : ١٦٠ .
 - ٤- ابن بانه ، عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد مولى ثقيفه مغن ، شاعر ، من المحدثين ، كان مرتجلا ، اختص بالمتوكل وأنس به . وكان يتعصب لإبراهيم بن المهدي على إسحق الموصلي . راجع ترجمته في الأغاني ١٥ : ٢٦٩ .
 - ٥- انظر وفيات الأعيان ٣ : ٤٧٩ .
 - ٦- محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي بالولاء ، أبو العينا ، أصله من اليمامة ، ومولده بالأهواز ، ومنشأه ووفاته في البصرة . وكف بصره بعد بلوغه أربعين سنة من عمره . وهو أديب فصيح ، من الظرفاء ، ومن أسرع الناس جوابا . اشتهر بتوادره ولطائفه ، وكان ذكيا جدا ، حسن الشعر ، ملجج الكتابة والترسل ، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم . وأخباره كثيرة . راجع ترجمته في الأعلام ٧ : ٢٢٦ حيث يذكر مصادره .
 - ٧- ذيل زهر الآداب ١٥٩ ، والديارات ص ٦٠ .

أيضا أن الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ذكر للمتوكل لتأديب ولده ، ولكن لما رآه استبشع منظره ، فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه^(١) .

وحتى يكون النديم مؤهلا لملازمة صاحب السلطان يفترض أن يكون خاليا من الأعراض التي لا تساعد على الاستمرار في مؤانسة السلطان مدة طويلة في المجلس الواحد ، وهذا ما دعا أحد الذين دعاهم المتوكل لمناذمته إلى الاعتذار عن ذلك لأنه مصاب بسلس البول ، وهذا لا يمكنه من البقاء في المجلس مدة طويلة ، وهو ما يكدّر صفوه ، ويقطع على الخليفة أنسه ، وقد أعلم الخليفة بذلك لأنه يعلم أنها من الصفات التي لا تصلح معها منادمة الخلفاء^(٢) .

ومما يزيد النديم بها ، ويعطي جماله إشراقا نظافته ، ولذا : " ينبغي للمعاشر والنديم المجالس للملوك والرؤساء أن يكون نظيف الكف ، نقي الظفر ، متعاهدا لتقليبه ، والتخليل بين أصابعه ، وغسل يده في أوقات وضوءه ومطعمه . . . نظيف الوجه ، والشارب

١- وفيات الأعيان ٣ : ٤٧١ .

٢- انظر أدب النديم ص ٢٥٠ . وانظر التاج ص ٧١ حيث يتحدث الجاحظ عن صفات خلقية في النديم فيشرطه : " أن يكون معتدل الأخلاق . . . لا الصفراء تقلقه وتكثر حركته ، ولا الرطوبة والبلغم يقهره ويكثر بوله وبزقه . . . ويطيل نومه ، ولا السوداء تضجره وتطيل فكره ، وتكثر أمانيه وتفسد مزاجه . . .

والأنف، نقيّ الجبين، مستعملاً... تسريح اللحية وتنظيف الثياب وعمامة خاصة، لأن العين كثيراً ما تقع عليها^(١). • ويعتبر الوشاء أن النظافة هي علامة الظرفاء لأنها "تجعل النفوس إليهم نائقة والأرواح عاشقة"^(٢). • وقدما كان أردشير بن بابك يرى أن جمال النديم في نظافة ثوبه، وأن النديم لا يكون نديماً إذا انتقض فيه هذا الشرط^(٣). • ودفعت النظافة بعض الندماء إلى استهجان وساخة ملازميهم ومعاشريهم، ويروى أن أحد الندماء رأى أبا تمام (ت ٢٣١ هـ) الشاعر وهو يلعب الشطرنج، وكان أبو تمام وسخاً، فقال: "ما أوسخ هذا الشطرنج!" فقال أبو تمام: "واللعب أوسخ"^(٤).

ومما يكسب النديم مظهراً جذاباً أن يرتدي الزي المناسب لمجلس السلطان الذي يخالطه، ومنذ القدم غني الملوك بأزياء رعيّتهم، وقد رأينا كيف رسم ملوك الفرس لكل طبقة من الناس زياً خاصاً بها، ليعرف كل بزّيه، وفي أي طبقة هو، وما أن ندماء ملوك الفرس كانوا طبقات متفاوتة، لذلك فإنه كان لكل طبقة من هؤلاء الندماء زي خاص تحضر به مجالسهم.

١- مطالع البدور ١: ١٤٤ وراجع ص ١٤١، رسوم دار الخلافة ص ٣٢ - ٣٣، أدب النديم ص ١٢، ٣٩٠.

٢- الموشى ص ٤٦ - ٤٧.

٣- انظر مروج الذهب ١: ٢٤٥.

٤- مطالع البدور ١: ٧٧.

وحذا ملوك الإسلام حذو الفرس، فسليمان بن عبد الملك أمر ألا يدخل عليه رجل من خاصته إلا في الوشي^(١) . وهارون الرشيد رسم زياً للداخلين عليه ، فعندما دخل عليه أحد الرّجّاز لينشده وعليه قلنسوة طويلة وخفّ ساذج ، قال له : إياك أن تشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفّان دمالقان^(٢) . وكان الندماء يعمدون إلى لبس الأزياء ذات الألوان الزاهية عندما يذهبون لمنادمة ذوي السلطان ، فإسحق الموصلي كان عندما يدخل على الأمين ليناديه يلبس قبا وخفا أحمر ، ويعتصب بعصابة صفراء ، ويشدّ وسطه بشقّة حمراء من حرير^(٣) .

وكان الملوك يستهجنون أن يحضر جلساؤهم وندماؤهم في غير الأزياء المخصصة لمجالسهم ، ويروي النضر بن شميل أنه دخل على المأمون وهو في بهو له في يوم صائف ، وعليه قميص مرقوع ، فقال له : " يا نضر ، تدخل على أمير المؤمنين في خلّاقان ثيابك ١٠٠٠ " .^(٤)

١- انظر مروج الذهب ٣ : ١٨٥ .

٢- البيان والتبيين ١ : ٩٥ . ويعلّل كشاحم لبس العمامة والخفّ فيقول : " حتى لا ينحسر الرأس ويبدو القدم إجلالا للسلطان " . انظر أدب النديم ص ٣٢ .
والدمالقي : المستدير الأملس . انظر البيان والتبيين ١ : ٩٥ الحاشية رقم ٦ .

٣- انظر الأغاني ٥ : ٣١٦ - ٣١٧ .

٤- المحاسن والمساوي ص ٤٣١ .

والمتموكل أمر أن لا يدخل عليه أحد من خلطائه إلا في ثياب وشي منسوجة
أو ديباج ظاهرة ٠٠٠ ثم حضر ندماؤه وسائر المغنين في ذلك النبي^(١) .

وهكذا أصبح هناك نبي خاص للداخلين على الخليفة ، وكان الرسم أن لا
يصل أحد إلى الخليفة العباسي إلا في السواد^(٢) . وتحدث الجاحظ عما
يلبسه الداخلون على الخليفة فقال : " وقد يلبس الناس الخفاف والقلائس في الصيف
كما يلبسونها في الشتاء ، إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الأمراء وعلى السادة
العظماء ، لأن ذلك أشبه بالاحتفال ، وبالتعظيم والإجلال ، وأبعد عن التبذل
والاسترسال ، وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم في منازلهم ومواضع انقباضهم^(٣) .

وعناية ذوي السلطان بنبي ندماهم ومظهرهم جعلتهم يفرضون على النديم
أن يحضر مجالسهم " في النبي الظاهر الذي يعرف به ، ويشهد فيه المجالس الحافلة
من غير أن يتشهر^(٤) ، فإن شاء الملك أن يغير حاله وزيه ويكرمه بشي من ثيابه ،

١- الديارات ص ١٠٣ .

٢- انظر نشوار المحاضرة ٨ : ١٥٧ .

٣- البيان والتبيين ٣ : ١١٤ .

٤- يتشهر : يظهر الشي في شئ حتى يشهره الناس . انظر اللسان مادة شهر .

حسن أن يلبس ذلك من وقته حتى ينقضي المجلس، ولم يحسن أن يجلس فيه ظاهراً في مجلس ثانٍ، لأنه شيء اختاره الملك في ساعة بعينها لا في كل أوقاته". (١)

وهكذا أصبح لمجالس المناديات نبي خاص يرتديه الندماء، وكان الخلفاء أرادوا بما يخلعوناه على ندمائهم من أزياء في مجالسهم أن يظهروا أمامهم بما يحببهم إلى نفوسهم، ويجعل مظهرهم جميلاً تتوق إليه، لأنهم بتلك الأزياء التي يغيرون بها مظهر الندماء يتخلصون من منظر ثيابهم التي ربما كانت تثير النفور وتبطل أنسهم ومرحهم، خاصة إذا كانت ثياباً غير صالحة لمجالس الندام . ولقد سراً الناس الخلفاء في ذلك فجعلوا ثياباً خاصة لهم ولندمائهم يرتدونها في مجالس شربهم وأنسهم، ويرى أن "جعفر بن يحيى البرمكي جلس يوماً للشرب، وأحب الخلوة، فأحضر ندماء الذين يأنس بهم، وجلس معهم وقد هبأ المجلس، ولبسوا ثياب المصبغة، وكانوا إذا جلسوا في مجلس الشراب واللهو لبسوا الثياب الحمر والصفرة والخضر، ثم إن جعفر بن يحيى تقدم إلى الحاجب ألا يأذن لأحد من خلق الله تعالى سوى رجل من الندماء، كان قد تأخر عنهم، اسمه عبد الملك بن صالح، ثم جلسوا يشربون ودارت الكاسات، وخفت العידان، وكان رجل من أقارب الخليفة هو عبد الملك

ابن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس^(١) (ت ١٩٦ هـ) ، شديد الوقار والدين والحشمة ، وكان الرشيد قد التمس منه أن يناديه ويشرب معه ، وبذل له على ذلك أموالاً جلييلة ، فلم يفعل ، فاتفق أن حضر إلى باب جعفر بن يحيى ليخاطبه في حوائج له ، فظن الحاجب أنه هو عبد الملك بن صالح ، الذي تقدم جعفر بن يحيى بالإذن له ، وألا يدخل عليه ، فأذن الحاجب له ، فدخل عبد الملك بن صالح على جعفر بن يحيى ، فلما رآه جعفر كاد عقله يذهب من الحياء ، وظن أن القضية قد اشتبهت على الحاجب بطريق اشتباه الاسم ، وظن عبد الملك بن صالح أيضاً للقبضة ، وظهر له الخجل في وجه جعفر بن يحيى ، فانبسط عبد الملك وقال : " لا بأس عليكم ، احضروا لنا من هذه الثياب المصبغة شيئاً " ، فأحضر له قميص مصبوغ ، فلبسه وجلس يياسط جعفر بن يحيى ويمازحه ، وقال : " أسقونا من شرابكم " ، فسقوه رطلاً^(٢) .

١- عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس ، أمير عباسي ولأه الهادي إمرة الموصل ، وعزله الرشيد ثم ولأه المدينة وغيرها ، وبلغه أنه يطلب الخلافة فحبسه ، وأطلقه الأمين ولأه الشام وغيرها . وكان من أفصح الناس وأخطبهم ، وله مهابة وجلالة . وقيل ليحيى بن خالد البرمكي لما ولي عبد الملك على المدينة : كيف ولأه المدينة من بين أعماله ؟ فقال : أحب أن يباهي قرينها ، ويعلمهم أن في بني العباس مثله . راجع ترجمته في الأعلام ٤ : ٣٠٤ - ٣٠٥ حيث يذكر مصانره .

٢- الفخري في الآداب السلطانية ص ١٥٠ - ١٥١ . وانظر الخبر في المستطرف ٢ : ١٨٥ - ١٨٦ ، والعقد الفريد ١ : ٣٠٩ ، والوزراء والكتاب ص ٢١٢ - ٢١٣ . ويبدو أن الثياب المصبغة لم تكن تلبس في مجالس ذوي الجاه والسلطان وحسبه وإنما كان يرتديها الندما الذين يشربون في الأديرة . انظر الديارات ص ٢٢ .

وحتى ينال النديم قبول من ينادم من ذوي السلطان ، وحتى تزداد هيئته جمالا فرض عليه أن يتطيّب ليقطع الرائحة الكريهة من العرق وغيره ، كي لا يشم رئيسه منه تلك الرائحة في حال دنوّه منه ، ولذا عليه أن يواصل استعمال الطيب والبخور والتضمّخ بالمسك ، لأن الملوك ترى أنّ من أغفل تعهد نفسه كان لغيرها أشدّ إغفالا (١) .

وهكذا يعتبر التعطر والتطيّب من الواجبات المفروضة على النديم ، بحيث يطيب شعره وثيابه بالبخور وغيره من أنواع الطيب (٢) ، ولذا كان الندماء يتضمّخون بالخلوق (٣) قبل ذهابهم إلى مجالس المناديات (٤) . وما أنّ النديم يدنو من الملك - لأنّ حديثه يكون السرار أحيانا - عليه أن يحافظ على نقاء فيه من الرائحة الكريهة ، وثوبه من الدنس ، وذلك بتوفية هذه الأشياء حقّها من التطيّب (٥) .

١- صبح الأعشى ١ : ٨٠ ، وانظر أدب النديم ص ١٢ ، حيث يعتبر كشاجم تطيب النديم من جماله .

٢- انظر مطالع البدور ١ : ١٤٤ .

٣- الخلق : ضرب من الطيب . انظر اللسان مادة خلق .

٤- انظر الديارات ص ٢٢ .

٥- انظر أدب النديم ص ٣٩ .

وإذا تطيّب النديم فعليه أن يتجنّب من الطيب ما يعلم أن السلطان يكرهه
ويأبى شمه لئلا يقع فيما وقع فيه إبراهيم بن المهدي في مجلس المعتصم ، ويروى :
" أنه كان يكثر استعمال الغالية ^(١) ويتخلّف منها في كلّ يوم بمقدار أوقية في رأسه
ولحيته ويسرّح شعره ، فتختبيء في ثيابه وبين طاقاته ، وكان المعتصم يجتوي ^(٢)
رائحتها ، ولا يستطيع الصبر عليها ، ويقاسي من إجلاسه إلى جانبه ما يتكلّفه ولا
يبوح به ، فلما زاد ذلك عليه أجلس أحد أثباء المأمون فيما بينه وبينه ، فثقل فعله
على إبراهيم ، وضاق صدره به ، ولم يعرف السبب فيه إلى أن جاء مخارق المغنّي
فأعلمه أن وصيفا ^(٣) دخل على المعتصم بالله ، وأكبّ على رجله يقبلها ، فدفعه وقال
له : " أردت أن تتشبه بإبراهيم عم أمير المؤمنين في الغالية ، ووالله ما احتملت ذلك
منه ، حتى باعدت مجلسه مني ، فعرف حينئذ العلة فيما عامله به ، وتمارض نحو شهره ،
ثم ركب ودخل على المعتصم بالله ، فسأله عن حاله ، وأقبل يجيبه بانكسار ، فقال له :
" أراك معافى ، فما هذا الإنكسار ؟ " قال : " من فعل الغالية يا أمير المؤمنين ، وما
كنت أتخلّف منها ، وقد نهاني الطب الآن عنها " . فقال له : " اقبل قولهم ، فلك في
غيرها من الطيب مندوحة " . وتركها ، ورجع إلى منزله في الجلوس ^(٤) .

-
- ١- الغالية : ضرب من الطيب . انظر اللسان مادة غلا .
 - ٢- يجتوي : يكره . انظر اللسان مادة جوا .
 - ٣- عرف بوصيف التركي ، كان أميراً كبيراً . أصله من ممالك المعتصم ، ومن مشاهير قواده .
استحجبه المعتصم ثم الواصل فالمتوكل فالمنتصر وانتصب منصب الوزارة وإن كان لم يسمّ بها .
وقتل في سامراء سنة ٢٥٣ هـ أيام المعتز . راجع ترجمته في رسوم دار الخلافة ص ٣٣
الحاشية رقم (١) .
 - ٤- رسوم دار الخلافة ص ٣٢ - ٣٣ .

تصرفات الندماء

أ- في مجالس الشراب

إن انهماك كثير من الملوك بشرب الخمر جعلهم يختصون عددا من مقربيهم لمنادمتهم في مجالس شربهم ، ولا يتسنى لندمائهم الحظوة لديهم إلا إذا عرفوا كيف يتصرفون بحضرتهم ، ولذا : " ينبغي للندم إذا جلس للشرب مع الملك أن يجلس في المرتبة التي لا يتجاوزها إلى ما هو أعلى منها عنده ، ولا يحط نفسه عنها ، ولا يكثر الإتكاء بين يديه ، وليكن منتصب الجلوس ، خفيف الوطأة ، إن قام قام لقيامه ، وليحذر التبسيط والتمديد والتعطى . . . وتفريك اليدين ، وفرقة الأصابع واللعب بالخاتم ، والعبث باللحية والعمامة ، ولا يكون من شأنه التعزية والتهنئة . . . ولا العبث بالفاكهة والرياحين والأزهار . . . ولا الإكثار من التثقل بعد الشرب ولا يرمي ثقل ما يمتصه بحيث يرى ، ولا يعض الفاكهة نهشا ، بل يقطع منها حاجته بالسكين قطعاً ، ولا يكثر شم الرياحان ، ولا إدارة اليد فيه ، ولا يقطع رؤوسه ، ولا ينفذه عند أخذه ، ولا يفركه ، ولا يلتقطه بعد مضغه ، وليكن شرابه مصاً ، وكرعه جرعا ، ولا يشرب من الشراب ما لا يطيق فيزول عقله ، وليصب لنفسه ما يعلم أنه يقوم به ، ولا يرفع القدح قبل الملك ، ولا يصب فيه نبذا من قبل صبه أومعه ، ولا يقترح صوتاً ، ولا يظهر الطرب ، ولا يوقع على تلحين ، ولا يبدو منه هزل ، إن ناوله الساقى قدحا أخذه بلا ازدياد ولا نقصان ، ولا ماسكة ولا ماراة ، فإذا أحس بنفسه سكرا

أسرع القيام والإنصراف وهو يملك نفسه" (١) .

وهكذا فإِنَّه من حسن أدب النديم — أو الجليس — أن يعرف كيف يقي نفسه غضب الملك خاصة إذا حضر عنده في مجلس شراب، وطلب منه المشاركة أو أمر له بشيء منه، وكان لا يشرب الخمر، وذلك أن يحسن الاعتذار أو التنصل من ذلك، وأن لا يكون جافيا في رفضه له فيتسخط ما يقدم له، ويروى عن طريق الثقي (٢) (ت ١٦٥ هـ) قوله: "خصصت بالوليد بن يزيد حتى صرت أخلو معه، فقلت له ذات يوم وأنا معه في مشربه: "خالك لم يشرب شرابا ممزوجا إلا من لبن أو عسل"، فقال الوليد: "قد عرفت ذاك، ولم يباعدك من قلبي". ثم دخل عليه فناوله كأسا، فأخبره أنه لا يشرب، فقال له: "أعطيتك إتياء لمناولة الغلام". وغضبه ولما قام القوم، أغلظ له الوليد، وقال: "أردت أن تفضحني، ولولا أنك خالي لضربتك ألف سوط"، ثم نهى الحاجب عن إدخاله، وقطع أرزاقه" (٣) .

١- مطالع البدور ١: ١٨٠ - ١٨١ .

٢- طريق بن اسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقي، أبو الصلت، شاعر الوليد بن يزيد، وخليفه، وهو من أخواله الثقفيين . انقطع إليه قبل أن يلي الخلافة، واستمر اتصاله به، وأكثر شعره في مدحه، وجعله الوليد أول من يدخل عليه، وآخر من يخرج من عنده، وكان يستشير في مهماته، وقد عاش إلى أيام الهادي العباسي . راجع ترجمته في الأعلام ٣: ٣٢٥ حيث يذكر مصادره .

٣- الأغاني ٤: ٣١٠ .

ويحدث أن يتغلب الشراب على بعض الندماء ، فتصدر عنهم تصرفات غير لائقة تسيء إلى الملك وندمائه ، ومع هذا فإن بعض الملوك تسامحوا أحيانا مع ندمائهم المعريدين ، واحتملوا هفواتهم ، خاصة إذا أدركوا أن ما بدر عنهم كان بتأثير الشراب وليس عن عمد . وقد مدحت العرب ، وافتخرت بعدم محاسبة النديم على زلاته ، ومن أقوالها في ذلك :

وَلَسْتُ بِإِلَاحٍ لِي نَدِيمًا بِزَلَّةٍ وَلَا هَفْوَةٍ كَانَتْ وَنَحْنُ عَلَى خَسَرٍ^(١)

ومما يروى عن عفو أصحاب السلطان ما جاء عن شرب اليزيدي^(٢) (ت ٢٠٢ هـ) عند المأمون ، الذي أخذت منه الكأس فأقبل يعتز عليه بتعليمه إياه ، وأساء مخاطبته ،

١- انظر التاج ص ٢٢ ، وراجع ما جاء في الموشى ص ١٦ ، عن تجاوز الهفوات . وقد جاء في محاضرات الأدباء ١٣ : ٦٩٥ أن تجاوز هفوات الندماء واجبة حيث يقول الشاعر :

إِذَا حَكَمْتَ كُؤُوسَكَ فِي النَّدَامَى فَحَقُّهُمْ الْإِقْسَالَةُ لِلْعَشَارِ

٢- يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي ، أبو محمد ، اليزيدي ، عالم بالعربية والأدب من أهل البصرة ، وسكن بغداد فصحب يزيد بن منصور الحميري خال المهدي يوتب ولده ، فنسب إليه ، اتصل بالرشيد ، وآدب ولده المأمون ، توفي بمرور ، وله تصانيف . راجع ترجمته في الأعلام ١٩ : ٢٠٥ حيث يذكر مصادره .

فلما أفاق من سكره ، عرف ما جرى ، ووقف بين يدي المأمون منشدا :

أنا المذنبُ الخطأُ والعفوُ واسعٌ ولولم يكنْ ذنبٌ لما عرِفَ العفوُ
ثَلَّتُ فَأَبْدَتْ مِنِّي الْكَأْسُ بَعْضَ مَا كَرِهْتُ وَمَا إِنَّ يَسْتَوِي السُّكْرُ وَالصَّحْوُ

فقال له المأمون: " لا تثريب عليك ، فالنبذ بساط يطوى بما عليه " (١) .

وبالرغم مما عرف عن محبة المأمون للعفو إلا أنه لم يسامح من يديم العريضة في مجلسه ، ويروى أن عبد الله بن موسى الهادي (٢) (ت نحو ٢٢٠ هـ) كان معريدا ، وكان قد أحفظ المأمون لعريدته إذا شرب معه ، فأمر بأن يجلس في منزله فلا يخرج منه ، وأقعد على بابه حرسا . ثم تدهم من ذلك فأظهر له الرضا ، وصرف الحرس عن بابه ، ثم ناداه فعريد عليه أيضا ، وكلمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مغرما بالصيد ، فأمر المأمون خادما من خواص خدمه ، يقال له : حسين ، نفسه في دراج وهو بمرسی أباد ، فدعا عبد الله بالعشاء ، فأتاه حسين بذلك الدراج فأكله . فلما أحس بالسم ركب في الليل وقال لأصحابه : " هو آخر ما تروني " . . . ومات عبد الله بعد أيام " (٣) .

١- زهر الآداب ١ : ٤٤٨ ، والأغاني ٢٠ : ٢٥٢ .

٢- عبد الله بن موسى الهادي بن محمد المهدي العباسي ، أبو القاسم شاعر من أمراء آل عباس ، كان جوادا ظريفا ممدحا ، أورد الصولي نماذج من شعره الرقيق في قسم " أشعار أولاد الخلفاء " من كتاب الأوراق . راجع ترجمته في الأعلام ٤ : ٢٨٥ حيث يذكر مصادره .

٣- الأغاني ١٠ : ١٩٧ .

وهكذا فإن بعض ذوي السلطان لم يتوانوا عن التآمر لعزّتهم ومعاقبة ندمائهم الذين يعرّدون في مجالسهم، ويروى عن الحسين بن الضّحّاك الخليع—وكانت به عريدة— أنّه كان يوماً عند صالح بن الرشيد، فجرى بينهما كلام، وقد أخذ منه الشراب مأخذاً قوياً، فردّ عليه ردّاً أنكره صالح وتأوّله على غير ما أراد، فهاجره، فكتب الحسين شعراً استرضاه فيه، فكتب إليه: "قد تلافى لسانك بشعرك ما جناه في وقت سكر، وقد رضيت عنك رضا صحيحاً". فعاد إلى خدمته وما سكر عنده بعدها^(١) ومن نوادر ما يروى في ذلك أنّه: "كان بالبصرة مجنون، فدعا أصحاباً له من المجانين، وأطعمهم وسقاهم نبيذاً، فعرّد أحدهم، فأخذ بيده وأخرجه، وأغلق بابه دونه، ثم دخل وهو يقول:

وَمُعْرِيدٍ أَخْرَجْتُه
لَمَّا تَعَرَّضَ لِلْنَّدَامَى^(٢)

ولأبي نواس قول في عدم مسامحة النديم:

وَإِذَا رَأَى نَدِيمِي عَرِيدَةً
فَأَقْرَعَ عَنِ الْكَأْسِ مِنْهُ كَبِدَهُ^(٣)

١- الأغاني ٧: ١٦٤ - ١٦٥. ويروى أن الحسين بن الضّحّاك لما عرّد بحضرة الأمين أمر بجرّ رجله من بين يديه، وصرفه وأمر بأن يحجب عنه. راجع المصدر السابق ٧: ٢٠٦.

٢- قطب السرور ص ٤٣٦.

٣- ديوان أبي نواس (دار صادر) ص ١٨٨، وانظر قطب السرور ص ٤٤٢.

ومن المستحسن للملوك وذوي السلطان حرصا على ندائهم وعلى استمرار
علاقتهم الحسنة بهم إذا علموا أن بعضهم قد بلغ غاية مجهوده في الشرب،
وأن الزيادة بعد ذلك تضر ببدنه وجوارحه، أن يأمرؤا بالكف عنه، وأن لا يكلف
فوق وسعه^(١)، لأنهم يكونون بذلك قد جنبوا أنفسهم رؤية تصرفاتهم غير اللائقة
وسماعها. ويستحسن أيضا بالنديم الذي يعرف أنه لا يقتدر على الشرب الكثير،
ولا يستطيع مجارة الملك في ذلك، ويفتضج عند تناوله، أن يتجنبه حفاظا على
حظوته عنده.

ب- على مائدة الملك

إن مؤكلة الملك تفرض على نديمه أو جلسيه أن لا يحسن الصمت على مائدته،
لأن الملك يتوحي أن يسمع منه الأحاديث التي تزيد في شهوته، ولذا فإنه
يستظرف في النديم أن يصف اللون الغريب من الطعام^(٢)، وأن يتخير الأحاديث
التي تناسب الحال التي هو فيها.

١- انظر التاج ص ٤٩.

٢- انظر أدب النديم ص ٨٠. وانظر أيضا نهاية الأرب ٦: ١٤٦ حيث جاء: "من لم يدر
عشرة أصوات من الغناء ويحسن من غرائب الطبخ عشرة أنواع لم يكن عندهم ظريفا كاملا
ولا نديما جامعا".

ومع أن الأحاديث فاكهة المجالس إلا أنه جاء أن بعض ملوك الفرس أمروا بالسكوت عند الطعام لتأخذ الطبيعة مجراها ، فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء ، وتسكن النفس عند ذلك ، فتدبر كل عضو تدبيرا يؤتي إلى ما فيه صلاحه حين أخذ صفو الطعام^(١)

وعلى النديم أو الجليس أن يراعي نفسية الملك الذي يواكله ، فإذا لمس منه سخاء وكرما ذاكره بما يعجبه ويشاكل مذهبه في إخماد قوة الشهوة للأكل ، والإكثار منه وما فيه من اللذة ، وإذا لمس منه بخلا حدثه بما جاء في تخفيف الطعام والأخذ بمقدار الحاجة إليه ، وما يقيم الجسم دون ما يتعرض به للتخمة . . . ثم إن استشاره في نقل أو عشاء لم يشر عليه إلا بما لطف من النقل وحاد به عن الطعام وخوفه عاقبه^(٢) .

وإذا شارك النديم أو الجليس السلطان مائدته عليه أن لا يستوفي طعامه بحضرته ، وأن يراعي عدم الشره على موائده لأنها : للشرف وليست للعلف^(٣) .

١- انظر مرجع الذهب ١ : ٢٢١ . وراجع التاج ١٨-١٩ .

٢- انظر أدب النديم ص ٢٦-٢٧ .

٣- الكشكول ٢ : ٢٩٦ . ويمكن أن يكون هذا الشرط خاصا بالأشراف الذين يدعون لمشاركة الملوك موائدهم وهؤلاء ليسوا في عداد الندماء .

لأن حظه من مائدة الملك هو المرتبة التي رفع إليها . وقد كان ملوك الفرس يعاقبون الذين يشبهون بحضرتهم ، وكانوا إذا رأوا شرها في أحد المقربين أخرجه من طبقة الجد إلى طبقة الهزل ، ومن باب التعظيم إلى باب الإحتقار^(١) . ويحكى عن سابور ذي الأكتاف أنه أراد أن يعين قاضيا ، فوصف له أحد الأشخاص ، فاستدعاه وجلس وإياه على المائدة ، وقدمت إليهما دجاجة ، شطرها سابور ، ووضع بعضها أمام الرجل . ولما شرعا في الأكل ، فرغ الرجل من حصته ، ومد يده إلى طعام آخر ، فلما رفعت المائدة ، قال له : " انصرف إلى بلدك ، فإن سلفنا كانوا يقولون : " من شره بين يدي الملوك إلى الطعام كان إلى أموال الرعية أشد شرها " ^(٢) . ويروى عن علي بن أبي طالب أنه كان إذا دعي إلى طعام أكل شيئا قبل أن يأتيه ، وكان يقول : " قبيح بالرجل أن تظهر لقمة في طعام غيره " ^(٣) .

ولكن إذا كان الموائد ممن ينادمون الملك ويطلقون مجالسته فقد أذن له بذلك ويتحدث صاحب التاج ممن يسمح له به فيقول : " وكذلك يجب للملوك أن لا يشروه أحد إلى طعامهم ، ولا يكون غرضه أن يملأ بطنه وينصرف . . . إلا أن يكون الأكل أخا

١- انظر التاج ص ١٣ ، والمستطرف ١ : ٢١٤ .

٢- التاج ص ١٦ ، وتبويب الملوك والمكائد ص ٢٦ .

٣- المخلاة ص ٤٨ . وجاء في نهاية الأرب ٣ : ٣٤٩ أن المأمون كان يكره أن يرى نديمه يكثر من أكل البقل ، ومن الإنكباب على الطعام لأنهما يدلان على الشر .

الملك أو ابنه أو عمه أو ابن عمه ، أو من أشبه هؤلاء ، ويكون أيضا ممن يقصر بعد الأكل ويطيل المئادة ويجعل ما يأكله غداً يومه وليلته ، إذ كان لا يمكنه الإنصراف متى شاء^(١) .

وأثناء الأكل على النديم ألا يرفع طرفه إلى الملك إذا أكل ، ولا يحرك يده معه في صفحة^(٢) ، حتى إن بعض الندماء والجلساء لم يرتض للملك أن يرفع طرفه إليه ويلاحظه ، ويروى أن أعرابيا حضر مائدة معاوية ، فبينما هو يأكل إذ تعلقت شعرة بلقمة الأعرابي ، فقال له معاوية : " يا أعرابي ، نج الشعرة عن لقمتك " ، قال : " وإنك تلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة في اللقمة ، والله لا أكلت عندك أبداً ، وخرج وهو يقول :

وَلَمَّوْتُ خَيْرَ مَنْ زِيَارَةَ بَاخِلٍ يَلْحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عُمْدٍ^(٣)

ويتوقع الخليفة من خلطائه أن يشاركوه فيما يدعوههم إليه من طعام ، ولما دخل عمرو ابن العاص على معاوية وهو يتغذى قال : " هلم يا عمرو " ، قال : " هنيئاً يا أمير المؤمنين ،

١- التاج ص ١٣ . وانظر هاورد في السعادة والإسعاد ص ٣٨١ : " وإن أجلسك السلطان على مائدته فلا تستوفين الطعام وإن احتجت إليه إلا أن تكون في حساب الندماء " .

٢- انظر التاج ص ١٦ .

٣- عيون الأخبار ٣ : ٢٢٢ . وانظر المخلاة ص ١٥٩ حيث يروى الخبر عن سليمان بن عبد الملك .

أكلت أنفاً، فقال: "أما علمت يا عمرو أن من شراهة المرء أن لا يدع في بطنه مستزاداً لمستزيد؟" فقال: "قد فعلت يا أمير المؤمنين"، قال: "ويحك، فلمن أبقيته؟ ألن هو أوجب حقاً من أمير المؤمنين؟" فقال عمرو: "وماذا لقيت منك يا معاوية؟"، ثم دنا وأكل^(١) وهكذا اعتبر امتناع عمرو بن العاص عن مؤاكلته تضييعاً لواجباته نحوه، ولذلك اضطرَّ عمرو إلى تجاوز الخطأ الذي وقع فيه وشاركه في الأكل . ويروى عن عبد الملك بن مروان أنه لما دعا رجلاً إلى غدائه، وقال له: "تغذيت"، قال له: "ما أتيح الرجل أن يأكل حتى لا يكون فيه بقية لطعام"، فقال: "يا أمير المؤمنين، شيء فضل، ولكني كرهت أن أكل، فأصير إلى ما استقيح أمير المؤمنين"^(٢) . وبهذا استدرك ما وقع فيه، وأشار إلى أن ما قام به لم يكن إلا إرضاء للخليفة.

وإذا رفض أحد الحاضرين دعوة الخليفة إلى مائدته، يمكن أن يتولى موظفو البلاط إهانته، مثلما حدث عندما استدنى المنصور للغداء شاباً من بني هاشم - وكان يسلم من بعيد وينصرف - وقال له: "تغذيت". فأمر حاجب المنصور أن يدفع في قفاه عند خروجه، ولما تقدّم الرجل بشكواه إلى الخليفة، برّر الحاجب موقفه بما أرضى الخليفة ووافق هواه بعد أن نبّه إلى سوء أدب الرجل وجهله بالمكانة التي رفعه إليها أمير المؤمنين^(٣) .

١- المستجاد من فعلات الأجواد ص ٢٦٠ .

٢- المخلاة ص ٤٨ .

٣- انظر عيون الأخبار ٢: ٥٠ .

وهكذا فإنه يكره في النديم أن يحضر إلى مجلس السلطان ولا يستطيع أن يشاركه في طعامه ، وأنسه ومتعته ، ويكون حضوره تنغيصا له وتكديرا ، فعندما دعا إبراهيم ابن المهدي مخارقا المغني ، وسار إليه لا فضل فيه لطعام ولا شرابه اغتم لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع (١) .

وأعجب الخلفاء بالندماء والخلطاء الأكولين وقدموهم على غيرهم ، ويروى أن المعتصم عزم على الاصطباح مع ندمائه ، فأمر كلاً منهم أن يطبخ قدرا ، ثم دخل الحاجب يستأذن لأحمد بن أبي دؤاد (٢) (ت ٢٤٠ هـ) ، فشاور ندماءه بدخوله ، فقالوا : " لا " . لكنه قال لهم : " سواء لهذا الرأي بوالله لحق سنة أسهل علي من ذلك " ، ولما دخل بان السرور على المعتصم ، وقال له : " أحكم فيما طبخ " ، فأكل من جميعها حتى استوفى ، وأعطى حكمه فيها ، ثم جلس وشاركهم في الأكل ، وأخذ يحدثهم بأخبار مشاهير الأكلة في صدر الإسلام أمثال معاوية بن أبي سفيان ،

١- انظر الأغاني ٦ : ١٦٩ .

٢- أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي ، أبو عبد الله مشأ في دمشق ورحل إلى بغداد ، وهو أحد القضاة المشهورين من المعتولة وأس فتنة القول في خلق القرآن . كان عارفا بالأنساب والأخبار ، وكان شديد الدهاء ، اتصل بالمأمون ، والمعتصم الذي استقضا وجعل يستشيريه في أمور الدولة كلها ، ثم اتصل بالوائق ، وتوفي في أول خلافة المتوكل . راجع لترجمته في الأعلام ١ : ١٢٠ حيث يذكر مصادره .

وسليمان بن عبد الملك، والحجاج، وعبيد الله بن زياد، ويحدثهم عن أكلة دهره،
ولما رفعت المائدة سأله المعتصم حوائجه، ففرض له ثلاث عشرة حاجة. ثم قام
خطيباً، فمدح المعتصم. فقال المعتصم: "هذا والله الذي يتزين بمثله، ويستهج
بقربه، أما رأيتم كيف دخل؟ وكيف أكل؟ وكيف وصف القدور؟ وكيف انبسط في
الحديث؟ وكيف طاب به أكلنا؟ والله لا يرد هذا عن حاجة إلا لنسيم الأصل،
ولو سألتني ما قيمته عشرة آلاف ألف درهم ما رددته عنها، فلأني أعلم أنه
سيكسبني في الدنيا جمالا وحمدا، وفي الآخرة ثوابا وأجرا".^(١)

وسخط الملوك على الذين أظهروا نفورا من مشاركتهم طعامهم، قال محمد
ابن عبد الملك الزيات^(٢) (ت ٢٣٣ هـ): "أعين علي أحمد بن أبي دواد بأشياء لم
أعن عليه بمثلها، حتى أنه أعين علي في تمكّن حاله عند الوراق، بأنّه كان طيب

١-نشوار المحاضرة ٧: ٢٤٥ - ٢٤٧ .

٢- محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، أبو جعفر، المعروف بابن الزيات، وزير المعتصم
والوراق، عالم باللغة والأدب، من بلغاء الكتاب والشعراء. نشأ في بيت تجارة في الدسكرة
قرب بغداد، ونبغ، فتقدّم حتى بلغ رتبة الوزارة، وعوّل عليه المعتصم في مهام دولته، وكذلك
ابنه الوراق. ولما مرض الوراق عمل ابن الزيات على تولية ابنه وحرمان المتوكل، فلم يفلح.
وولي المتوكل فنكبه، وعدّبه إلى أن مات ببغداد، وكان من العقلاء الدهاة. وله ديوان
شعر. راجع ترجمته في الأعلام ٧: ١٢٦ - ١٢٧ حيث يذكر مصادره.

الأكل ، طحون الخرس ، هضم المعدة ، وكنت على خلافه في ذلك ، فحضرته يؤاكل
الوائق وليس معها ثالثه ودعاني الوائق إلى الطعام ، فأقبلت أنفر على حسب
عادتي ، وخمود شهوتي ، وهما يتباريان في تكبير اللقم ، وجودة الأكل ، فلما رأى
أحمد ذلك مني قال : " يا أمير المؤمنين ، ما جلوس هذا المحتمي معنا يحصي علينا
اللقم ، أما أكل كما نأكل فوفانا حق المواكلة ، ولم يحشمننا ، أو نهضه فتفرد بمواكلة
أمير المؤمنين من يحسن حضورها ، ويقابلها بما يشبهها " فقال الوائق : " قد صدق
أحمد ، فكل أو دع . فما تمالكت أن نهضت " (١) .

ويتحدث الغزولي عن طريقة خاصة لأكل الظرفاء ، وذلك بأن يقبض الرجل
الخنصر والبنصر ويأكل بأصابعه الثلاثة وفي مذهب الظرفاء أن البنصر إذا أصابه
الزفر فليس بظريف في الأكل إلا في الشريد فإن أكلها بأربعة أصابع سوى الخنصر ،
وقالوا : " الأكل على أربعة أنحاء : بإصبع عن المقت ، وإبصبعين من المكر ، وثلاث من
السنة ، ويخمس من الشره " (٢) ومن آداب الأكل بين يدي الملوك أن لا يخلط
النديم طعاما بآخر ، ولا يغمس اللقمة بالخل ثم يضعها في الطعام (٣) ، حرصا على
عدم انسداد شهية الملك لأنه يتأذى من مشاهدة هذه التصرفات .

١- آداب النديم ص ٨-٩ .

٢- مطالع البدور ٢ : ٦٠ .

٣- انظر نهاية الأرب ٦ : ١٥٠ .

ج - في مجلس الملوك

تخضع العلاقة بين النديم والسلطان لجملة من الشروط والآداب التي توجه تصرفات كل من يعاشر السلطان ، وكلما أظهر النديم تمسكا بها ازدادت حظوته لأن الملوك لا يقربون إلا من يستشعرون هيبته ويحترمونه .

وإذا كان النديم في حضرة الملك ، مسبيله أن يقل الالتفات إلى جانبه وورائه ، والتحريك ليد أو شيء من أعضائه ، أو رفع رجل للاستراحة عند إعيائه ، وأن يغض طرفه عند كل مرأى إلا شخص الخليفة وحده ، وألا يسار أحدا في مجلسه ، ولا يشير إليه بيده ، ولا يقرأ رقعة ولا كتابا يوصلان بين يديه إلا ما احتاج إلى قراءته عليه ، وأذن له فيه .^(١)

ويستفح أن يصدر عن خلطاء الملك ما يدل على مللهم وعدم متعتهم بما يدور في المجلس ، أو ما يشير نفور الملك واشمئزازه . وجاء في (الموسى أن : الظرفاء لا يتشاءون ولا يتمطون ولا يوقعون أكفهم ، ولا يشبكون أصابعهم ، ولا يمدون أرجلهم ، ولا يحكّون أجسادهم ، ولا يمسون آثافهم ، وخاصة إذا كان أحدهم بين يدي خليفه

أو ربيطه أو حبيسه أو من يحتشمه ويكرمه^(١).

وإذا عطس الملك على النديم أن لا يشمته ، ولما حمل الشعبي إلى عبد الملك ابن مروان طلب منه ألا يكلفه ذلك^(٢) ، لأن الملوك يستنقلون ردّ جوابه . وقد قيل في الملوك : "هم جماعة يستكثرون من الكلام ردّ السلام ، ويستقلّون من العقاب ضرب الرقاب"^(٣) . ومما يجب أن يتجنّبه النديم المخاط والبصاق على الجملة والسعال والعطاس على قدر المستطاع^(٤) ، ولكن يحدث أن لا يتقيد النديم بهذه الآداب ، ولما فرض أحد موظفي بلاط المعتصم هذه الشروط على علي بن الجنيد الإسكافي^(٥) ، وطلب منه التهيؤ لملازمة المعتصم قال له ابن الجنيد : "وكيف أتهيا؟ أهى لي

١- الموشمي ص ١٤٦ .

٢- انظر وفيات الأعيان ٣ : ١٣ - ١٤ ، وكذلك أدب النديم ص ٣٧ حيث جاء : "إنّ ممّا يلزم النديم لرئيسه أن يروض نفسه أن لا يصبّحه ولا يمشيه ولا يشمته ولا يستخبره" . وانظر عيون الأخبار حيث جاء : "أن عبد الملك بن صالح العبّاسي قال لمؤدّب ولده بعد أن اتّخذّه جليسا : "لا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ، ولا جواب السؤال والتعزية ، ودع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى" .

٣- الكشكول ١٧ : ٢ .

٤- انظر الموشى ص ١٤٦ ، رسوم دار الخلافة ص ٣٥ ، مروج الذهب ٤ : ٤٩ .

٥- علي بن الجنيد الاسكافي اتّصل بالمعتصم وكان يضاحه ويهازله ، وكان المعتصم يأنس به ، وكان عجيب الصورة ، عجيب الحديث . راجع مروج الذهب ٤ : ٤٨ .

رأساً غير رأسي، أشتري لحية غير لحيتي ؟ أزيد في قامتي ؟ أنا متهيئ،
وفضلة ولما أسمع شروطه، قال له : " اذهب له، فقل له : " ما يراملك إلا من أمة
زانية، وهو كشخان^(١)، فرجع الموظف، فقال للمعتصم ما قال، فضحك المعتصم
وقال : " جئني به "، فجاءه، فقال : " يا علي، أبعث إليك تزاملني فلا تفعل؟ " فقال له :
" إن رسولك هذا الجاهل ... جئني بشروط يهرب منها الشيطان، فقال : " لا تبصق،
ولا تفعل كذا، وافعل كذا، وجعل يمطط في كلامه، ويفرقع في صاداته، ويشير بيديه ...
ولا تسعل ولا تعطر، وهذا لا يقوم لي، ولا أقدر عليه، فلن رضيت أن أراملك،
فلن جاء الفساء فسوت عليك وضرت، وإن جاءك أنت فأذه، فافس واضرط، وإلا
فليس بيني وبينك عمل "، فضحك المعتصم حتى فحس برجليه، وذهب به الضحك كل
مذهب، وقال : " نعم زاملني على هذه الشريطة^(٢) ".

وهناك جملة من الشروط التي تفرض على الندماء، وعليهم أن يتقيدوا بها،

ومنها :

أولاً - عدم الغضب

إن الغضب عند الملوك جرأة عليهم، ولذا فهم يكرهون أن يصدر ذلك عن

١- الكشخان : الديوث، وهو دخيل في كلام العرب. انظر اللسان مادة كشخ .

٢- مروج الذهب ٤ : ٤٨-٤٩، ومحاضر الأدباء ٢ : ٦٩٤ .

ندمائهم ، وهم نادرا ما تجاوزوا عن ذلك وتسامحوا فيه . قيل عن نصيب الشاعر أنه دخل على إبراهيم بن هشام بن عبد الملك ، فأنشده مديحاه ، فقال إبراهيم : " ما هذا بشيء ، أين هذا من قول أبي دهبل ^(١) (ت ٦٣ هـ) لصاحبنا ابن الأزرق حيث يقول :

إِنْ تَغْدُ مِنْ مَنْقَلِي نَخْلَانَ مَرْتَحِلًا يَرْحَلُ مِنَ الْيَمَنِ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ

فغضب نصيب ، ونزع عمامته ، وبرك عليهما ، وقال : " لئن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتكم بمثل مديح أبي دهبل أو أحسن ، إن المديح والله إنما يكون على قدر الرجال ، فأتق الله ، وعجبوا من إقدام نصيب عليه ، ومن حلم ابن هشام وهو غير حليم ^(٢) . ولكن إذا لم توجه آية انتقادات لتصرفات نصيب في هذا المجلس ، فهذا لا يعني أن الملوك يتجاوزون دائما عن مثل هذه التصرفات . ويروى أن اليزيدي سأل الكسائي بحضرة الرشيد : " انظر ، في هذا الشعر عيب ؟ " وأنشده :

١- وهب بن زمعة بن أسد ، من أشراف بني جمح بن لؤي بن غالبه من قريش ، من أهل مكة . وهو أحد الشعراء العشاق المشهورين ، وله مدائح في معاوية وعبد الله بن الزبير ، وكان صالحا وقد ولّاه عبد الله بن الزبير بعض أعمال اليمن . توفي بتهامة . وأخباره كثيرة ، وله ديوان شعر . راجع ترجمته في الأعلام ٩ : ١٤٩ .

٢- الأغاني ١ : ٣٦٢ - ٣٦٣ .

لا يكون العير مَهْرًا لا يكون المهر مَهْرًا

فقال الكسائي : " قد أقوى الشاعر ، فقال له اليزيدي : " انظر فيه ، فقال : " أقوى ، لا بدّ ينصب " المهر الثاني " على أنّه خبر كان " ، ف ضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض ، وقال : " أنا أبو محمد ، الشعر صوابه وإنما ابتداء فقال : " المهر مهر " ، فقال له يحيى ابن خالد : " أتكتني بحضرة أمير المؤمنين ، وتكتشف رأسك ، والله لخطأ الكسائي مع أدبه ، أحبّ إلينا من صوابك مع سوء فعلك " ، فقال : " لذّة الغلبة أنستني من هذا ما أحسن " (١) .

ثانيا - عدم رفع الصوت والفخر

آدب الله تعالى أصحاب الرسول (ص) فقال : " يا أيّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون " (٢) . وفي مجالس الملوك فإنّه يطلب من النديم أن يخفض صوته وآلا يرفعه إلّا بقدر السماع الذي لا يحتاج معه إلى استفهامه واستعادته . جاء في السعادة والإسعاد : " يجب على من دخل إلى رئيس أن لا يجاذبه مقبلا إليه ولا منصرفا عنه ، وليس ينبغي أن يرفع صوته في كلامه بأكثر مما يسمعه " (٣) .

١- معجم الأدباء ١٣ : ١٧٨-١٧٩ .

٢- سورة الحجرات : ٢ .

٣- السعادة والإسعاد ص ٣٧٩ . وانظر التاج ص ٦٩ حيث جاء : " ومن حقّ الملك أن لا يرفع أحد صوته بحضرته ، لأن من تعظيم الملك وتبجيله خفض الأصوات بحضرته ، إذ كان ذلك أكثر في بهائه وعزّه وسلطانه " وراجع رسوم دار الخلافة ص ٣٣ - ٣٤ .

والفخر في حضرة الملك من أشد ما يؤذيه ويسىء إلى عظمته ، لأنه لا يتوقع من ندائه أن يظهروا دالتهم بحضرتة ، ولذلك كره الملوك من لا يسيطر على لسانه ويظهر منه ما يسىء إلى عزتهم . ولما استنشد سليمان بن عبد الملك الفرزدق — وكان يرى أنه سيبدعه — أنشده مفتخرا :

وَرَكِبَ كَانَ الرِّيحَ تَطْلُبُ مِنْهُمْ	لَهَا سَلْبًا مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ
سَرَوْا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلْفَهُمْ	عَلَى شُعْبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
إِذَا اسْتَوْضَحُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا	وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبِ

وكانت عمامته على رأسه مثل المنسف ، فغاظ سليمان ، وكلح في وجهه ، واستنشد النصيب الذي رأى تغير وجهه وعرف سبب غضبه وغيظه ، فأنشده مادحا :

وَقُلْتُ لِرَكِبٍ قَافِلِينَ لَقِيْتَهُمْ	قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ
قَفُوا خَبَرُونَا عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي	لَمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانَ طَالِبُ
فَعَاجَبُوا فَأَثَبُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ	وَلَوْ سَكَتُوا أَثَبْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

فاستحسن سليمان ذلك ، وسر ، وأجازه .^(١)

١- ذيل الأماي ص ٤٠ ، والأغاني ١ : ٣٣٦ - ٣٣٧ .

ثالثاً : تجنب المزاح

إن المزاح مع الملوك يختلف عنه مع الأكفأ والخلطاء ، فعندما يمازح الرجل صديقاً لا يحاسب نفسه على كل ما يبدر منه لعدم شعوره بأية قيود كتلك التي يجب أن يضعها أمامه عند محاولة التفكير به مع الملوك ، ولذا فلن المزاح معهم غير مأمون العواقب لأن خيره لا ينال وشره لا يقال ، ويستحسن تجنبه حتى مع الأصدقاء^{١٠} . والتحفّظ في هذا الباب من أكبر الأسباب . لأن المنادر والمهاتر والمسامر قد تمرّ له النادرة المضحكة والطيبة المتحركة ، فيستغرب المجلس ، وتطرب الأنفس ، فيدعوه ما استحسّن منه ، واستندر عنه ، أن يعود إلى مثلها ، فينقص من حيث ظنّ أنّه زاد ، ويفسد عليه ما أراد^(١) .

وقد حرص المؤدّبون أن لا يؤثر عن ملوكهم أو أبنائهم ما يشير إلى تعاطيهم المزاح أو السماح به في مجالسهم ، ونرى أن عبد الحميد الكاتب قد أوصى عبد الله بن مروان بن محمد ، الذي كان وليّ عهد أبيه ، في رسالة إليه بقوله : "إياك وأن يفاض عندك بشي من الفكاهات ، والحكايات ، والمزاح ، والمضاحك ، التي يستخفّ بها أهل البطالة ، ويتسرّع نحوها ذوو الجهالة ، ويجد فيها أهل الحسد مقالا لعيب يذيعونه ، وطعنا في حقّ يجحدونه ،

١- ذيل زهر الآداب ص ١٢ .

مع ما في ذلك من نقص الرأي ودرن العرض وهدم الشرف وتأثيل الغفلة^(١) .

ولكن يستحسن المزاج مع الملك إذا تبين النديم منه نشاطا لذلك ، على أن يستأذن قبل الشروع فيه ، فقد قال أحد الجلساء للمأمون : "أياذن أمير المؤمنين في المداعبة ؟" قال : " وهل العيش إلا فيها " ^(٢) . وكان المأمون لمحبة المزاج يغري إسحق الموصلي بالعبث بالعتابي ^(٣) (ت ٢٢٠ هـ) ، فأقبل يعارضه في كل ما يذكره ، ويزيد عليه ، فعجب منه ثم قال : "أياذن أمير المؤمنين في مسألة الإنسان عن اسمه ونسبه ؟" قال : "افعل" فقال العتابي : "من أنت ، وما اسمك ؟" قال : "أنا من الناس ، واسمي كل بصل" فقال العتابي : "أما النسبة فمعروفة ، وأما الاسم فنمكر ، وما كل بصل من الأسماء ؟"

١- رسائل البلغاء ص ١٢٩ .

٢- أدب النديم ص ١٠ .

٣- كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي ، أبو عمرو ، من بني عدي بن سعد مكاتب وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة ، يتصل نسبه بعمر بن كلثوم الشاعر الجاهلي وهو من أهل الشام ، سكن بغداد فمدح الرشيد وآخزين ، ورمي بالزندقة ، فطلبه الرشيد فهرب إلى اليمن ، فسعى الفضل بن يحيى البرمكي بأخذ الأمان له من الرشيد ، فأمنه ، وعاد فاقتصر البرامكة ثم طاهر بن الحسين . وصنف عددا من الكتب . راجع ترجمته في الأعلام ٨٩ : ٦ - ٩٠ حيث يذكر مصادره .

قال إسحق : " ما أقل إنصافك ، وما كلتم من الأسما ؟ والبصل أطيب من الثوم " . فقال العتّابي : " لله دَرَك ما أرجحك ، ما رأيت يا أمير المؤمنين كالرجل قط ، أفأذن لي في صلته بما يصله به أمير المؤمنين ، فقد والله غلبني " . فقال المأمون : " بل هو موثر عليك ، ونأمر له بمثله " ، ونهضا^(١) .

ولكن إذا سمح للنديم في المزاح فإنه يحذر من إغاية الملك ، وإذا وقع النديم في ذلك فإنه يستطيع أن يتخلص منه بأن يجعل حكاية ما يحكيه للملك ، وإشارة ما يضحك به عائدين عليه ، ويجب أن لا يحمله ما يراه من ضحك الملك على الاستمرار فيما حذّره منه^(٢) .

رابعاً - عدم التعرض للحرم والغلمان .

إن من حقّ الملك أن لا يرفع أحد من خاصّته رأسه إلى حرمة له صغرت أم كبرت ، لأن غيظته تجعله سريع الانتقام ممن يفعل ذلك . ولقد أدرك بعض الندماء نفسيّة الملوك وأغفلها آخرون . وما يستحسن من شدة تحرّز الندماء ما حكى : " أنه أهدي إلى بعض الملوك

١- أدب النديم ص ١١ .

٢- انظر رسوم دار الخلافة ص ٨٨ .

حلي وكسوة ، وبحضرته امرأتان من نساءه ، ووزير من وزرائه ، فخير إحدى إمرأتيه بين اللباس والحلية ، فنظرت المرأة إلى الوزير كالمستشارة له ، فغمزها بإحدى عينيه على أخذ الكسوة ، ولحظه الملك ، فعدلت عما أشار به من الكسوة ، واختارت الحلى ، لثلاث يظن الملك للخمرة ، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه ليظن الملك أنها عادة وخلقة^(١) .

ولم تقبل الملوك العبث بجواربها ، ويروي أبو الفرج الأصبهاني أن المأمون اصطحب يوما ومعه ندماؤه ، وفيهم محمد بن حامد ، وجماعة من المغنين ، وعريب^(٢) (ت ٢٧٧ هـ) معه على مصلاه ، فأوما محمد بن حامد إليها بقبلة ، فاندفعت تغني ابتداءً :

رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَّ بِطُغْنَةٍ كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُسْتَهْمِ

تريد بغنائها جواب محمد بن حامد ، بأن تقول له : " طعنة " فقال لها المأمون : " امسكي " ، فأسكت ، ثم أقبل على الندماء ، فقال : " من فيكم أوما إلى عريب بقبلة ؟ والله لئن

١-الوزراء والكتاب ص ١١ ، وراجع العقد الفريد ١ : ٢١ .

٢-عريب المأمونية ، شاعرة ، مغنية ، أدبية ، من أعلام العارفات بصنعة الغناء والضرب على العود ، وقيل هي بنت جعفر بن يحيى البرمكي ، ولدت ببغداد ، ونشأت في قصور الخلفاء من بني العباس ، وأعجب بها المأمون فقرّبها حتى نسبت إليه ، ويقال إنها أجادت اللعب بالنرد والشطرنج ، وقد صنعت ألف صوت في الغناء . وأخبارها كثيرة في الأغاني .
مانت بسامرا . راجع ترجمتها في الأعلام ٥ : ١٩ حيث يذكر مصادرها .

لم يصدقني لأضربن عنقه" ، فقام محمد فقال : "أنا يا أمير المؤمنين أومأت إليها ،
والعفو أقرب إلى التقوى" ، فقال : "قد عفوت" (١) .

وشملت غيرة الخلفاء ، وغلماؤها ، فقد غضب المتوكل على نديمه أحمد بن إبراهيم
ابن اسماعيل بن حمدون وعاقبه لأنه كان يسهل للفتح بن خاقان الاتصال بأحد
غلمانها (٢) .

وكره الناس العاديين — وهذا طبع في الإنسان — التعرض لحرمهم ، وقد قال
بعضهم لنديم رآه يرمق حرمه :

كُلُّ هَنِئِئًا وَمَا شَرِيتَ مَرِيئًا تَمَّ قُمْ صَاغِرًا وَغَيْرَ كَرِيمٍ
لَا أَحَبُّ النَّدِيمِ يَرْمُقُ بِالْعَيْنِ إِذَا مَا أَنْتَشَى لِعِرْسِ النَّدِيمِ (٣)

وفخر بعض الندماء بالتخلص من إغراء نساء من ينادمون ، واعتبروه دليلا على إخلاصهم
لهم ، ويروى عن أحد الفضلاء أنه كان ينادم صديقا له فتعرضت له زوجته فامتنع عنها ،
وقال :

رَبِّ حَسَنَاءٍ كَالْمَهَاءِ تَهَادَى قَدْ دَعَتْنِي لِوَصْلِهَا فَأَبَيْتُ
لَمْ يَكُنْ بِي تَحَرُّجٌ غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ نَدَمَانُ زَوْجَهَا فَأَسْتَحْيَيْتُ (٤)

-
- ١- الأغاني ٢١ : ٧١ .
 - ٢- انظر معجم الأدباء ٢ : ٢٠٤ .
 - ٣- انظر محاضرات الأدباء ٢ : ٦٩٨ ، والأغاني ١٧ : ٣٣٩ .
 - ٤- انظر محاضرات الأدباء ٢ : ٦٩٧ .

خامسا : عدم السعاية بأحد

كرهت الملوك سعاية ندمائها ووشايتها ، وحملت ذلك على الكذب ، والملق ، ولذا فلان سبيل النديم أن يكف لسانه عن الغيبة عند سلطانه ، لأنه يتصور ذلك إما شرا غلب على طبعه ، أو حسدا استكن في صدره . فعبد الملك بن مروان حذر جليسه الشعبي أن يسعى إليه بأحد ، ولم يرض أن يفتاب عنده أحدا^(١) . وقد قال المأمون لأحد جلسائه بعد أن رآه يسعى بأخوانه ويغتابهم عنده : "إن الصديق يحول بالجفاء عدوا ، والعدو يحول بالصلة صديقا ، وأراك رطب اللسان بعيوب إخوانك ، فلا تزدهم في أعدائك ، والعافل قليل الغيب ، وما اعتادت نفسي غيبة ولا رغبة"^(٢) . وكان علي بن الجهم خصيصا بالمتوكل لكنه أبغضه لأنه كان كثير السعاية إليه بندمائيه ، والذكر لهم بالقبيح عنده ، وكان إذا خلا به عرفه أنهم يعيبونه ، ويثلبونه ويتنقصونه فيكشف عن ذلك ، فلا يجد له حقيقة ، فنفاه بعد أن حبسه مدة^(٣) . وروي في رسم دار الخلافة "أن أحد وزراء المقتدر بالله كان يكثر من ذكر علي بن محمد ابن الفرات"^(٤) (ت ٣١٢ هـ) والطعن عليه ،

١- انظر المحاسن والأضداد ص ١٥ ، وبهجة المجالس ١ : ٣٤٣ ، ومروج الذهب ٣ : ١٢٤ ،

وعيون الأخبار ٢ : ٢٣ .

٢- رسم دار الخلافة ص ٣٧ .

٣- انظر الأغاني ١٠ : ٢٠٥ ، وانظر التاج ص ١٢٠ حيث جاء : "إن من حق الملك أن لا يعاب عنده أحد ، صغرام كبير" .

٤- علي بن محمد بن موسى مابو الحسن بن الفرات وزير من الدهاة ، الفصحاء والأدباء الأجواد . وهو مهتد الدولة للمقتدر ، ولد في النهروان الأعلى ، واتصل بالمعتضد بالله فولاه ديوان السواد . ثم بلغ رتبة الوزارة أيام المقتدر ، فقتلها ثلاث مرات ، وانتهت المرة الأخيرة بسجنه وضرب عنقه ، وطرحت جثته في دجلة . راجع ترجمته في الأعلام ٥ : ١٤١ - ١٤٢ حيث يذكر مضاده .

وكانت تظهر من المقتدر بالله كراهية لما يسمعه منه . فلما كان عنده في بعض الأيام ، أعاد الوزير ذكر ابن الفرات والوقيدة فيه ، فقال له المقتدر بالله :

” أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَاً لِأَبْيَكُمُ مِنْ اللَّئِمِ أَوْ سَدَّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدَّوْا ”

فامتنع لون الوزير ، وكادت الأرض تخيس به ، ولم يعد له ذكرا .^(١)

سادسا : كيف يسأل النديم العطايا

يلزم الندماء الملوك طلبا لصلاتهم وجريا ورا^١ جوائزهم ، وقد بلغ بعضهم درجة عالية في اقتناصها . ويفضل الملك ألا يلحق النديم في مسأله لأن ذلك يضجره ويدل على دناءة النديم^(٢) . كما يفجج بالنديم أن يستمع الملك على سكره ، لأنه يرى أن ذلك يجري مجرى الخديعة ويدخل في باب الحيلة^(٣) . ولكن إذا دفعته ضرورة إلى المسألة فالأحسن أن لا يبتدي بالسؤال محضا ، وأن يتوخى له من الأحاديث والمعارض ما يندرج السؤال في تضاعيفه على أطف ما يمكن في ذلك ، وأقربه من النادرة والفكاهة ، كما فعل المفضل

١- رسم دار الخلافة ص ٣٨ .

٢- انظر صبح الأعشى ١ : ٧٧ ، وعيون الأخبار ١ : ١٩١ .

٣- أدب النديم ص ٣١ .

الضبي^(١) (ت ١٦٨ هـ) عندما بايت المهدي ، فلم يزل يحادثه وينشده حتى جرى ذكر حماد الراوية ، فقال له المهدي : " ما فعل عياله " ومن أين يعيشون ؟ " قال : " من ليلة مثل هذه كانت له مع الوليد بن يزيد " (٢) .

ومن سوء الأدب أن يستقل الجليس العطية ، فمثلا عندما رفع قطرب النحوي^(٣) (ت ٢٠٦ هـ) كتابه في القرآن إلى المأمون أمر له بجائزة ، وأذن له ، فلما دخل عليه قال : " قد كانت عدة أمير المؤمنين أرفع من جائزته " . فغضب المأمون وهم به^(٤) .

١- المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي أبو العباس من أهل الكوفة ، راوية ، علامة بالشعر والأدب وأيام العرب ، وكان ثقة . ويقال إنه خرج على المنصور العباسي الذي ظفر به وعفا عنه ، ولزم المهدي ، وصنف له كتاب المفضليات . وللضبي كتب أخرى . راجع ترجمته في الأعلام ١٨ : ٢٠٤ حيث يذكر مصادره .

٢- أدب النديم ص ٣١ .

٣- محمد بن المستنير بن أحمد ، أبو علي ، الشهير بقطربه نحوي ، عالم بالأدب واللغة ، من أهل البصرة ، من الموالى . كان يرى رأي المعتزلة النظامية . وهو أول من وضع كتاب المثلث في اللغة . وقطرب لقب دعاه به استاذة سيوية فلزمه ، وكان يودّ أولاد أبي دلف العجلي . وله عدد من الكتب . راجع ترجمته في الأعلام ٧ : ٣١٥ حيث يذكر مصادره .

٤- انظر العقد الفريد ٣ : ٧ ، وكذلك صبح الأعشى ١ : ٧٧ حيث جاء عن صحبة النديم للسلطان : " ولا يواصل التثقل بأغراضه أو الإلحاف بأسئلته ، ولا يظهر التشعب عند التقصير به ، ولا الغضب اتكالا على سالف خدمته ، وإن يتناسى ما أسلفه من الخدمة والصحبة " .

ويكره أصحاب السلطان أن ينحطّ ندماؤهم إلى درجة السعي الخسيس وراء العطية بحيث يظهرون لهم أنّ المال هو السبب الذي من أجله صاحبوهم ، واتصلوا بهم ، ولما دخل أحد الندماء على صالح بن هارون الرشيد " وكان قد كتب على جبينه : " سيدي ، هب لي شيئاً " . لم يستطع صالح ذلك ، ولم يستملحه ، واستبعده من مجالسه (١) .

سابعاً : ماذا يفعل إذا نعس السلطان .

إذا أخذت الملك سنة من النوم وغلبته عيناه ، فعلى ندماؤه أن ينهضوا من حضرتهم بحركة ليّنة خفيفة ، حتى يتواروا عن قرار مجلسه ، ويكونوا بحيث يقربون منه إذا انتبه . ولا يقولنّ إنسان في نفسه : " لعلّ الملك إن هبّ من سنته لا يسأل عني ، أو لعله أن يمتدّ به النوم أو يعرض له شغل ، فإنّ هذا من أكبر الخطأ ، وقد قتل بعض الملوك نديماً في هذه الصفة " (٢) .

١- الأغاني ٧ : ٢٠٤ .

٢- التاج ص ٧٥ .

ويروى أنّ الرشيد "أمر جماعة من أهل العلم بمبايعة المأمون وهو غلام ، فبات عنده الحسن بن زياد اللؤلؤي^(١) (ت ٢٠٤ هـ) ، فبينما هو يحادثه نعى المأمون ، فقال له : "نمت أيها الأمير" فاستيقظ ، وقال : "سويقي ورب الكعبة" ، ثم قال : "يا غلام ، خذ بيده" ، فأخرجه ، وبلغ الرشيد ذلك فاستصوبه"^(٢) .

ثامناً : ماذا يفعل إذا أخطأ السلطان

إنّ أنفة الملوك وشعورهم بالتفوق لا يسمحان لهم أن يقبلوا من ندمائهم أن يعلموهم أمام من يحضر مجالسهم ، ولا أن يتسكّوا بخطأ يسمعون منه ، لأن ذلك إظهار لتقصير السلطان وتشهير بجهله . ومن الأفضل أن يخرج تعليم الجليس العالم له مخرج المذاكرة والمحاضرة ، لا مخرج التعليم والإفادة^(٣) ، وإن ظهر من السلطان خطأ أو زلل في قول أو عمل لم يجاهره بالرد ، بل يعرض باستدراك

١- الحسن بن زياد اللؤلؤي ، أبو علي ، من أهل الكوفة ، نزل ببغداد ، وكان أبوه من موالي الأنصار . وهو قاض ، فقيه ، من أصحاب الإمام أبي حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالماً بمذهبه بالرأي . تولّى القضاء بالكوفة سنة ١٩٤ هـ ثم استعفى . وعلماء الحديث يطعنون في روايته . وله عدد من المصنّفات . انظر ترجمته في الأعلام ٢ : ٢٠٥ حيث يذكر مصادره .

٢- المخلاة ص ٣٢-٣٣ ، والمحاسن والمساوي ص ٦٢٠ - ٦٢١ ، والعقد الفريد ٣ : ٧ .

٣- جاء في المستطرف ١ : ١١٠ : "علم السلطان وكأنك تتعلم منه ، وأشر عليه وكأنك تستشير" . وراجع صبح الأعشى ١ : ٨٦ ، ورسائل البلغاء ص ٧٠ .

زله وإصلاح خلله . حكي أن عبد الملك بن مروان قال للشعبي : كم عطاءك ؟ قال : " ألفين " ، قال : " لحت " ، قال : " لئلا ترك أمير المؤمنين الإعراب كرهت أن أعرب كلامي عليه " ^(١) . وهذا من أذكي التلميحَات التي لجأ إليها الشعبي دون أن يشعر الخليفة أنه يتسقط أخطأه ويقصد الإساءة إليه . ويروي الأصمعي قوله : " دخلت على الرشيد هارون ، ومجلسه حافل ، فقال : " يا أصمعي ، ما أغفلك عنا ، وأجفك لحضرتنا ؟ " قلت : " يا أمير المؤمنين ، ما لاقتني بلاد بعدك حتى أتيتك " ، قال : " فأمرني بالجلوس ، فجلست وسكت عني ، فلما تفرق الناس إلا أقلهم نهضت للقيام ، فأشار إلي أن أجلس ، فجلست حتى خلا المجلس ولم يبق غيري ومن بين يديه من الغلمان ، فقال : " يا أبا سعيد ، ما معنى قولك : " ما لاقتني بلاد بعدك ؟ " قلت : " ما أمسكتني ، يا أمير المؤمنين ، وأنشدت قول الشاعر :

كَفَاكَ كَفَّ مَا تَلِيْقُ دِرْهَمًا جُودًا ، وَأُخْرَى تَعْطُ بِالسِّيفِ دَمًا

أي ما تمسك درهمًا ، فقال : " أحسنت " وهكذا فكنا ، وقرنا في الملاء ، وعلمنا في الخلا ، فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالماً ، إما أن أسكت ، فيعلم الناس أنني لا أفهم ، إذ لم أجب ، وإما أن أجيب بغير الجواب ، فيعلم من حولي أنني لم أفهم ما قلت ، قال الأصمعي : " فعلمني أكثر مما علمته " ^(٢) .

١- أدب الدنيا والدين ص ٧٥ .

٢- وفيات الأعيان ٣ : ١٧٢ - ١٧٣ . وانظر أدب الدنيا والدين ص ٧٥ .

تاسعا — محادثة الملك

أ — لغة البلاط :

كانت اللغة الفصحى هي اللغة الرسمية للبلاط عند ملوك العرب، وكان لا يقبل من الجلساء والندماء اللحن في الكلام لأنه يعتبر من عيوبهم . ولما لحن خالد بن صفوان عند عبد الملك بن مروان قال : " اللحن في الكلام أقيج من الجدرى في الوجه " (١) . وإذا أحب رجل أن يتخلص من صحبة السلطان وملازمته تعتمد اللحن في كلامه حتى يغضبه فيكره مجالسته ، وذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي بعث إلى والي البصرة : " أن يختار له عشرة فصحاء " ، فاختار رجالا بينهم كثير بن أبي كثير ، وكان عربيا فصيحاً ، قال كثير : " بم أفلت من الحجاج ؟ ثم قلت في نفسي : " باللحن " ، فلما دخلت عليه دعاني فقال : " ما اسمك ؟ " قلت " كثير " ، قال : " ابن من ؟ " فقلت " إن قلت " ابن أبو كثير " خفت أن يتجاوزها ، فقلت : " ابن أبا كثير " ، فقال : " اذهب ، فعليك لعنة الله ، وعلى من بعث بك " ، ثم أمر بجره من عنقه وأخرج " (٢) .

١-المخلاة ص ٤ .

٢-ذيل زهر الآداب ص ١٠ .

وكان أصحاب السلطان يتأذون عند سماع اللحن ، ويروى أن رجلين اختصما إلى عمر بن عبد العزيز ، فجعلا يلحنان ، فقال الحاجب لهما : " كما فقد أوزيتما أمير المؤمنين " ، فقال عمر : " أنت والله ، أشد أذى إليّ منهما " . (١)

وكان الجلوساء يحاولون الإيقاع بمن يلحن عند السلطان إظهارا لعجزه عن مجالسته ، وقد كان في صحابة المهدي رجل يعرف بالثقي البصري ، وكان أبو عبيد الله بن يسار (٢) (ت ١٧٠ هـ) له مستثقلا ، وكان يحب أن يضع منه ، فتكلم الثقي يوما فلحن ، فقال أبو عبيد الله : " أتعالس أمير المؤمنين بالملحون من الكلام ؟ أما كان يجب عليك أن تقوم من لسانك ؟ " فقال له الثقي : " إنما يحتاج إلى استعمال الإعراب في جميع

١- المحاسن والمساوي ص ٤٥٥ .

٢- معاوية بن عبيد الله بن يسار ، الأشعري بالولاء ، أبو عبيد الله ، من كبار الوزراء ، أصله من طبرية ، اشتغل بالحديث والأدب ، واتصل بالمهدي قبل الخلافة وبعدها ، ففوض إليه تدبير المملكة ، فنهض بالأعباء وجعل للوزارة شأنا . كان شديد التكبر والتجبر ، واستمر إلى أن تولى الربيع بن يونس حجابة المهدي ، فعزل ، ومات معزولا . وهو أول من صنّف كتابا في الخراج . انظر ترجمته في الأعلام ٨ : ١٧٤ حيث يذكر مصادره .

الكلام ، يا أبا عبيد الله ، المعلمون ، لينفقوا عند من التمسهم لتعليم ولده " ، يعرض
بأبي عبيد الله ، لأنه كان معلماً في أول أمره ، فضحك المهدي حتى غطى وجهه . (١)

وكان الخلفاء يستغريون أن يلحن بحضرتهم جلساؤهم من العلماء ، ويحكى أن
الغراء (٢) (ت ٢٠٧ هـ) مع جلالة قدره وعلو رتبته في النحو ، دخل يوماً إلى الرشيد ،
فتكلم بكلام لحن فيه ، فقال جعفر بن يحيى البرمكي : " يا أمير المؤمنين ، إنه قد لحن " ،
فقال الرشيد للغراء : " أتلحن ؟ " فقال : " يا أمير المؤمنين ، إن طباع أهل البدو والإعراب
وطباع أهل الحضر اللحن ، فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع
ألحن " . فاستحسن الرشيد كلامه بعدما أحسن تخلصه بلباقة إجابته . (٣) وهكذا كان الخلفاء

١- الوزرا ، والكتاب ص ١٤٥ .

٢- يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ، أبو زكريا ، المعروف بالغراء ، من الموالي ،
ولد بالكوفة ورحل إلى بغداد ، وهو إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب ،
وكان فقيهاً متكلماً عالماً بأيام العرب وأخبارهم ، عارفاً بالنجوم والطب ، يميل إلى
الإعتزال . وكان يقال : الغراء ، أمير المؤمنين في النحو . عهد إليه المأمون بتربية ولديه
وتأديبهما . وله مصنفات . راجع ترجمته في الأعلام ٩ : ١٧٨ حيث يذكر مصادره .

٣- أنظر صبح الأعشى : ١ : ١٧٧ .

يقيّدون جلساءهم بالتزام الفصحى ويشترطون عدم اللحن على جميع الوافدين عليهم .
وقد قال المأمون لأحد الذين كانوا في مجلسه : " بلغني أنك أمي ، وأنت لا تقيم
الشعر ، وأنت تلحن " (١) . وكأنه يعلمه بأنه لا يصلح لمجالسته لأنه لا يمتلك المؤهلات
التي تساعده على ذلك .

ولكن التزام الفصاحة في الكلام يمكن التخلص منه إذا ما حكى النديم أو الجليس
نادرة ظريفة أو حكمة لطيفة ، فحينئذ ، يجب أن لا يعربها فتثقل ، ولا يمججها
فتجهل ، ولا يطمطها فتبرد ، ولا يقطعها فتجمد " (٢) .

بـ صفات الأحاديث

إن محادثة الملوك توجب على الندماء والجلساء مراعاة آداب الحديث حتى ينحهم
الملوك سمعهم وجوارحهم .

ومن آداب الحديث " أن لا يقتضب اقتضاها ، ولا يهجم عليه ، وأن يتوصل اجتراره بما
يشاكله ، ويسبب له ما يحسن أن يجري معه في غرضه حتى يكون بعض المفاوضة متعلقا

١- انظر صبح الأعشى ١ : ٤٣ .

٢- نيل زهر الآداب ١٠ . ومجمع الكتاب : لم يبين حروفه ، أو غيره وأفسده . انظر اللسان
مادة مجج .

ببعض ٠٠٠ وأن لا يبتدي حديثاً ثم يقطعه ، ويعد بإتمامه كأنه رَوَّاه فيه بعد ابتدائه ،
ولتكن الثروة قبل التفوه به ، فإن احتجار الحديث بعد ابتدائه سُخْفٌ ^(١) . وذلك
لأن الاقتضاب يمكن أن يدعو إلى الإيجاز الذي يخل بالفائدة المتوقعة من الحديث ،
لأن الإيجاز المتكلف يحوّل الحديث إلى فقرات معانيها غير واضحة ، وإذا أهمل النديم
مراعاة ذلك ، فإنه يكون جاهلاً بأن لسامعه غاية يجب أن يبلغها من الحديث ، ومتعة
يجب أن يحافظ عليها .

ولكن عدم اقتضاب الحديث لا يعني أن يغرق المحدث في إطالته لأن "أحلى
الحديث وأحسنه موقعاً أن تجتنب منه الأحاديث الطوال ذات المعاني المغلفة ، والالفاظ
الحشوية التي ينقضي باقتصاصها زمان المجلس ، وتتعلّق بها النفوس ، وتحتسّ على
أواخرها الكؤوس ، فإن ذلك بمجالس القصص ، أشبه منه بمجالس الخواص ، ولم يزالوا
يمدحون الأحاديث بالقصر ٠٠٠ وقال عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) :

بَيْنَ أَقْدَاجِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سِخْرٌ وَمَا سِوَاهُ كَلَامٌ ^(٢)

١- أدب النديم ص ٢٣ .

٢- المصدر السابق ص ٢٤ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٨٤ .

ومن نوادر إطالة الحديث ما يروى عن أحمد بن الطيب السرخسي^(١) (ت ٢٨٦ هـ) حيث يقول : "كنت عند العباس بن خالد ، وكان ممن حُبب إليه أن يتحدث فأقبل يحدثني وينتقل من حديث إلى حديث ، وكان في صحن منزله ، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا من موضع إلى موضع آخر ، حتى صار الظل فينا ، فلما أكثر وأضجر ، ومللت حسن الأدب في حسن الاستماع ، وذكرت قول الأوزاعي : " وإن حسن الاستماع قوة للمحدث " ، فقلت له : " إذا كنت وأنا أسمع قد عييت مما لا كلفة علي فيه ، فكيف بك ، وأنت المتكلم ؟ " فقال : " إن الكلام يحلّل الفصول الغليظة التي تعرض في اللهوات ، وأصل اللسان ، ومنابت الأسنان ، فوثبت وقلت : " ما أراني معك إلا أياج الفيقرا إذا أنت تتغرغر بي منذ اليوم ، والله لا أجلس ، ثم اجتهد بي فلم أفعل " .^(٢)

١- أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب السرخسي ، قرأ على الكندي ، وهو عالم ، متأدب ، بليغ ، كثير الرواية ، وقد علم المعتضد بالله ، وناداه ، وخص به ، وتولى حسبة بغداد والمواريث ، وسوق الرقيق ، وله عدد من المصنفات . راجع ترجمته في معجم المؤلفين ٢ : ١٥٧ .

٢- ذيل زهر الآداب ص ١١ . والأياج : دواء وهو معرب . انظر اللسان مادة أيج .
الفيقرا : الداهية ، انظر اللسان مادة فقر . الغرغرة والتغرغر بالماء في الحلق : أن يتردد فيه ولا يسيغه .

وخصّص كشاجم وصفا للأحاديث التي تستعمل في مجالس الشطرنج مع الملوك ، ويرى أن ما يناسبها هو النوادر المدهشة ٠٠٠ وهي عدّة اللاعب ٠٠٠ ويقول :
”ولست استحسنها إلّا في موضعين ، عند وقوفك على الضربة الحسنة الدقيقة ٠٠٠ وعند وقوفك على إمكان الضربة الجيدة صاحبك ٠٠٠ فأنت بما تستعمله تشغله وتدهشه حتى يكاد يعنى عن رشده“^(١) ويسمح بهذا لأن مجالس الشطرنج يتساوى فيها الملك وندماؤه ، وليس في ذلك نقص على الملك ولا ضعة في الملك ، ”غير أن ذلك لا يكون معه بذا“ ولا كلام رفث ولا معارضة بما يزيل حقّ الملك ، ولا صياح يعلو كلامه ، ولا نخير ، ولا قذف ، ولا ما هو خارج عن ميزان العدل“^(٢) .
ولذا لم يتساو الملك وملاعبه فقدت لعبة الشطرنج لذتها ، وأصبح هناك طرف مميّز ، ولذا فلمّ الملك يرغب أن يساويه ملاعبه حتى يستمتع بملاعبتهم ، لأنهم إذا ظهروا بمظهر الجاهلين باللعبة ، أو بمظهر الذين يتساهلون معه ، فقد الملك ما سعى إليه منها ، ولذا رخص الملوك لندمائهم لاعبي الشطرنج أن لا يحتشموا ، وأن يتخلّصوا من بعض القيود التي تلزمهم في مجالس أخرى .

١- أدب النديم ص ٤٠ .

٢- التاج ص ٧٣ ، وراجع ص ٧٣-٧٥ .

ج - اختيار الألفاظ في مخاطبة الملوك

يفرض على النديم أن يحسن اختيار ألفاظه بحيث يكون على حذر من عشرة لسانه، حتى يكسب ودَّ الملك وعطفه ولا يثير غضبه وسخطه . وليس للنديم أن يفسد ألفاظه وكلامه بأن يقول في حديثه : " فاسمع مني ، أو افهم عني ، أو يا هذا ، أو ألا ترى " لأن هذا اتهام للملك بعدم الفهم والوعي لما يقول (١) .

ومن الواجب عدم مخاطبة أصحاب السلطان بأسمائهم وكناهم ، وإنما بما يشير إلى عزتهم ويؤكد سلطانهم ، وكان الجفاة من العرب بسوء أدبهم ، وغلظ تركيبيهم إذا أتوا النبي (ص) خاطبوه ودعوه باسمه وكنيته ، فأما أصحابه ، فكانت مخاطبتهم إياه بـ : " يا رسول الله ، يا نبي الله " . (٢)

ومن حقَّ الملك إذا دخل عليه رجل ، وكان اسمه إحدى صفات الملك ، وسأله الملك عن اسمه ، أن يكي عنه ، ويجيب باسم أبيه ، كما فعل سعيد بن مرة الكندي حين أتى معاوية ، فقال له : " أنت سعيد ؟ " فقال : " أمير المؤمنين السعيد ، وأنا ابن مرة " . (٣)

١- انظر التاج ص ١١٢ .

٢- المصدر السابق ص ٨٥-٨٦ . وقد وصفهم الله تعالى في سورة الحجرات ٤ ، بقوله : الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .

٣- المصدر السابق ص ٨٧-٨٨ ويرى أردشير بن بابك أن مخاطبة الملوك يجب أن تجري على المثال السابق لأن ضيغهم غير صيغ العامة . راجع عهد أردشير ص ٤٩ .

ويمكن أن يحذر الملك جلساءه أحيانا من إثارة غضبه بإجاباتهم ، وقد سأل معاوية أبا جهم العدوي^(١) : "أنا أكبر أم أنت؟" فقال: "لقد أكلت في عرس أمك يا أمير المؤمنين" قال : "عند أي من أزواجهما؟" قال : "عند حفص بن المغيرة" قال: "يا أبا جهم ، إياك والسلطان ، فإنه يغضب غضب الصبي ، ويأخذ أخذ الأسد" (٢) .

ويجب ألا تبلغ الجرأة بالجلوس التطاول على الملك والإساءة إليه ، حتى ولو طلب منه أن يعاتبه ببعض أقواله ، ويروى أن يزيد بن معاوية شرب ذات يوم وعند الأخطل ، فلما ثمل قال : "يا أخطل ، اهجني ولا تفحش" ، فأنشأ يقول :

١- عامر - أو عمير ، أو عبير - بن حذيفة بن غانم ، أبو جهم ، من قريش ، من بني عدي بن كعب ، وهو أحد المعمرين ، أسلم يوم فتح مكة ، واشترك في بناء الكعبة مرتين : الأولى في الجاهلية والثانية حين بناها عبد الله بن الزبير ، سنة ٦٤ هـ ، ومات في تلك الغينة ، وهو أحد الأربعة الذين دفنوا عثمان بن عفان ، وقد اتصل بمعاوية بن أبي سفيان . راجع ترجمته في الأعلام ٤ : ١٧ حيث يذكر مصادره .

٢- العقد الفريد ١ : ٦١ وكان لمعرفته بحلم معاوية يجروء على ذلك ويقول فيه :

وَنَغْضِبُهُ لِنَخْبَرِ حَالَتَيْهِ	فَنَجْبِرُ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينًا
نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا	نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَيْبِنَا

"أَلَا أَسْلَمُ سَلِمْتَ أبا خَالِدٍ وَحَيَّاكَ رَبِّكَ بِالْعُنُقِ" (١)
 وَرَوَى عِظَامَكَ بِالْخَنْدَرِيسِ (٢) قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ تَعْجَزِ
 أَكَلْتَ الدَّجَاجَ فَأَنْفَيْتَهُمَا فَهَلْ فِي الْخَنَّائِصِ (٣) مِنْ مَغْمَزِ
 وَدَيْنِكَ حَقًّا كَسَدَيْنِ الْحِمَا رَبِّلَّ أَنْتَ أَكْفَرُ مِنْ هَرْمُزِ"

فرفع يده ولطمه ، وقال : " يا ابن اللخناء ، ما بكل هذا أمرتك " (٤) .

ويمكن أن يسبب سوء اختيار الألفاظ قلقا للملك واضطرابا أحيانا ، ويروى أن
 أرطاة بن سهيئة دخل على عبد الملك بن مروان ، وكان قد أدرك الجاهلية والإسلام ،
 فرآه عبد الملك شيخا كبيرا ، فاستشده في طول عمره ، فقال :

رَأَيْتُ الْمَرْءَ تَأْكُلُهُ اللَّيَالِي كَأَكْلِ الْأَرْضِ سَاقِطَةَ الْحَدِيدِ
 وَمَا تُبْقِي الْمَنِيَّةُ حِينَ تَأْتِي عَلَى نَفْسِ ابْنِ آدَمَ مِنْ مُزِيدِ
 وَأَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَكُرُّ حَتَّى تُؤْفِي نَذْرَهَا بِأَبِي الْوَلِيدِ

١-العنقز : المرزنجوش . انظر اللسان مادة عنقز .

٢-الخندريس : الخمر القديمة . انظر اللسان مادة خندرس .

٣-الخنائيس جمع الخنوص وهو ولد الخنزير . انظر اللسان مادة خنص .

٤-المحاسن والماوى ص ٢٨٦-٢٨٧ ، وكان يجب على الأخطل أن يحسن الخروج
 من هذا بهجاء نفسه مثلما فعل أبو دلامة عندما طلب منه المهدي هجاء أحد
 الحاضرين وكان فيهم أقرباء الخليفة ، فنال عطف الحاضرين ورضاهم . راجع الأغاني

فارتاع عبد الملك ، وظن أنه غناه ، لأنه كان يكنى بأبي الوليد ، وعلم أرطاة بسهمه وزلته ، فقال مستدركا : " يا أمير المؤمنين ، إني أكنى بأبي الوليد " ، وصدق الحاضرون ، فسرى عن عبد الملك قليلا . (١)

وبما أن العظمة والمهابة للخليفة دون غيره ، فلا يجوز للنديم أن يخض^{غير} الخليفة بالدعاء ، ويروى أن شابا من بني هاشم دخل على أبي جعفر المنصور الذي سأله عن وفاة أبيه فقال : " مرض أبي رضي الله عنه يوم كذا ، ومات رضي الله عنه يوم كذا ، وترك رضي الله عنه من المال كذا ، ومن الولد كذا " ، فانتهره الربيع وقال : " بين يدي أمير المؤمنين توالي بالدعاء لأبيك " ، وكان ذلك كافيا لضحك المنصور حتى افتر عن نواجذه . (٢)

ويستحب في النديم القدرة على التقاط الألفاظ المهدبة واختيارها ، وقد كان عند المهدي مؤدب يؤدب ابنه هارون ، فدعاه المهدي يوما وهو يستاك ، فقال له : " كيف الأمر من السواك ؟ " قال : استك يا أمير المؤمنين ، فقال المهدي : " إنا لله ، وإنا إليه راجعون " . ثم قال : " التمسوا لي من هو أفهم من ذا " ، فوصفوا له الكسائي ، فأمر باستدعائه من الكوفة ، ولما دخل عليه قال له : " كيف تأمر من السواك ؟ " قال :

١- وفيات الأعيان ٦ : ١٠٣ .

٢- البيان والتبيين ٢ : ٣٢٨ - ٣٢٩ .

"سك، يا أمير المؤمنين"، قال: "أحسن، وأصبت"، وأمر له بعشرة آلاف درهم^(١).

ويجب أن يحذر النديم من إجابة الخليفة بما يحمل على الهجاء والإساءة إليه، ولما استشهد المهدي بعض الرواة قول زهير بن أبي سلمى: "لمن الديار بفتنة الحجر". قال له المهدي: "ذهب والله من كان يقول هذا"، فقال له: "كما ذهب والله من يقال فيه"، فاستجهله واستحمله^(٢).

وعلى النديم أو الجليس أن يتجنب في كلامه ما يوقع الطيرة والتشاؤم كقول الفضل بن الربيع وقد سأله الرشيد عن شجرة خلاف، فقال له: "وفاق يا أمير المؤمنين"^(٣).

وإن دعت الحاجة إلى ذكر شيء يوافق اسم حرمة للسلطان، عليه أن يورد ذلك باسم مستعار ويتجنب ما تنبؤ عنه القلوب والأسماع حتى لا يظن أنه يشتم به ويعرض، كفعل عبد الملك بن صالح العباسي وقد أهدى لهارون الرشيد

١- معجم الأدباء ١٣: ١٧٢.

٢- انظر العقد الفريد ٣: ٧.

٣- رسم دار الخلافة ص ٥٩ - ٦٠.

وردا ، فإنه كتب : " قد أنفذت إلى حضرة أمير المؤمنين وردا من بستانه في داره التي أسكنها ، في طبق من قضبان " . فلما قري ذلك على الرشيد قال أحد الجلوس : " ما أبرد قوله في قضبان ! " فقال الرشيد : " إنما كنى به عن الخيزران الذي هو اسم أمي " . (١)

ويقتصص الجلوس هفوات بعضهم بعضا ، فيستغلون ذلك ليرفعوا من مكانتهم لدى السلطان ، وليضعوا من مكانة الذين زلت ألقاظهم عن مواقعها . ويحكى أن الرشيد سأل الأصمعي عن أنساب بعض العرب ، فقال له : " على الخير سقطت يا أمير المؤمنين " ، فقال له الفضل بن الربيع : " أسقط الله جبينك ! أتخاطب أمير المؤمنين بمثل هذا الخطاب " . (٢)

وبراعة الجليس تجعله يوازن بين ألقاظه بحيث ينفي عن سمع الخليفة ما يمكن أن يثير وحشته ، ولما سأل المأمون يحيى بن أكرم عن شيء ، وقال له : " لا وأيد الله أمير المؤمنين " ، قال المأمون : " ما أظرف هذه الواو ، وأحسن موقعها " . (٣)

١- رسوم دار الخلافة ص ٥٩ . ويروى الخبر في " أخبار الظراف والمتاجنين ص ٥٩ ، خلال حوار للرشيد مع وزيره الفضل بن الربيع مع تغيير طفيف .

٢- أدب الدنيا والدين ص ٢٥٩ .

٣- راجع المستطرف ١ : ٥٢ ، وأخبار الظرف والمتاجنين ص ٤٦ ، والمخلاة ص ٢٦٦ .

لأنه لو لم يستعمل هذه الواو لكان كلامه دعاء على المأمون .

والحديث بين الجلوس في حضرة الخليفة يجب أن يخلو مما يقدر في السلطان وينكر فضله ، حتى ولو دار حول خليفة آخر ، وقد دار حوار في مجلس المعتصم بين العباس بن المأمون ^(١) (ت ٢٢٣ هـ) وإبراهيم بن المهدي اللذين ^{جلسا} عن يمينه وعن يساره ، عندما جعل إبراهيم بن المهدي يقلب خاتما كان في يده ، فقال له العباس " يا عم ، ما هذا الخاتم ؟ " فقال : " خاتم رهنته أيام أبيك فما فككته إلا في أيام أمير المؤمنين " ، فقال له العباس " والله لئن لم تشكر أبي على حقن دمك مع عظيم جرمك ^(٢) ، لا تشكر أمير المؤمنين على فك خاتمك " ، فأفحمه ^(٣) .

١- العباس بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، أمير عباسي ، ولأه أبوه الجزيرة ، والشغور والعواصم سنة ٢١٣ هـ ، ولما مات المأمون سنة ٢١٨ هـ وخلفه المعتصم ، امتنع كثير من القواد والرؤساء من مبايعته ونادوا باسم " العباس بن المأمون " ، فدعاه المعتصم إليه ، وأخذ بيعته ، فخرج العباس ، وسكت الناس . وأقام إلى أن خرج المعتصم إلى الشغور ، فاتفق العباس مع بعض القواد على قتله ، فعلم المعتصم ، فقبض عليه ، وعلى أصحابه ، وعدّ به وسجنه إلى أن مات بمنيع . راجع ترجمته في الأعلام ٤ : ٣٥ ، حيث يذكر مصادره .

٢- يشير إلى عفو والده المأمون عن إبراهيم بن المهدي عندما نصب خليفة بدلا منه .

٣- وفيات الأعيان ١ : ٤١ .

ويجب أن لا يجروا الجلساء على مخاطبة الخليفة بما يشير إلى عيب في خلقته،
ويحكى أن الواثق قد أذن لجلسائه ألا يردّ أحد نادرة عن أحد يلاعبه فغنى الواثق
يوماً :

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ مَاءِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ

وقد كان النبيذ عمل فيه وفي الجلساء، فانبعث إليه أحد الجلساء، فقال : " أنت
تنظر أبداً من وراء زجاجة إن كان في عينيك ماء صاباة أو لم يكن "، فغضب الواثق
من ذلك، وكان في عينيه بياض، ثم قال : " خذوا برجله " "، فسحب من بين يديه ،
ثم قال : " ينفي إلى عمان الساعة " . (١)

وإذا صادف عدم نجاح الخليفة بأحد الأعمال ، وعلق أحد الخلطاء بما يشيره ،
فالأفضل أن يستدركه بما يزيل استغرابه ويسري عنه . وذكر عن الفتح به خاقان
أنه كان مع المتوكل عندما رمى الخليفة عصفوراً فأخطأ ، فقال الفتح : " أحسنت يا
أمير المؤمنين " . فنظر إليه الخليفة نظرة منكرة ، فقال : " إلى الطائر حتى سلم " فضحك
المتوكل . (٢)

١- الأغاني ٢٠ : ٢٨٩ - ٢٩٠ .

٢- انظر زهر الآداب ص ٩ .

د- إعادة الحديث

من الآداب التي تلزم النديم مسامر السلطان ومحدثه ألا يعيد عليه حديثاً مرتين، وإن طال الدهر بينهما، إلا أن يذكره السلطان فلأن ذكره، فهو إذن منه في إعادته^(١). ويروى عن نديمي جذيمة الأبرش اللذين لازماه أربعين سنة يحدثانه أنهما لم يعيدا عليه حديثاً قط^(٢). وكان روح بن زنباع^(٣) (ت ٨٤ هـ) يقول: "أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة ما أعدت عليه حديثاً قط"^(٤). وكان عامر الشعبي يعتز ويقول: "ما حدثت بحديث مرتين الرجل بعينه قط"^(٥).

١- التاج ص ١١٣ - ١١٤، والمستطرف ١: ١٤٧.

٢- انظر نهاية الأرب ١٥: ٣١٧، وراجع رسوم دار الخلافة ص ٣٣ - ٣٤ حيث جاء في الحاشية رقم ٦: "جاء في كتب الآيين: إن من حق الملك عدم إعادة الحديث مرتين".

٣- روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي، أبو زرعة: أمير فلسطين، وسيد اليمانية في الشام وقائدها، وخطيبها، وشجاعها. قيل له صحبة. كان عبد الملك ابن مروان يقول: "جمع روح طاعة أهل الشام، ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز". راجع ترجمته في الأعلام ٣: ٦٣ حيث يذكر مصادره.

٤- التاج ص ١١٣ - ١١٤.

٥- المصدر السابق ص ١١٤.

وكانت الخلفاء لا ترضى أن تعاد عليها الأحاديث ولما أعاد الشعبي أحد الأحاديث على عبد الملك بن مروان قال له: "قد سمعته منك"^(١).

وكانت الملوك تعتبر ذلك من غزارة علم محدثيها، فقد كان أبو العباس السفاح يقول: "ما رأيت أغزر علما من أبي بكر الهذلي، لم يعد علي حديثا قط".^(٢) والملوك لم ترض بذلك لأنها يمكن أن تحمله على استهتار الجلساء بحسن فهمها واستماعها وكأنها تعتبره استجهالا لها.

وعندما قام أحد جلساء المنصور بإعادة أحد الأحاديث عليه لفت نظره إلى أنه سمعه منه، ويروي هذا الجليس قوله: "حدثت المنصور أكثر من عشرة آلاف حديث، فقال لي ليلة، وقد حدثته عن يوم ذي قار: "قد اضطررت إلى التكرار، قلت "ما هذا منها، يا أمير المؤمنين"، قال: "أما تذكر ليلة الرعد والأمطار، وأنت تحدث عن يوم ذي قار"، فقلت له: "ما يوم ذي قار بأصعب من هذه الليلة"^(٣).

ولكن الملوك تسامحوا مع المحدثين المضحكين في إعادة أحاديثهم، التي يقصد

١- المستطرف ١: ١٤٧.

٢- المصدر السابق ١: ١٤٧، والتاج ص ١١٣-١١٤.

٣- التاج ص ١١٢.

منها الترفيه والتسلية ، فقد كان المهدي يستعيد الشرقي بن القطامي لأن أسماؤه كانت تعجبه وتضحكه (١) .

كما أن عيسى بن دأب كان إذا حدث موسى الهادي حديثا ، أعاده عليه في ليلة تالية حتى يحفظه (٢) .

هـ - الإستماع للحديث

إن حذق النديم في محادثة السلطان يفرض عليه أن يحسن الاستماع لحديثه ، والسلطان نفسه عليه القيام بذلك حتى يستمتع بما يسمعه .

وقد عرّف كشاجم حسن الاستماع بأنه : "إمهال المحدث حتى ينقضي حديثه ، وقلة التقلب إلى الجواب ، والإقبال عليه بالوجه ، والنظر والوعي لما يقول ، وأن يصغي إلى حديثه ، ولا يشغل طرفه عنه بنظر ، ولا أطرافه بعمل ، ولا قلبه بفكر ، ولا يسأله إلى حديث يبدأ به لمعرفة بذلك الحديث ، بل يريه من الارتياح له والتعجب منه ما يوهمه أنه لم يخطر بباله ، ولا وقر بسمعه" (٣) . وهكذا فإن حسن الإستماع

١- التاج ص ١١٤ .

٢- المصدر السابق ص ١١٥ .

٣- انظر أدب النديم ص ٢٣ .

هو الإستسلام الواعي للمحدث بحيث يشمل جميع الجواح التي يجب السيطرة عليها حتى لا يخل المستمع بأدب مجالسته .

وقد حكى عن روح بن زنباع أنه قال : " إذا أردت أن يملكك الملك من أذنه فأمكن أذنك من الإصغاء لحديثه ، ولا يتعتّب^(١) الرجل عندي إذا كان يصغي إلى حديثه ، ولا يقدح ما قيل فيه في قلبي لما تقدّم من حسن الإستماع عندي " .^(٢)

وكان عبد الملك بن مروان معروفا بحسن استماعه لمحدثيه ، ويروى عن الشعبي قوله : " ربما حدثت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، رحمه الله تعالى ، وقد هبّا اللقمة ، فيمسكها في يده مقبلا عليّ ، فأقول : " أحرها^(٣) " ، يا أمير المؤمنين ، فإن الحديث من وراءها " ، فيقول : " الحديث أنهى إليّ منها " .^(٤)

ومما يروى عن حسن إصغاء الندماء لأحاديث الملوك ما ورد عن أبي بكر الهذلي وقد حضر يوما عند أبي العباس السفاح ، الذي كان مقبلا عليه يحدثه

-
- ١- التعتّب: التجنّب ، تعتّب عليه أي تجنّب عليه ، أو وجد عليه . انظر اللسان مادة عتب .
 - ٢- مروج الذهب ٣ : ٢٨٠ .
 - ٣- أحرها : ازدردها . انظر ذيل الأمالي ص ٨٠ .
 - ٤- ذيل الأمالي ص ٨٠ .

بحديث أنو شروان في بعض حروبه ، عندما عصفت الريح ، فأذرت ترابا ، وقطعا من
الآجر من أعلى السطح إلى المجلس ، فجزع من حضر المجلس لوقوع ذلك ، وارتاع
له ، والهذلي شاخص نحو أبي العباس لم يتغير كما يتغير غيره ، فقال له أبو العباس
("لله أنت يا أبا بكر ، لم أر كالיום ، أما راعك ما راعنا ، ولا أحسست بما ورد علينا؟ ")
فقال : " يا أمير المؤمنين ، ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وإنما جعل للرجل
قلب واحد ، فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين ، لم يكن فيه لحادث مجال ، والله
عز وجل إذا أفرد بكرامته أحدا أو أحب أن يبقى له ذكرها ، جعل تلك الكرامة
على لسان نبي أو خليفة ، وهذه كرامة خصصت بها ، فمال إليها ذهني ، وشغل بها
فكري ، فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ، ما أحسست بها ، ولا وجدت لها ، إلا بما
يلزمني من نفسي لأمر المؤمنين ، أعزه الله " ، فقال له السفاح : " لكن بقيت لك لأرفعن
منك وضيعا لا تطيف به السباع ولا ينحط عليه عقاب " (١) .

و- مسامرة الملك

وبما أنه من عادة الملك أن يصطحب مسامره وندماءه عندما يخرج في نزحاته ،
فلن التديم عندما يخرج معه ينبغي له أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الملك

١- مروج الذهب ٣ ، ٢٧٩-٢٨٠ . وانظر المحاسن والمساوي ص ٤٩٤-٤٩٥ ، حيث

يروى خبر مشابه عن أنو شروان وأحد ندمائه .

أن يسأله عن شيء لم يحتج أن يلتفت، ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس، وإن سار بين يديه أن يحيد عن سفن الريح^(١) التي تؤذي الغبار إلى وجهه^(٢). ومن واجبات النديم أن لا يبتدىء الملك بمسايرته، وإن طلب ذلك منه من يستحق المسيرة، فالذي يحزنه من ذلك أن يقف بحيث يراه ويتصدى له. فلن أوما إليه سايره، وإن أمسك عن الإيما، علم أن إمساكه هو ترك الإذن له في مسايرته^(٣). ويحرص النديم إذا سايره ألا يمسه ثوبه ثوبه، ولا يديني دابته من دابته، ويتوخى أن يكون رأس دابته بلزاً سرج الملك، وإن كان لا ينق بلين عنان دابته حتى يصرفه كيف شاء ومتى شاء، فالرأي ألا يسايره لأنه ليس في آيين^(٤) المملكة أن يسير الأعظم بسير من هو دونه^(٥). وكان أصحاب السلطان يتمسكون

-
- ١- السفن: القشر، والسوافن: الرياح التي تسفن وجه الأرض، وسفنت الريح: هبت. انظر اللسان مادة سفن.
 - ٢- انظر عيون الأخبار ١: ٢٢-٢٣، وكذلك العقد الفريد ١: ٢١، ورسوم دار الخلافة ص ٨٦.
 - ٣- انظر التاج ص ٧٧.
 - ٤- الآيين: لفظة فارسية معناها المشهور القاعدة أو الطريقة أو القانون، وكثيرا ما تستعمل مرادفة لكلمة الآداب كما في قولهم: "آداب الدرس أو آداب التعلم"، ومما ذكر في معانيها أيضا العادة. راجع ذلك في الترجمة والنقل عن الفارسية ١: ٢٣٠.
 - ٥- التاج ص ٧٧. ولكن جاء في رسوم دار الخلافة ص ٨٦: "إن النديم يمكن له أن يتقدم الملك قليلا حتى لا يكلفه الإلتفات، حتى إذا انقضى ما يخاطبه فيه، وأراد التباعد عنه، تقدم وكان في أوائل موكبه، حتى احتاج إليه استدعاه من امامه، ولم يحتشم التوقف على انتظاره.

بخلطائهم الذين يحافظون على آداب مسيرتهم ويعتزون بهم ، ولما عوتب زياد بن أبيه (ت ٥٣ هـ) لاستثنائه بأحد جلسائه قال : "كيف أطرح رجلا هو يسايرني منذ دخلت العراق ، فلم تصطك ركاباه بركابي ، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخر عني فلويت عنقي إليه ، ولا أخذ عليّ الشمس في شتاء قط" (١) .

ومن الأدب في مسيرة الملوك الاهتمام بدابة النديم ، ولذا يجب أن تكون سليمة من العيوب التي تعرض في المسيرة ، فإن كانت كثيرة اللعاب أو كثيرة العبث برأسها أو مداومة للصهيل والشغب ، أو معتادة للحران والتحصن ، لم يصلح أن يسايرهم على مثلها ، ولأجل ذلك يختار الندماء مسيرة رؤسائهم على البغلات الطاهرات الأخلاق (٢) . ويحدث أن يساير النديم الملك على قدميه ، ويصادف أن يقدر لمسائره حسن تصرفه معه ، فيعامله بتقدير واحترام ، مثلما حصل عندما كان يحيى بن أكنم يمشي المأمون في أحد البساتين ، والشمس عن يسار يحيى والمأمون في الظل ، وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحادثان ، حتى بلغ حيث أراد ، ثم كرّ راجعا في الطريق التي بدأ فيها ، فقال ليحيى : "كانت الشمس عن يساري ، وقد نالت منك ، فكن الآن ، حيث كنت ، وأتحول أنا إلى حيث كنت" ، فقال يحيى :

١- أدب النديم ص ٦٥ .

٢- انظر رسوم دار الخلافة ص ٨٦ . ولعل ركوب النديم على البغلات إشارة إلى انحطاطه عن درجة الملك الذي يركب الخيل .

"والله ، يا أمير المؤمنين ، لو أمكنني أن أتيك هول المطلع بنفسي لفعلت" ، فقال المأمون : " لا موالله ما بدّ من أن تأخذ الشمس مني مثل ما أخذت منك ، فتحول يحيى ، فأخذ من الظلّ مثل الذي أخذته المأمون" (١) .

- الفصل الثالث -

دور الندما والجلسا في البلاط.

الفصل الثالث

دور الندماء والجلساء في البلاط

لعب الندماء والجلساء دوراً هاماً في حياة البلاط، وقد اختلفت طبيعة هذا الدور باختلاف شخصياتهم ومؤهلاتهم العلمية والدينية والترفيهية . وقد قرب أصحاب السلطان جلساء وندماء ذوي مهارات متنوعة لحاجتهم إليهم في مجالسهم المختلفة، ولذلك برزت طبقات كثيرة من الندماء والجلساء ظهر منها المحدثون والوعاظ والشعراء والمغنون والظرفاء المضحكون .

دور الجليس أو النديم المحدث

ساهم تقريب الجلساء العلماء المحدثين في تنقيف الخلفاء وترفيههم، فعبد الملك بن مروان استدعى السمار والمحدثين لأن نفسه تاقّت إلى معرفة أخبار الناس ومحادثة الرجال^(١) .

وكان المحدثون بقدرتهم على إدخال السرور إلى نفوس الخلفاء يعرفون كيف

١- انظر مروج الذهب ٣: ١٠٠ . ولذلك استدعى الشعبي .

ينفون همومهم ويشيعون فيهم البهجة والسرور والإنشراح . ولما دخل الشعبي على عبد الملك بن مروان ووجده قد كبا مهتماً قال : " مال أمير المؤمنين ؟ قال : ذكرت قول زهير :

"كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حَجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِذَارَ لَجَامِي"

قال له الشعبي : " ليس كذلك ، ولكن كما قال لبيد بن ربيعة ، وقد بلغ سبعين حجة :

"كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حَجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنْ مُنْكَبِي رِثَائِيَا"

ولما بلغ سبعا وسبعين سنة قال :

"بَاتَتْ تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُوهِنَةً وَقَدْ حَمَلْتُكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَا"

فلن تَزْ أَدِي ثَلَاثًا تَبْلُغِي أَمَلًا وَفِي الثَّلَاثِ وَفَاءٌ لِلثَّمَانِينَا"

ولما بلغ تسعين سنة قال :

"وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَسُؤَالَ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لِبَيْدُ"

ولما بلغ عشرا ومائة قال :

"الَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لَزِمَ الْعَصَى تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ"

أَخْبَرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي خَلَتْ أَنُوْ كَأَنِّي كُلَّمَا قَمْتُ رَاكِبُ"

ولما بلغ الثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال :

تَمَتَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وهل أنا إِلَّا مِنْ رِبْعَةٍ أَوْ مَضْرُ
فَقُومَا فَقُولَا بِالَّذِي تَعْلَمَانِهِ ولا تَخْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِفَا شَعْرُ
وَقُولَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ أَضَاعَ وَلَا خَانَ الْخَلِيلَ وَلَا غُدْرَ
إِلَى سَنَةٍ ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اَعْتَسَذَرَ

فقال الشعبي : "فقد رأيت السرور في وجه عبد الملك طمعا أن يعيشها" (١) .

وكان الحجاج بن يوسف عندما يارق يستدعي المحدثين ليتسلى بأحاديثهم ،
وقد قال لأحدهم : "إنني أرق فتحدثني حديثا يقصر عليّ ليلي" (٢) .

وكان المهديّ يبعث رسله في طلب المفضل الضبيّ ليستشده وليحدثه ، وقد
سأله مرة عن أشعر بيت قالته العرب ، فذكر قول الخنساء :

"وَأَنْ صَخْرًا لَتَأْتِمَّ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ"

فاستبشر الخليفة وسرّ سرورا شديدا ، ثم قال : "أنت والله أعلم الناس" ثم قال :
يا مفضل أسهرتني أبيات الحسين بن مطير

١- العقد الفريد ٢ : ٧٧-٧٨ .

٢- المحاسن والأضداد ص ١٣١ .

وَقَدْ تَغْدِرُ الدُّنْيَا فَيُضْحِي غَنِيَّهَا فَقِيرًا وَيُغْنِي بَعْدَ بُؤْسٍ فَقِيرُهَا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ تَغْيِيرِ عَيْشَةٍ وَأُخْرَى صَفَا بَعْدَ أَكْدَرَارٍ غَدِيرُهَا

قلت: مثل هذا فليسهرك". قال: "حدثني يا مفضل، قلت: أي الأحاديث؟"
قال: "أحاديث الأعراب" فما زلت أحدثه حتى بلغت الشمس منه^(١).

وكان الهادي قد استدعى عيسى بن دأب ليزيل أرقه بعدما أسهره سفك بني
أمية دما" بني هاشم، وقد استطاع أن يزيل وحشته عندما أخبره أن بني العباس
قد نأروا بما قتلوه من بني أمية^(٢).

والرشيد كان يطلب من الأصمعي أن يحدثه بما يزيل ضجره، فقد قال له مرة:
يا عبد الملك، أنا ضجر وأحب أن تسمعني حديثا مما سمعت من أعاجيب الزمان
أتفرج به، فحدثه وأضحك^(٣). وكان الأصمعي يختار الأحاديث المضحكة التي
تعجب الرشيد، فقد روي عنه أنه قال: "دخلت على هارون الرشيد وبين يديه

١- المحاسن والمساوي، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

٢- انظر مروج الذهب ٣: ٢٢٨ - ٢٢٩.

٣- المحاسن والأضداد ص ١٨٧ - ١٨٨.

بدرة ، فقال : " يا أصمعي ، إن حدثتني بحديث في العجز فأضحكتني وهبتك هذه البدرة " فقال : بينا أنا في صحاري الأعراب في يوم شديد البرد والرياح وإذا بأعرابي قاعد على أجمة وهو عريان ، قد احتملت الريح كساءه ، فألقته على الأجمة ، فقلت له : " يا أعرابي ، ما أجلسك ها هنا على هذه الحالة ؟ فقال : جارية وعدتها يقال لها سلمى ، أنا منتظر لها " فقلت وما يمنعك من أخذ كساءك ؟ فقال : فقال العجز يوقفني عن أخذه ، فقلت له : فهل قلت في سلمى شيئا ؟ فقال : نعم . فقلت أسمعني لله أبوك فقال لا أسمعك حتى تأخذ كسائي وتلقيه علي ، قال : فأخذه ، فألقيته عليه ، فأنشأ يقول :

" لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ بِسَلْمَى
فَيُطِطِحَهَا وَيُلْقِيَنِي عَلَيْهَا
وَيَأْتِيَ بَعْدَ ذَاكَ سَحَابٌ مَزْنٌ
تُطَهِّرُنَا وَلَا نَسْعَى إِلَيْهَا "

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره ، وقال : اعطوه البدرة ، فأخذها الأصمعي وانصرف . (١)

وقد دخل على الرشيد مرة وقد أرق وعنده الفضل بن يحيى فسأله عن أحد الأمثال وعن شعر رؤبة بن العجاج (ت ١٤٥ هـ) وغيره ، فأعجب به الرشيد وقال له : قد أمتعت منشدا ووجدناك محسنا في أدبك . (٢)

١- عيون الأخبار ٣ : ٣٠٠ .

٢- العقد الفرید ٥ : ٣٠٩ - ٣١٦ .

دور الجليس الواعظ

كان تأثير الوعظ على الخلفاء ضعيفا لأنهم لم ينجحوا في حملهم على اتباع نصائحهم . ولا يمكن أن نعتبر الوعظ جلوساً ملازمين لهم لأنهم لم يرغبوا في ذلك لزهدهم في حياة القصور واستكثارهم لما يجري داخل جدرانها . وكانت مكانتهم الدينية حصانة تحميهم من بطش أصحاب السلطان . وقد قال طاوس لسليمان بن عبد الملك : هل تدري يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذاباً يوم القيامة ؟ قال سليمان : قل . فقال طاوس : أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشرك الله في ملكه فجار في حكمه ، فاستلقى سليمان على سريرته وهو يبكي ، فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه^(١) .

وكان هشام بن عبد الملك يقرب أحد نساء الشام ويطلب موعظته^(٢) ، كما كان يبحث عن واعظ يرافقه في طريقه إلى الحج ، ولما أحضر طاوس ودخل عليه ، خلع نعله بلزاً بساطه ، ولم يسلم عليه بلمرة المؤمنين ، ولم

١- المستطرف ١ : ١١٦ .

٢- جاويدان خرد ص ١٣٤ .

يكه وجلس قربه ، ولما سأله عما فعل ، أحسن الإجابة ، ولما طلب هشام موعظته قال طاوس : " سمعت من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه " إن في جهنم حيات كالللال وعقارب كالبعال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته " ، ثم قام وهرب . (١)

وكان عمرو بن عبيد يدخل على أبي جعفر المنصور ويعظه ، وكان مثالا لزهد الوعاظ في عطايا السلطان ، وكان صديقه وصاحبه قبل الخلافة ، فدخل عليه فقربه وأجلسه ثم قال له : " عطني " فوعظه بمواعظ منها : إن الأمر الذي أصبح في يدك لو بقي في يد غيرك ممن كان قبلك لم يصل إليك ، فأحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده . فلما أراد النهوض قال : " قد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم ، قال : لا حاجة لي فيها ، قال : والله تأخذها . قال : والله لا آخذها ، وكان المهدي ولد المنصور حاضرا ، فقال : يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟ فالتفت عمرو إلى المنصور وقال : " من هذا الفتى ؟ " قال : " هذا المهدي ولدي وولي عهدي " . فقال : أما لقد البسته لباسا ما هو من لباس الأبرار وسميته باسم ما استحقه ، ومهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه . ثم التفت عمرو إلى المهدي وقال : نعم يا ابن أخي ، إذا حلف أبوك أحنته عمك ، لأن أباك أقوى على الكفارات من عمك ،

فقال له المنصور: "هل من حاجة؟" قال: "لا تبعث إليّ حتى آتيك"، قال:
"إذا لا تلقني"، قال: "هي حاجتي"، ومضى، فأتبعه المنصور طرفه، وقال:

"كلّكم يمشي رُويّدٌ كلّكم يطلب صيّدٌ
غير عمرو بن عبيد" (١)

وكان نقد بعض الوعاظ لازعا لا يجير له الخلفاء جوابا. ويروي أن الذباب
سقط على المنصور فطيره مرارا حتى أضجره، فاستدعى أحد الوعاظ وسأله: "هل
تعلم لماذا خلق الله الذباب؟" فأجابه: "نعم، ليزلّ الله عزّ وجلّ به الجبابرة"
فسكت المنصور. (٢)

وقد حاول المهدّي أن يتخلّص من مأخذ^{أحد} الوعاظ الذي أبكاه طويلا عندما
احتجّ بفساد الزمان وتغيّر أهله وما حدث لهم من العادات (٣).

وأما الرشيد فكان يفضّل الموعظة الموجزة وكان يبكي عند سماعها (٤).

١- وفيات الأعيان ٣: ٤٦١ .

٢- السابق ٥: ٢٥٥ .

٣- الوزراء والكتاب ص ١٤٩ .

٤- راجع المخلاة ص ٢٨-٢٩ .

وعندما وعظ المأمون أحدهم أصغى إليه منصتا فلما فرغ قال: "قد سمعت موعظتك،
فنسأل الله أن ينفعنا بها، وبما علمنا، غير أننا أحوج إلى المعاونة بالفعال منا
إلى المعاونة بالمقال". فقد كثر القائلون وقَلَّ الفاعلون^(١).

وهكذا فلن تأثير الوعظ على الخلفاء كان آنياً، لا يتجاوز الوقت الذي يلتفون
فيه في البلاط لأنهم كانوا أقل المقربين مكانة، وذلك لطغيان دواعي اللهو والعبث
على معظم الخلفاء.

دور النديم الشاعر

كان البلاط مكاناً صالحاً لتجويد الشعر لأنه المكان الذي يتنافس فيه الشعراء
كسبا لرضى الخليفة. وكثيراً ما كان الخلفاء يستغلون حضور الشعراء عندهم ليطلبوا
منهم الإنشاد فيما يقترحون، وقدرة الخلفاء على نقد ما يسمعون وتدوُّقه جعلت الشعراء
يبدلون عناية كبيرة في صياغة أشعارهم، كما جعلتهم يقبلون بأحكامهم.

١- العقد الفريد ١٦٦، ٣. وهكذا أصبح الخلفاء لا يقيمون لكلام الوعظ وزناً.

وعبد الملك بن مروان بما عرف عنه من تعلق بالشعر وتقريب للشعراء كان يطلب من رواد مجلسه من الشعراء أن ينشدوه مما قالوا ، فقد سمر عنده ليلة كثير عزة ، فقال له : " أنشدني بعض ما قلت في عزة " فأنشده حتى إذا أتى على هذا البيت

" هَمَمْتُ وَهَمْتُ ثُمَّ هَابْتُ وَهَبْتُهَا حَيَاءٌ وَمِثْلِي بِالْحَيَاءِ حَقِيقٌ "

فقال له عبد الملك : " أما والله لولا بيت أنشدتني قبل هذا لحرمتك جائزتك " ،

قال : ولم يا أمير المؤمنين ؟ " قال : " لأنك شركتها معك في الهيبة ، ثم استأثرت بالحياء دونها " ، قال : فأي بيت عفوت به يا أمير المؤمنين ؟ " قال : (قولك

" دعوني لا أريد بها سواها دعوني هائماً فيمن أهيم " . (١)

وكان بعض الخلفاء يريد أن يعبر الشعراء عما يشعر به من فرح وغبطة ، فلما سبقت فرس لهشام بن عبد الملك فرح فرحاً شديداً وقال : " علي بالشعراء " . قال أبو النجم : " فدعينا ، فقل لنا : قولوا في هذه الفرس وأختها " ، فسأل أصحاب النشيد النظرة حتى يقولوا ، فقلت له : هل لك في رجل ينقذك إذا استسئوك؟ " (٢) قال : " هات " ، فقلت من ساعتى :

١- العقد الفرید ٥ : ٣٧٣ - ٣٧٤ .

٢- استسئوك : من نسا بمعنى آخر ، انظر اللسان مادة نسا .

• أشاع للغراء فينا ذكرها قوائم عوج أظعن أمرها •

قال أبو النجم : " فأمر لي بجائزة وانصرفت " (١) .

وأصبح النديم الشاعر في العصر العباسي يمارس دوره في الترفيه عن الملك بعدما انحصر دوره في العصر الأموي في الإنشاد • وكثيرا ما عمل بعض الخلفاء شعرا وأراد إجازته ، ثم أرتج عليه ، فاضطر إلى البحث عن شاعر يزيل عنه ما لحقه من غم بسبب عجزه عن ذلك • فقد عمل الرشيد ليلة بيتا ورام أن يشفعه بآخر فامتنع القول عليه ، فقال علي بالعباس بن الأحنف (ت ١٩٢ هـ) فلما طرق عليه دعر وفزع أهله ، فلما وقف بين يدي الرشيد قال له : " وجهت إليك بسبب بيت قلته ، ورمت أن أشفعه بمثله ، فامتنع القول علي ، فقال : " يا أمير المؤمنين ، دعني ترجع إلي نفسي فلنني تركت عيالي على حال من الخوف عظيمة ونالني من الخوف ما يتجاوز الحد والوصف " ، ثم استمع لبيت الرشيد فشفعه بأبيات حازت رضى الخليفة ونال جائزته . (٢)

١- العقد الفريد ١ : ١٩٣ - ١٩٤ •

٢- وفيات الأعيان ٣ : ٢٢ •

وإذا استطاع الشاعر أن يعبر عما يجول في خاطر الخليفة فإنه ينال جائزته لنجاحه في إصابة الهدف من استدعائه ، ويروى أن الرشيد صنع قسيما وهو "الملك لله وحده" ثم أرتج عليه ، فقال : "استدعوا من الباب من الشعراء فدخل عليه جماعة منهم الجمار ، فقال : "أجيزوا" ، وأنشدهم القسيم ، فبدرهم الجمار فقال : "وللخليفة بَعْدَهُ"

فقال له الرشيد : "زد" ، فقال :

"وللمحب إذا ما حبيبه بات عنده"

فقال له الرشيد : "أحسنته ولم تعد ما في نفسي" ، وأجازه بعشرة آلاف درهم^(١)

ونجح بعض الشعراء في اكتساب ودّ الخلفاء وإعجابهم منهم ، مسلم بن الوليد الذي وصف للرشيد وأدخل عليه ، وكان لقن النفس^(٢) فأنشده وأعجب به وسمّاه صريح الغواني^(٣)

١- بدائع البدائة ١ : ٧١ .

٢- اللّقس : الغثيان ، ولقست النفس : خبثت وفتت .

٣- انظر المحاسن والمساوي ص ٢٥٣ - ٢٥٥ .

والرجال المتصلون بالخلفاء لهم شعراؤهم الذين لازمهم ، فعندما نغصت إحدى الجواري عبد الله بن طاهر (ت ٢٣٠ هـ) قام علي بن الجهم وأنشده لينشطه للصبح ، فاستحسن الأبيات وأمر بها فغنيت (١) .

وقد تحدث بعض ندماء الفضل بن الربيع فقال : كما عند الفضل ابن الربيع في يوم دجن (٢) ، والسماء ترش ، وهو أحسن يوم وأطيبه ، وكان العباس ابنه يومئذ قد أصبح مهموما ، فجهدنا أن ينشط ، فلم تكن لنا في ذلك حيلة ، فبينما نحن كذلك إذ دخل عليه بعض الشعراء فسلم ثم قال :

”ألا آنعِمَ صباحاً يا أبا الفضلِ واربِعِ على مريعِ القطرِ بُلَيِّ المُشَعِّشِ
وعِلِّلْ نَدَامَكَ العِطَاشُ بِقَهْمِوَةٍ لها مصرعٌ في القومِ غيرُ مَرُوعِ
فإنَّكَ لاقِ كَلِّمًا سِئْتِ لَيْلَةً ويوما يُغَصِّانُ الجفونَ بأدْمَعِ

قال : ”فبكي العباس وقال : صدقت والله ، إنَّ الإنسان ليلقى ذلك متى يشاء” ثم دعا بالطعام ، فأكل ، ودعا بالشراب فشرب ونشط ، ومَرَّ لنا يوم حسن طيب (٣) .

١- انظر الأغاني ١٠ : ٢٢٤ .

٢- الدجن : ظل الغيم في اليوم المطير . انظر . اللسان مادة دجن .

٣- الأغاني ١٩ : ٢٢٦ - ٢٢٧ .

ولم يقتصر دور الشعراء على إنشاء أشعارهم بل إنهم استغلّوا شعر غيرهم في الترفيه عن الخليفة . حدّث الحسين بن الضّحّاك أنّه " دخل على الّوائق ذات يوم وفي السّماء لطح غيم^(١) ، فقال له : " ما الرّأي عندك في هذا اليوم ؟ فقال : ياأمير المؤمنين ، ما حكم به ، وأشار إليه قبلي أحمد بن يوسف ، فإنّه أشار بصواب لا يردّ ، وجعله في شعر لا يعارض . فقال : " وما قال ؟ " فقال : قال :

أُرى غيماً تُولِّفُه جُنُوبُ	وأَحْسَبُه سَيَأْتِينَا بِهَطَطٍ
فَعَيْنُ الرَّأْيِ أَنْ تَدْعُو بِرِطْلٍ	فَنَشْرُهُ وَتَدْعُو لِي بِرِطْلٍ

فقال : " أصبّتما " ، ودعا بالطعام والشراب والمغنين والجلساء واصطبحوا وتنادموا^(٢) .

دور النديم المغنّي

وجد المغنّون في البلاط مكانا مناسباً لتجويد مواهبهم ، فاتّصل رّوادهم بالأمويّين والعبّاسيّين الذين قرّبوهم لشغفهم بالسماع ، وبهذا كانوا من أهمّ العناصر الترفيحية التي اعتمد عليها الخلفاء في أوقات لهوهم .

١- لطح غيم : قليل غيم ، اللّسان ، مادة لطح .

٢- الأغاني ٧ : ١٥٩ - ١٦٠ .

ورعى الأمويون الغناء والمغنين ، عندما غنى معبد بحضرة يزيد بن عبد الملك ،
صاح " أحسنت والله يا مولاي ، أعد ، فداك أبي وأمي " . واستخفه الطرب حتى
وثب وقال لجواريه : " افعلن كما أفعل " ، وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو
يقول :

يا دارُّ دَوَّرِينِي	يا فَرَقَرَّ أَمْسِكِينِي
أَلَيْتُ مَنْذُ حِينِ	حَقًّا لَتَضْرَمِينِي
ولا تُـوَاصِلِينِي	بِاللَّهِ فَاَرْحَمِينِي
لَمْ تَذْكُرِي يَمِينِي	

فلم يزل يدور كما يدور الصبيان ويدرن معه حتى خر مغشياً عليه ، ووقعن فوقه
ما يعقل ولا يعقلن ، فابتدره الخدم ، فأقاموه ، وأقاموا من كان على ظهره من
جواريه ، وحملوه وقد جادت نفسه أو كادت " . (١)

وكان ابنه الوليد بن يزيد مولعا بالغناء والمغنين ، وعندما مثل معبد عنده
وغنى له ، طرب طربا شديدا ، فقذف نفسه في بركة ملئت بالخمير والماء ، كانت قد
هيئت له " (٢) . وقد طلب من عمر الوادي يوما أن يغني له أبياتا اقترحها عليه ،

١- الأغاني ١ : ٦٨ - ٦٩ .

٢- السابق ١ : ٥٢ - ٥٣ .

فلما سمعه صاح الوليد وقام وأخذ الكأس واستعاده الصوت، وشرب كثيرا، ونزع الخاتم والحلّة التي كانت عليه، وقال له لا تبج حتى أسكر، فما زال يعيده عليه، ويشرب، حتى مال على جنبه سكرًا، فنام^(١).

ولشدّة الوله بالنديم المغني نراهم يعتبرون غيابه عن مجلسهم من عيوب ذلك المجلس. ويروى أنّ الرشيد غضب على ابراهيم الموصلي فحبسه بالرقّة ثم جلس للشرب يوما في مجلس قد زينه وحسّنه، فقال لعيسى بن جعفر (ت نحو ١٨٥ هـ): "هل لمجلسنا عيب؟" قال: "نعم، غيبة ابراهيم الموصلي عنه"، فأمر بإحضاره، فأحضر في قيوده ففكّته عنه، وأمر بمناولته عودا وطلب منه الغناء، فغنّاه واستعاده وشرب وطرب وقال: "هنأني اليوم، وسأهنئك بالصلة، ثمّ أجازة"^(٢).

وكان البرامكة يعتبرون إسحق الموصلي جزءا من مجالسهم، ولذلك كانوا يبعثون إليه، فقد دعاه يحيى بن خالد يوما، وكان عنده الفضل وجعفر جالسين، فقال له: "يا إسحق أصبحت مهموما فأردت الصبح لأتسلّى، فغنّني صوتا لعلّي أفرّج به وأرتاح"، فغنّاه:

١- الأغاني ٧: ٨٨-٨٩ .

٢- السابق ٥: ١٦٦ .

"إذا نزلوا بطحاء مكة أشرقَتْ
بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت إلا لجود أكرمهم
وأقدامهم إلا لأعواد منبر
فطرب وارتاح ، وأمر له بمائه ألف درهم" (١) .

وكان محمد الأمين لا يستطيع الصبر على غياب إسحق الموصلي ، ولذا كان يبعث
من يبحث عنه لينضم إلى مجلسه (٢) . وكذلك كان أخوه المأمون يبعث أصحاب الشرط
ليحضره لمنادته (٣) . وقد دخل مرة على المأمون فوجده حائرا متفكرا غير نشيط ،
فأخذ يحدثه بملح الأحاديث وطرفها ، ويستميله لأن يضحك أو ينشط ، فلم يفعل ،
وخطر بباله بيتان ، فأنشده إياهما وهما :

"ألا عللاني قبل نوح النوائج
وقبل نشور النفس بين الجوانج
وقبل غدي يا لهف نفسي على غدي
إذا راح أصحابي ولست برائج"

فتنبه كالمتفزع ، ثم قال : "من يقول هذا ويحك ؟" قلته "أبو الطحان القيني ، يا أمير
المؤمنين" . قال : "صدق والله ، أعدهما علي" ، فأعدتهما عليه ، حتى حفظهما ، ثم دعا بالطعام

١- قطب السرور ص ٢٥ .

٢- الأغاني ٢٠ : ٣٢٣ - ٣٢٤ .

٣- العقد الفرید ٦ : ٤٥٦ - ٤٧٠ .

فأكل ودعا بالشراب فشرب، وأمر لي بعشرين ألف درهم^(١).

ودخل إسحق الموصلي على المعتصم يوما فرآه لقس النفس، فقال له : "أما ترى يا أمير المؤمنين طيب هذا اليوم وحسنه!" فقال المعتصم : "ما يدعوني حسنه إلى شيء مما تريد، ولا أنشط له"، فقال : "يا أمير المؤمنين، إنه يوم أكل وشرب، فاشرب حتى أنشطك"، قال : "أوتفعل؟" قال : "نعم"، قال : "يا غلمان، قدموا الطعام والشراب، ومدوا الستارة، واحضروا الندماء والمغنين". فأتي بالطعام والشراب، فشرب، وحضر الندماء، والمغنون فغناه إسحق :

"سَقَيْتَ الْغَيْثَ يَا قَصْرَ السَّلَامِ فَنِعْمَ مَحَلَّةُ الْمَلِكِ الْهَمَامِ
لَقَدْ نَشَرَ الْآلَهُ عَلَيْكَ نُورًا وَخَصَّكَ بِالسَّلَامَةِ وَالسَّلَامِ"

فطرب المعتصم وشرب شربا كثيرا، ولم يبق أحد بحضرته إلا وصله، وخلع عليه وحمله، وفضل إسحق في ذلك أجمع^(٢).

١- الأغاني ١٣ : ١٢ .

٢- السابق ٥ : ٣٢٩ .

دور النديم الظريف.

قرب الخلفاء المضحكين الظرفاء . واختص بالوليد بن يزيد أشعب الطفيلي الذي نادى وأضحكه بنوادره وأفعاله . وظهر في البلاط العباسي مضحك استطاع ملازمة بلاط السقاج وأبي جعفر المنصور والمهدي وهو أبو دلامة . ومن نوادره أنه دخل على المنصور وبين إصبعيه خرقة ، فقال له : ما هذا يا أبا دلامة ؟ فقال ولدت لي البارحة صببة ، وقد قلت فيها :

”فَمَا وَلَدْتُكَ مَرِيْمُ أُمِّ عِيْسَى وَلَمْ يَكْفُكْ لِقَمَّانُ الْحَكِيْمُ
وَلَكِنْ قَدْ وَلِدْتُ لَأُمِّ سَوْءٍ يَقُوْمُ بِأَمْرِهَا بَعْلُ لَثِيْمٍ“

فضحك المنصور ، وقال : ”ما تريد؟“ قال : ”مل“ هذه الخرقة أستعين بها على تربيتها . فقال المنصور : املوها دراهم ففتحوها ، فإذا هي رداء رقيق كبير ، فملئوه ، فأخذ عشرة آلاف درهم^(١) .

وقد حبسه المهدي مع الدجاج لأنه أتى به سكران ، فبعث له برسالة شعرية استعطفه بها فأخرجه من السجن ، ثم أدخل عليه فأضحك الخليفة ونال جائزته^(٢) .

١- نيل زهر الآداب ص ١٠٢ .

٢- العقد الفريد ١ : ٣٠٢ - ٣٠٤ .

وقد دخل عليه يوما فأنشده أبياتا أعجب بها فقال له : سلمي أبا دلامة ، واحتكم وأفرط ما شئت ، فقال : " يا أمير المؤمنين ، كلب أصطاد به " ، قال : " قد أمرنا لك بكلب ، وما هنا بلغت همّتك ، وإلى ها هنا انتهت أمنيّتك ؟ " قال : " لا تعجل عليّ يا أمير المؤمنين ، فإنّه بقي عليّ " ، قال : " وما بقي عليك ؟ " قال : " غلام يقود الكلب " ، قال : " وغلام يقود الكلب " ، قال : " وخادم يطبخ لنا الصيد " ، قال : " وخادم يطبخ الصيد " ، قال : " ودار نسكهما " ، قال : " ودار تسكهما " ، قال : " وجارية نأوي إليها " ، قال : " وجارية نأوي إليها " ، قال : " قد بقي الآن المعاش " ، قال : " قد أقطعناك ألفي جريب عامرة وألفي جريب غامرة " ، قال : " وما الغامرة يا أمير المؤمنين ؟ " قال : " التي لا تعمر " ، قال : " أنا أقطع أمير المؤمنين خمسين ألفا من فيافي بني أسد " ، قال : " قد جعلتها كلّها عامرة " ، قال : " فيأذن لي أمير المؤمنين في تقبيل يده ؟ " قال : " أما هذه فدعها " ، قال : " ما منعني شيئا أيسر على أم ولدي فقدأ منه " . (١)

ومع كون أبي دلامة شاعرا إلا أنّه لم يقرب لشاعريته ، وإنّما لظرفه وقدرته على الإضحاك ، وشعره لا يخرج عن ذلك الإطار ، ويروى أنّه خرج مع المهدي في مصاد فعنّ لهم ظبي فرماه المهدي فأصابه ، ورمى أحد رجال الخليفة فأخطأ وأصاب الكلب ، فضحك المهدي وقال لأبي دلامة : " قل " ، فقال :

قَدْ رَمَى الْمَهْدِيُّ ظَبِيًّا شَكَ بِالسَّهْمِ فُؤَادَهُ
وَعَلِيَّ بْنَ سَلِيمٍ نَ رَمَى كَلْبًا فَصَادَهُ
فَهْنِيئًا لَهُمَا كَلِمَةً لِّإِمْرَأَةٍ يَأْكُلُ زَادَهُ (١)

وكان في بلاط الرشيد مضحك اسمه المرتني (٢)، كما أن أبا الحارث حمير كان من ظرفاء مجلسه ومضحكيه، فقد جلس يتغدى مع الرشيد وعنده عيسى بن جعفر، فأتي بخوان عليه ثلاثة أرغفة، فأكل أبو الحارث رغيته قبلهما، وقال: "يا غلام فرسي"، ففزع الرشيد، وقال: "ويلك! مالك؟" قال: أريد أن أركب إلى ذلك الرغيف الذي بين يديك، فضحك الرشيد وأمر له بجائزة (٣).

وكان الرشيد يعيب بجلسائه الظرفاء ويداعبهم، وقد قال لخادمه: "قل لابن جامع، وأبراهيم الموصلي، والوزير بن نهمان، وزنزل، وبرصوما نوابن أبي مريم المديني: إذا رأيتوني قد طابت نفسي، فليسأل كل منكم حاجة ٠٠٠ على أن يكتفوا أمرهم عن أبي صدقة، وأذن لأبي صدقة قبلهم، فقال له: لقد أضجرتني بكثرة مسألتك، سأعطيك

١- العقد الفريد ٦، ٤٣٨ - ٤٣٩ .

٢- انظر أخبار الظرفاء والمتماجنين ص ٨٧ حيث يذكر إحدى نوادره في مجلس الرشيد .

٣- ذيل زهر الآداب ص ٢١٥ .

حتى لا تسألني شهرا ، واشترط عليه وتوثق الشرط أن أم صدقة تحت تصرفه يطلقها متى يشاء ، ثم دخل المغنون والجلساء وأغدق الرشيد عليهم الصلات بما أثار أبا صدقة فطلب إقالة عثرته ، فلم يرض الرشيد ، فرمى بالدنانير ، وقال له : " طلق أم صدقة والحقني بجوائز القوم ، فضحك ووهب له ألف دينار زيادة " (١)

وشارك المحنثون الظرفاء بالترفيه عن الخليفة ، ويروى أن المتوكل قال لجلسائه يوما : " ما الذي نغم المسلمون على عثمان ؟ أشياء منها : أنه قام أبو بكر دون مقام رسول الله (ص) بمرقاة ، ثم قام عمر دون أبي بكر بمرقاة ، فصعد عثمان ذروة المنبر ، فقال عبادة المخنث " ما أحد أعظم منة عليك يا أمير المؤمنين من عثمان " ، قال : " وكيف ذلك ؟ " قال : " لأنه صعد ذروة المنبر فلو أنه كلما قام خليفة نزل عن تقدمه كنت أنت تخطبنا من بئر جلولاء ، فضحك المتوكل ومن حوله " (٢) .

وكان للخلفاء خدم يبحثون عن يصلح لإضحاحهم ، فقد مر أحد خدم المعتضد وابن المغازلي^{يتكلم} ويضحك الناس على الطريق ، فحضر حلقة ، ثم ذهب وأخبر الخليفة ، فبعثه لإحضاره ، فحادثه ولم يستطع إضحاحه ، وكان قد اشترط عليه الجائزة إذا

١- نهاية الأرب ٤ : ٥٢-٥٨ .

٢- أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٢٨ .

أضحكه والصفع إذا لم يستطع ، واتفق المضحك مع الخادم على اقتسام الجائزة ، ولكنه
عجز عن إضحائه ، فصفع ، ثم قال للمعتضد : " إن للخادم نصف الجائزة " ، فضحك المعتضد
وصفع الخادم ، وأجازه خمسمائة درهم ، وتقاسمها وإياه . (١)

- الملاحق -

— الملحق الأول —

تراجم مشاهير الندماء والجلساء

عند

الأمويين والعبّاسيين

- الملحق الأول -

تراجم مشاهير الندماء والجلساء عند الأمويين والعباسيين

أولا : أشهر الجلساء والندماء في العصر الأموي :

١- عامر بن شراحيل الشعبي :

ولد ونشأ وتوفي في الكوفة . كان وافر العلم ، جليل القدر ، متشيعا ، وهو من رجال الحديث الثقات ، ومن رواة التابعين . كان فيمن خرج على الحجاج واختفى ، ثم مثل بين يديه ، وأحسن تبرير موقفه واعتذر منه . اتصل بعبد الملك ابن مروان وأصبح محدثه ، وكان رسوله إلى ملك الروم ^(١) .

٢- حماد بن أبي ليلى ساجور المعروف بحماد الراوية :

ولد في الكوفة وتوفي في بغداد . وهو مولى أصله من الديلم . كان أعلم الناس بآيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، وهو أول من لقب بالراوية لكثرة حفظه . وقد جمع السبع الطوال ، وكانت ملوك بني أمية توثقه وتقدمه وتستزيره ، فيغد عليهم وينال منهم . وقد اتصل بيزيد بن عبد الملك ، وجفاه هشام ثم اتصل بالوليد بن يزيد ^(٢) .

١- انظر وفيات الأعيان ٣ : ١٢-١٣ .

٢- انظر المصدر السابق ٢ : ٢٠٦-٢١٠ .

ثانيا - أشهر الندماء والجلساء في العصر العباسي :

امتاز العصر العباسي بكثرة الجلساء والندماء الذين امتهنوا الإتصال بالخلفاء ومجالستهم ومنادمتهم . وقد برز في هذا العصر أسر قدمت عددا من الجلساء والندماء المشهورين ، وأشهر هذه الأسر آل الموصلية وآل الفنجم وآل حمدون . ويلاحظ أنها كلها كانت من أصل أعجمي .

والآن نتحدث عن أشهر نداء الفترة العباسية حتى القرن الرابع الهجري .

أ - آل الموصلية :

غلب الغناء على هذه الأسرة وبرز منها نديمان هما :

١ - إبراهيم بن ماهان الموصلية :

وهو مولى ، من بيت كبير في العجم ، لم يكن من الموصل ، وإنما سافر إليها لتعلم الغناء ، وأقام بها مدة ونسب إليها ، ويقال إنه صحب الضعاليك وتعلم منهم الغناء ، وكان يجيد الغناء الفارسي والعربي . والمهدي أول خليفة سمعه ، واستمر ينادم الخلفاء ويغنيهم حتى وفاته أيام الرشيد (١) .

١- انظر المصدر السابق ١ : ٤٢-٤٣ ، وكذلك الأغاني ٥ : ١٥٤ - ١٥٨ .

٢- إسحق بن إبراهيم الموصلي :

هو ابن المغني والنديم المشهور إبراهيم الموصلي الذي ورث عنه الغناء . كان جميل الهيئة ، حسن النزي ، نظيفاً ، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين والكلام ، راوياً للشعر والأخبار ، شاعراً ، له تصانيف كثيرة . نادم الخلفاء ، وسامرهم وغناهم من الرشيد حتى المتوكل ، وكان أشهر ندماً زمانه .

عمي قبل موته بسنتين ، ولما مات نعي إلى المتوكل الذي قال :
" ذهب صدر عظيم من جمال الملك ، وبهاء وزينته " (١) .

ب- آل المنجم (٢) :

بدأ اتصال آل المنجم بالبلاط العباسي أيام المنصور الذي اتخذ أبا منصور - وكان مجوسياً - منجماً له ، ثم اتصل ابنه يحيى بالمأمون منجماً ونديميا ، فاقتصر به ، وأسلم (٣) . وبرز من هذه الأسرة :

١- انظر وفيات الأعيان ١ : ٢٠٢ - ٢٠٥ ، والأغاني ١٥ : ٢٠٤ ، ومعجم الأدباء ٦ : ٥ - ٥٨ .

٢- يلاحظ أن هذه الأسرة ورثت شهرة آل الموصلي .

٣- وفيات الأعيان ٦ : ٧٨ - ٧٩ .

١- علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم :

كان راوية للأشعار والأخبار، حاذقا في صناعة الغناء التي أخذها عن إسحاق الموصلي، وكان قبل اتصاله بالخلفاء يلوز بمحمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي، ثم اتصل بالفتح بن خاقان، وعمل له خزانة كتبه . واتصل بالمتوكل، وأصبح أشهر ندمائه، واستمر ينادم الخلفاء حتى وفاته أيام المعتمد، وكان مقدما عند الخلفاء يجلس بين أيديهم ويفضون إليه بأسرارهم، ويأمنونه على أخبارهم . صنف عددا من الكتب، وهو أشهر ندماء آل المنجم الذين استمرّوا في الإتصال بالخلفاء من بعده .

ويلاحظ أنه كإسحاق الموصلي جمع بين صناعة الغناء والمؤهلات التي تمكّنه من ملازمة الخلفاء (١) .

٢- هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم (ت ٢٨٨ هـ) :

أديب شاعر، ورواية للأشعار، ظريف، حسن المنادمة، لطيف المجالسة . وله مصنفات (٢).

١- انظر وفيات الأعيان ٣ : ٣٧٣-٣٧٥ .

٢- انظر الفهرست ١ : ١٤٤، ومعجم الشعراء ص ٤٨٥، ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٦٢، ووفيات

الأعيان ٦ : ٧٨-٧٩، والمستطرف ٢ : ١٣، وزهر الآداب ١ : ٢٢٠، ولم نجد في هذه المصادر ما يشير إلى اختصاصه بأخذ الخلفاء أو ذوي السلطان .

٣- يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم؛

متكلم معتزلي، وأديب وشاعر وإخباري . نادم الموفق وعددا من الخلفاء آخرهم
المكتفي الذي علت رتبته عنده، وله عدد من المصنفات^(١) .

٤- أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم؛

أديب شاعر، وعالم فاضل، وأحد رؤساء زمانه في علم الكلام وعلوم الدين، وكان
على مذهب أبي جرير الطبري، ويرى رأيه وينصر مذهبه، اتصل هو وأخوه يوسف
بالراضي بالله ونادماه^(٢) .

٥- علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم، أبو الحسن؛

مولده ووفاته ببغداد . كان شاعرا، راوية، متكلمًا، ظريفا، نادم الراضي بالله^(٣) .
ويشار إلى أنه لم يرو لأبناء علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم وأحفاده
أي صنعة في الغناء، إذ يلاحظ أن الشعر، ورواية الأخبار والأشعار، والفقه،

١- انظر ترجمته في معجم المؤلفين حيث يذكر مصادره .

٢- انظر معجم الأدباء ٥: ١٤٦-١٤٧ .

٣- انظر وفيات الأعيان ٣: ٢٧٥ .

وعلم الكلام ، قد غلب عليهم ، ولعلهم رأوا أن المغني أصبح في طبقة دون طبقة الجليس أو النديم .

١- آل حمدون :

شاركت هذه الأسرة آل المنجم في منادمة الخلفاء ومجالستهم في الفترة الزمنية نفسها ، وبرز منها :

١- حمدون بن اسماعيل بن داود الكاتب :

رأس الأسرة ، وأول من نادى الخلفاء من أهله ، اتصل بالمعتصم والمتوكل ، وله شعر ومصنفات ، وتوفي بسر من رأى (١) .

٢- أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل ، أبو عبد الله بن حمدون :

شيخ أهل اللغة والأدب ، وأستاذ أبي العباس ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، اختص بالمتوكل وناداه ، وقد غضب عليه ونفاه إلى تكريت ، ثم أعاده إلى خدمته ، ونادى بعده المستعين . وله مصنفات (٢) .

١- أنظر ترجمته في الأعلام ٢ : ٣٠٥ حيث يذكر مصادره . ولعل "حمدون" لقبه ، وإذا صح ذلك فيكون اسمه إبراهيم .

٢- أنظر المصدر السابق ١ : ٨١ حيث يذكر مصادره .

٣- عبد الله بن حمدون بن اسماعيل بن داود ، أبو محمد .

شطرنجي ، نادم المعتمد وخَصَّ به ، وكان من ثقاته ، كما نادم المعتضد ، وتوفي
في بغداد (١) .

٤- إبراهيم بن أبي العبيس بن أبي عبد الله بن حمدون؛

أحد المشهورين بجودة الغناء ، وكان من ندماء الخلفاء (٢) .

٥- محمد بن عبد الله بن حمدون :

كان من ندماء الراضي بالله ، وكان يباري في الشرب بين يديه ، وقد غضب
عليه وحجبه عن مجالسه (٣) .

ويلاحظ أن هذه الأسرة عندما بدأت الإتصال بالخلفاء ومخالطتهم ، اتجهت
نحو التحديث ، فحمدون بن اسماعيل ، وأحمد بن إبراهيم بن اسماعيل ، كانا من

١- انظر معجم الأدباء ٢ : ٢١٢ .

٢- انظر المصدر السابق ٢ : ٢١٢ .

٣- انظر أخباره في " أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص ٨٦ ، ٩٢ ، ٥٥٥ ، ١٠٢ .

العلماء والأدباء المصنّفين . ثم تحوّلت الأسرة نحو العمل الترفيهي ، فعبد الله ابن حمدون حذق النرد والشطرنج ، كما احترف إبراهيم بن أبي العبيس صنعة الغناء .

٦- أبو بكر محمد بن يحيى الصولي :

كان جدّه صول من دعاة بني العباس ، وهو أديب وراوية وكاتب ، وكان اللعب زمانه بالشطرنج ، وبعض الناس يعتقد خاطئاً أنّه هو الذي وضعه . أخذ عن المبرد وشعلب وأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، وأخذ عنه الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) . أدب الراضي بالله وأصبح نديمه . وصنّف كثيراً من الكتب ، أشهرها كتاب الأوراق ، وله كتب صنّفت في أشعار المحدثين على حروف المعجم ^(١) .

ويمكن اعتباره استمراراً طبيعياً لأسرتي النجم وحمدون ، لأنّه حذق العلوم والفنون التي أجابوها ، إلّا الغناء ، ولعلّنا نستطيع القول إنّ مهارته في الشطرنج تأثرت بما عرف عن اختصاص بعض رجال آل حمدون بهذه اللعبة ، ويمكن أن يكون ذلك هو الذي دفعه إلى إجادتها لينال ما نالوا من الحظوة ، ونظنّ أنّ هذا ساعده على

١- وفیات الأعيان ٤ : ٣٥٦ ، والفهرست ١ : ١٥٠ - ١٥١ .

وراثۃ شهرتهم لأن الشطرنج في زمانه أصبح من أدوات الترفيه الرئيسة في البلاط
العباسي .

- الملحق الثاني -

أثر المناديات والمجالسات
على

الحركة الأدبية

الملحق الثاني

أثر المناديات والمجالسات على الحركة الأدبية

أ - كتب لندما وجلساء مشهورين:

- أسهم بعض الندماء والجلساء في تصنيف كتب تناولت الندما والجلساء، ومجالسهم ونواديرهم، وقد ذكرت المصادر من هذه المؤلفات:
- كتاب: "مدح النديم" لعلي بن عبيدة الريحاني (ت ٢١٩ هـ) (١) .
 - كتب: "الندما"، و"مناداة الإخوان"، و"المناديات" لإسحق بن إبراهيم الموصلي (٢) .
 - كتاب: "الندما والجلساء" لحمدون بن اسماعيل بن داود (٣) .
 - كتاب: "الإخوان والأصدقاء" لأبي العنيس الصيمري (٤) .
 - كتاب: "أدب الجليس" لمحمد بن يزيد المبرّد (٥) .

-
- ١- الفهرست ١ : ١١٩ .
 - ٢- السابق ١ : ١٤١ .
 - ٣- السابق ١ : ١٤٤ .
 - ٤- السابق ١ : ١٥٢ .
 - ٥- السابق ١ : ٥٩ .

- كتاب: "الندما" والجلساء" لعبيد الله بن أحمد بن خرداذبة (ت ٢٨٠ هـ)
نديم المعتمد (١).

- كتب: "أدب الملوك"، و"المنادمة والمجالسة" و"زاد المسافر وخدمة الملوك"،
و"الجلساء" والمجالسة" لنديم المعتمد أحمد بن الطيب السرخسي
(ت ٢٨٦ هـ) (٢).

- كتاب: "النديم" لجحظة البرمكي (٣).

- كتاب: "مذاكرة النديم" لمحمد بن أحمد المغربي (ت نحو ٣٥٤ هـ) (٤).

- كتاب: "أدب النديم" لأبي الفتح كشاجم .

- كتاب: "نظم السلوك في مسامرة الملوك" لإبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني (٥)
(ت ٣٨٨ هـ).

ب- كتب أخرى حول المناديات والمجالسات لغير ندما" أو جلساء":

وهناك مصنفات أخرى تحدثت عن الندما" والجلساء تركها لنا الكتاب الأدباء،

١- الفهرست ١: ١٤٩ .

٢- السابق ١: ٢٦٤ .

٣- السابق ١: ١٤٦ .

٤- معجم الأدباء ١٧ : ١٢٩ .

٥- السابق ١: ٢١٦ .

فعبد الله بن المقفع نقل عن الفارسية كتاب: "التاج في سيرة أنو شروان" (١)، ولا يخلو هذا الكتاب على ما يعتقد من الحديث عن الندماء والجلساء الذين اتصلوا بملوك الفرس، كما أنه نقل عن الفارسية أيضا كتاب "آيين نامه"، وهذا الكتاب كسابقه يمكن أن يكون قد تناول بعض آداب الندماء وتصرفاتهم. وله رسالة في "الصحابة" تحدث فيها عن صحبة السلطان. ولهذه الكتب أثرها في آداب المضامات ورسومها، وفي الكتب التي عنيت بذلك.

ومن الكتب التي ذكرتها المصادر:

- كتاب: "أدب الإخوان" لأبي الحسن علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥هـ) (٢).
- كتاب: "أخبار الندامى" لحمام بن إسحق الموصلي (ت نحو ٢٣٥هـ) (٣).
- كتاب: "المنادمة وأخلاق الخلفاء والأمراء" لأبي العبد محمد بن أحمد بن عبد الله الهاشمي (ت ٢٥٠هـ) (٤).
- كتابا: "الجلساء والندماء" و"نظم الثقلاء" لمحمد بن خلف المزيان (ت ٣٠٩هـ) (٥).

-
- ١- الفهرست ١، ١١٨.
 - ٢- السابق ١، ١٠٤.
 - ٣- السابق ١، ١٤٣.
 - ٤- السابق ١، ١٥٣.
 - ٥- السابق ١، ١٤٩، ١٥٠.

- كتاب "الشراب والمنادمة" لأحمد بن محمد بن سليمان بن بشار الكاتب (ت ٣١٢ هـ) (١)
- كتاب: "المتظرفات والمتظرفين" لعبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٣١٣ هـ) .
- كتاب: "أبواب الخلفاء"، ومعناه من كان الخلفاء يأنسون به ويستشيرونه ويستعقلونه ويستعضدونه، لمحمد بن أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ؟) (٢) .
- كتابا: "الموشى" و "أخبار المتظرفات" لمحمد بن أحمد بن إسحق الوشاء (ت ٣٢٥ هـ) (٣) .
- كتاب: "حشوحشأء الجليس" لقدامة بن جعفر (٤) (ت ٣٢٧ هـ) .
- كتاب: "المزخرف في الإخوان والأصحاب" لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني (٥) (ت ٣٨٤ هـ) .
- كتاب: "الجليس الكافي والأنيس الصالح الشافي" للمعافي بن زكرياء ويعرف بابن طرار (٦) (ت ٣٩٠ هـ) .

-
- ١- الفهرست ١: ١٤٧ .
 - ٢- السابق ١: ١١٠ .
 - ٣- السابق ١: ٨٥ .
 - ٤- السابق ١: ١٣٠ .
 - ٥- السابق ١: ١٣٣ .
 - ٦- وفيات الأعيان ١: ٣٢٤ . (موجود في الكتبخانة الخديوية) .

- كتاب: "مجالسة الرؤساء" لمحمد بن أحمد الحرون^(١) (ت ٣٩٠ هـ).
- كتاب: "المنادمين" لأبي أيوب سليمان بن أيوب المديني^(٢) (ت نحو ٤٠٠ هـ).
- كتاب: "الشعراء الندماء" لأحمد بن محمد المعروف بالمتيم الإفريقي^(٣) (ت نحو ٤٢٩ هـ).
- كتاب: "النديم" لأبي سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني^(٤) (ت ؟).

ج — مؤلفات للندماء لها علاقة غير مباشرة بالمناديات

- تنوعت مشاركة الندماء في حركة التأليف ، وقد كان لبعضها علاقة بمجالس المناداة .
ومن هذه الكتب :
- كتبه "الشراب" و "النغم والإيقاع" و "أخبار سعيد بن مسحج" و "أغاني معبد" وكتب أخرى تدور حول أخبار عدد من الشعراء ، وهي منسوبة لإسحق الموصلي^(٥).
 - كتاب: "أخلاق الملوك" لمحمد بن الحارث التغلبي (ت نحو ٢٥٠ هـ) الذي كان في جملة الفتح بن خاقان^(٦).

-
- ١- الفهرست ١: ١٤٩ ، معجم الأدباء ١٧ : ١٣٤ .
 - ٢- الفهرست ١: ١٤٨ .
 - ٣- معجم الأدباء ٤ : ١٨٨ .
 - ٤- الفهرست ١: ١٣٧ .
 - ٥- السابق ١ : ١٤١ .
 - ٦- السابق ١ : ١٤١ .

- كتب "الشعراء القدماء" والإسلاميين "و"إسحق الموصلي" و"الطبيخ" لعلي بن يحيى بن أبي منصور المنجم^(١) .

- كتب "الشطرنج"^(٢) و"أدب الكاتب" و"أخبار أبي تمام" لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي^(٣) .

أخبار الندماء والمنادمات في التراث.

تناثرت أخبار الجلساء والندماء في المصادر العربية ، وهناك كتب عقدت فصولا تحدثت فيها عنهم ، فقد أفرد ابن النديم "الفن الثالث من المقالة الثالثة" من كتابه "الفهرست" لأخبار الندماء والجلساء ، حيث ذكر مؤلفاتهم^(٤) .

وفي محاضرات الأدباء "للمراغب الأصبهاني فصل تحدث فيه عن الشراب والمنادمات^(٥) . وكذلك خصص الرقيق القيرواني فصلا عنهم في كتابه "قطب السرور"^(٦) .

١-وفيات الأعيان ٣ : ٣٧٣-٣٧٤ .

٢-الفهرست ١ : ١٥٦ .

٣-السابق ١ : ١٥٠ - ١٥١ .

٤-السابق ١ : ١٤٠ - ١٥٦ .

٥-محاضرات الأدباء ٢ : ٦٦٨ - ٧٢٨ .

٦-قطب السرور ص ٢٨٥ - ٣١٢ .

وقد حفل "الأغاني" لأبي الفرج الأصبهاني بأخبارهم ونواديرهم ، وكذلك
العقد الفريد ، ومعجم الأدباء ، ونهاية الأرب ، ووفيات الأعيان ، ومرج الذهب
وزهر الآداب ، ونشوار الحاضرة^(١) .

١- راجع. A. Chejne. The Boon Companion in Early Abbasid Times.
Journal of the American Oriental Society
LXXXV, (1965) P, 329.

حيث يقدّر الكتب التي خصّصت بعض صفحاتها للحديث عن الندماء
والجلساء .

- الملحق الثالث -

كتاب

أدب النديم

الملحق الثالث

- كتاب أدب النديم -

أ - ترجمة كشاجم

أبو الفتح محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك المعروف بكشاجم ،
فارسي الأصل ، من أهل الرملة بفلسطين . كان أديبا وشاعرا ومنجما ومن كتاب
الإنشاء . تنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد ، ورحل إلى مصر أكثر من
مرة ، ثم استقر بحلب ، فكان من شعراء أبي الهيثم عبد الله والد سيف الدولة
الحمداني ، كما كان شاعر ابنه سيف الدولة . له ديوان شعر ، ومصنفات أخرى .
راجع ترجمته في الأعلام ٤٣ : ٨ حيث يذكر مصادره .

ب - كتاب "أدب النديم" لكشاجم .

كتاب صغير الحجم يقع في ثلاث وأربعين صفحة ، ويضم مقدمة وثلاثة عشر
بابا وخاتمة قصيرة .

يتحدث كشاجم في مقدمته عن سبب تأليفه فيقول : "لاني وجدت من تقدم من
العلماء عني بتأليف الكتب من الأدباء قد جردوا بذكر الشراب كتباً ضمنوها من نعوت

أصنافه ، وأوصاف محرمه ومحله ، وتبيين خصاله ولطائفه ، وحدود منافعه ومضاره ،
وضروب ملاذه ومساره ، وما استغرقوا فيه المعنى ، واستوفوا به المدى ، وأغفلوا
ذكر النديم بما يجب ذكره ، والتنبيه على منزلته ، وموقعه وإفراده من القول ، بما
يبين عن فضله ويدل على محله إلا في جمل أدرجوها ، ولم يبسطوها ، ولمعني
أطراف الكتب غرقوها ولم يولفوها ، فأحببت أن أجرد في ذلك كتاباً أفصله
وأبويه وأوفي كل معنى فيه حقه وأضم إلى كل شكل شكله^(١) .

ثم يتحدث عن مصادر مادة كتابه ، ومنهجه في التأليف ، فيقول : " وأجمع
إلى ما تستطيع القريحة أحسن ما وجدته في هذا المعنى ، متفرقا في أمثال
الحكماء ، ومنظم الشعراء ، ومنشور البلغاء ، وأخبار الظرفاء ، وأودعه من أدب
النديم ما لا يستغني عنه شريف ، ولا يجوز أن يخل به ظريف^(٢) .

ثم يحدد الهدف منه فيقول : " ليكون منهجا واضحا لمن نظر فيه وإماما
يقتدي به من وقع إليه^(٣) .

١- أدب النديم ص ٢-٣ .

٢- السابق ص ٣ .

٣- السابق ص ٣ .

وأبواب الكتاب هي :

- ١- باب مدح النديم وفوائده .
- ٢- باب أخلاق النديم وصفاته .
- ٣- باب التداعي للمنادمة .
- ٤- باب الشرب وكثرتهم وقلتهم .
- ٥- باب السماع .
- ٦- باب المحادثة .
- ٧- باب غسل اليد .
- ٨- باب إدارة الكأس .
- ٩- باب الإكثار والإقلال .
- ١٠- باب طلب الحاجة والاستماعة على النبيذ .
- ١١- باب هيئة النديم وما يلزمه لرئيسه .
- ١٢- باب ما يلزم الرئيس لنديمه .
- ١٣- باب الأدب في الشطرنج .

ثم يلي ذلك خاتمة الكتاب .

وبعد أن يتحدّث في الباب الأول عن تسمية النديم ، يتناول الذين حرّموا النبيذ في الجاهليّة مستشهدا بشعر بعضهم وأقوالهم ، ثم يعود إلى التماس أسباب

الولع بشربه فيحدّدها بـ "اجتماع الشمل وأنس العنادمة وأريحية المذاكرة ، ولو انفرد
النبيذ بنفسه ، وحصل عليه وحده دون النديم المساعد ، والسماع المطرب ، لكان
الوعاء أولى به ، فقد تبين أن المعافر أفضل من العقار والنديم فائدة المدام" (١) .

وفي الباب الثاني يتحدّث عما يحتاج إليه النديم من المؤهلات التي تجعله
قادرا على مجالسة الرؤساء ، وينهي الباب بإبراز صفات النديم كجماله ومظهره ومروته
داعما ذلك بالمأثور عن الندماء المشهورين (٢) .

ثم يوجز في الباب الثالث آداب التداعي للمنادمة ، مشيرا إلى العادات المكروهة
عند بعض الداعين ، وقد حمل ذلك على بخلهم ، وضرب مثلا لذلك بالداعي الذي يشتري
خروفا للدعوة ولا يذبحه إلا بعد حضور أصحابه فيتأخّر طعامه ، وينالهم من التنغيص
والتكدير ما يفسد الغاية من الدعوة . ولا ينسى كشاجم أن يتحدّث عن عيوب المدعو ،
كالتناقل عن إجابة الدعوة ، ويضرب مثلا وقع له مع صديق أخلّ بآداب الدعوة فألحق به
الجوع ، ويقدم شعرا لاذعا يعيبه ، منه :

١- الباب الأول ص ٣-٢ .

٢- راجع الباب الثاني ص ٧-١٢ .

وأوحشت إخوانك المسعدين وفجعتهم بشباب النهار
وأضمرت للجوع أحشاءهم بنار تزيد على كل نار
فلن كنت تأمل أن لا تسب فأنت وحقك عين الحمار

ثم يورد أشعارا وأخبارا قصيرة في الدعوة والداعين دعاواتهم القبيحة^(١) .

ويتناول في الباب الرابع عدد الشرب المتنادمين عارضا روايات وأشعارا
تصور أتم المجالس وأفضلها ، ويتحدث أيضا عن الشراب جيد ، ورديئه ، مستشهدا
بأشعار أبي نواس ، والبحتري ، وعلي بن العباس الرومي (ت ٢٨٣ هـ) وشعره .
ويرى أن يسير الرائق الجيد من الشراب يعني على مقصر الطعام ، ويعلل تفضيله
لرائق الشراب بأن زمان المشاركة أطول من زمان المؤكلة^(٢) .

ويخصص الباب الخامس للغنا ، حيث يرى أن السماع الطيب يغني عن الطعام
والشراب لأن " الغنا " شي يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالح الجسم ،

١- الباب الثالث ص ١٢ - ١٧ .

٢- الباب الرابع ص ١٨ - ١٩ . ويلاحظ أن الحديث عن الشراب ليس له علاقة

بعنوان الباب " باب الشرب وكثرتهم وقتلتهم " .

كما أنّ لذة المأكول والمشروب تخصّ الجسم دون النفس^(١) . ثم يورد أقوال الحكماء في الغناء ، ويتحدّث عن فضله وفائدته . ويختم الباب شعرا ونثرا متناولا آداب الاستماع له^(٢) .

وينتقل في الباب السادس إلى المحادثة ، فيبيّن مكانها بين اللذات ، ثم يوضح آداب الاستماع للحديث ، ويشير إلى ضرورة اتّصاف النديم بالقدرة على التحديث ، ثم يعيّن صفات الأحاديث وآداب التحديث ، ثم يتناول الاختلاف حول الحديث عن الطعام ، ويتبعه بأمثلة لإساءة اختيار الأحاديث ، وهذا ما دفعه إلى الإشارة إلى ضرورة إجادة اختيار الأحاديث التي تتناسب ونفسية المستمعين له من الجلساء^(٣) .

وفي الباب السابع يوضّح الآداب المتّبعة في غسل اليد بحضرة الرئيس والندماء ، ويفضّل الاعتزال عند ذلك تخفيفا عن عيون الحاضرين^(٤) .

١- أدب النديم ص ٢٠ .

٢- الباب الخامس ص ١٩-٢٢ .

٣- الباب السادس ص ٢٢-٢٧ .

٤- الباب السابع ص ٢٤-٢٨ .

ثم ينتقل في الباب الثامن إلى آداب إدارة الكأس ويرى الإتفاق على ضرورة مناولة الشراب من الأيمن فالأيمن ، ويدعم آراءه بأشعار للجاهليين وأخبار أخرى (١) .

وفي الباب التاسع يتحدث عن فائدة افتتاح الشرب بالقدر الكبير، ولكنه يشير إلى أن النديم ليس مختاراً فيما يشرب لأن الأغلب إجباره على الشرب، لأنهم يستقلون امتناعه ، ولذلك تقال عشرته إذا سكره ، أما إذا كان هو الذي استدعى الشراب فتلزمه تبعة ما يقوم به ، ويشدد في نهاية هذا الباب على ضرورة تجنب الرئيس للسكر ، ويضرب أمثلة لما وقع فيه بعض الملوك نتيجة سكرهم (٢) .

وفي الباب العاشر يوضح آداب سؤال العطايا ، ويضرب أمثلة تبين ما يجب على النديم فعله سواء أكان على الشراب أم لم يكن (٣) .

١- الباب الثامن ص ٢٨ - ٢٩ .

٢- الباب التاسع ص ٢٩ - ٣٠ .

٣- الباب العاشر ص ٣٠ - ٣١ .

ثمَّ يتحدّث في الباب الحادي عشر عن زِيّ النديم مشيرا إلى أنّ ملوك
العجم رسموا لكل طبقة لباسا ، معلّلا الحكمة في ذلك ، ثمَّ ينتقل فجأة إلى
الحديث عن بعض واجبات النديم لرئيسه ، كالإسراع في الخطو في حضرته ،
مشيرا إلى عادة بعض الندماء في التزام ذلك في كلّ المجالس حتى لا
يخلّوا بذلك في حضرة رؤسائهم (١) .

ثمَّ يتحدّث في الباب الثاني عشر عمّا يلزم الرئيس من واجبات لنديه ،
ويدور كلامه حول ضرورة الإنصاف في المنادمة حيث تستوي العشرة بين الرئيس
وندمائه مشيرا إلى أنّ ذلك لا يحطّ في الرياسة . ويتّخذ شعر أبي نواس
والحسين بن الضّحّاك دليلا ليظهر موقفه من إنصاف النديم (٢) .

وفي الباب الأخير ينّه إلى آداب النديم لاعب الشطرنج وصفاته ، ويتحدّث
عمّا نستعمل في مجالس اللّعب من النوادر المدهشة التي يعتبرها عدّة اللاعبين ،
وبيّن مواضع استحسانها . ثمَّ يورد أبياتا في الشطرنج وبعد ذلك يتكلّم عن النرد ،
وصفات لاعبيه ، ويقدم شعرا في ذمّه (٣) .

١- الباب الحادي عشر ٣٢ - ٣٤ .

٢- الباب الثاني عشر ٣٥ - ٣٨ .

٣- الباب الثالث عشر ٣٨ - ٤٣ .

ويختتم الكتاب موضحاً الغاية منه متمنياً أن يكون ما قدّمه "غاية لذي .
التمييز والفطنة وهداية إلى كرم الأخلاق في المنادمة" (١) .

ج - قيمة كتاب "أدب النديم" .

الكتاب هو الأثر الوحيد المطبوع المنقّص كلّ للحديث عن مجالس المناديات
وآدابها (٢) . ويدور القسم الأكبر منه حول الآداب الخاصة بالندماء ومجالس
المناديات ، وصفات الجلساء الندماء ، وموهبتاتهم ، وقد استطاع كشاجم أن يسخر
شعره وما وقع له مع أصدقائه لخدمة كثير من أبوابه .

ويمتاز الكتاب باختصاره وإيجازه الشديد ، وبلغته السهلة وتبويبه .

١- أدب النديم : ٤٣ .

٢- جاء في " The Boom-Companion in Early Abbasid Times P. 329
للحديث
أن مخطوطة "رأس مال النديم" الموجودة في استانبول ، خصّصت/عن النديم .

- كشاف المصادر والمراجع -

— كتشاف المصادر والمراجع —

أ — العربية

الأبشيهي شهاب الدين محمد بن منصور (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) • المستطرف في كل

فن مستظرف • بولاق ١٢٧٢ هـ •

الأزدي ، علي بن ظافر (ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م) • بدائع البدائة • مطبوع على هامش

شرح شواهد التلخيص المسقى "معاهد التنصيص" لأبي الفتح ^{عبد} الرحيم بن عبد

الرحمن العباسي • القاهرة ، المطبعة البهية ١٣١٦ هـ •

الأصفهاني ، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب (ت ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م) • محاضرات

الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء • بيروت ، مكتبة الحياة ، ١٩٦١ • ج ٢ •

الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) • الأغاني • القاهرة ،

دار الكتب المصرية ، ١٩٢٧ — ١٩٦١ • ١٦ ج •

: الأغاني • حقق بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم • القاهرة الهيئة المصرية

العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ — ١٩٧٣ • ج ١٧ — ٢١ •

بروكلمان ، كارل • تاريخ الأدب العربي • ترجمة عبد الحليم النجار • القاهرة ، دار

المعارف ، ١٩٥٩ • ج ١ •

ابن بكار، أبو عبد الله الزبير بن عبد الله (٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) جمهرة نسب
قريش وأخبارها • تحقيق محمد محمود شاكر • القاهرة، مكتبة دار العروبة،
 ١٩٦١ ج ١ •

البهقي، إبراهيم بن محمد (ت نحو ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) • المحاسن والمساوي •
 تحقيق فريدريك شوالي • ليزنغ ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م •

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) • سنن الترمذي •

شرح ابن العربي • بولاق، ١٢٩٢ هـ •

التنوخسي، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) • المستجد من فعلات
الأجواد • تحقيق محمد كرد علي • دمشق، مطبعة الترقى، ١٩٤٦ •

• نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة • تحقيق عبود الشالجي • بيروت، ١٩٧١ هـ —
 ١٩٧٣ ج ٨ •

ابن ثابت، حسان (ت ٥٤ هـ / ٦٧٤ م) • ديوان • بيروت، دار صادر، ١٣٨١ هـ /
 ١٩٦١ م •

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) • البيان والتبيين • تحقيق عبد السلام

هارون • القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨ م — ١٩٤٩ م •

• التاج في أخلاق الملوك • تحقيق أحمد زكي باشا • القاهرة، المطبعة الأميرية،
 ١٩١٤ م (منسوب للجاحظ) •

الجاحظ، عمرو بن بحر، تنبيه الملوك والمكايد • مخطوط مصور على "ميكروفلم" محفوظ في مكتبة الجامعة الأميركية، نقلًا عن نسخة دار الكتب المصرية في القاهرة. (منسوب للجاحظ) •

- : الحيوان • تحقيق عبد السلام هارون • القاهرة، ١٩٣٨ • ج ٧ •
— : المحاسن والأضداد • الطبعة الأولى • القاهرة، مطبعة الفتوح الأدبية، ١٣٣٢ هـ. (منسوب للجاحظ) •

- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس بن عبد الله (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م) •
الوزراء والكتاب • تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ •
إبن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) • أخبار الظراف والمتاجنين • تحقيق محمد بحر العلوم • الطبعة الثانية، النجف الأشرف، مطبعة الغري الحديثة، ١٣٦٨ هـ / ١٩٦٧ م •
إبن حبيب، أبو جعفر محمد (ت ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م) • المحبر • تحقيق إيلزة ليختن شتير • حيدرآباد الدكن، مطبعة جمعية المصارف العثمانية، ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م •
إبن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) • فتح الباري بشرح البخاري • القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٥٩ م •
إبن حجر، عمرو القيس (ت ٥٤٥ م) • ديوان • بيروت، دار صادر، ١٩٥٨ •

الحصري القيرواني ، أبو إسحق إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦٠ م) . جمع الجواهر

في الملح والنوادر أو ذيل زهر الآداب . تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة ،

دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٣ م .

- : زهر الآداب وثمر الألباب . تحقيق علي محمد البجاوي . الطبعة الأولى . القاهرة ،

دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .

• ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .

وفيات الأعيان . تحقيق إحسان عباس . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٠ - ١٩٧٢ م .

• ابن الداية ، أبو جعفر أحمد بن يوسف (ت نحو ٣٤٠ هـ / ٩٥٢ م) . المكافأة . تحقيق

أحمد أمين وعلي الجارم . القاهرة ، بولاق ، المطبعة الأميرية ، ١٩٤١ م .

• الرقيق ، إبراهيم بن القاسم (ت نحو ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) . قطب السرور في أوصاف الخمور .

تحقيق أحمد الجندي . دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٩ .

• الرومي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) . معجم البلدان .

بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٥ - ١٩٥٧ م .

- : معجم الأدباء . تحقيق أحمد فريد رفاعي . القاهرة ، ١٩٣٦ - ١٩٣٨ م .

• الزبيري ، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م) . نسب قریش .

تحقيق أ . ليفي برونفيسال . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٣ .

• الزركلي ، خير الدين . الأعلام . الطبعة الثانية . القاهرة ، مطبعة كونستانتينوس ،

١٩٥٤ - ١٩٥٩ م .

- السجستاني ، محمد بن طاهر بن بهرام (ت نحو ٢٧٢ هـ / ٩٨٣ م) . صوان الحكمة .
مخطوط في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ، رقم MS. 921.9 S15KA
- إبن ، سعد كاتب الواقدي ، محمد (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م) . الطبقات الكبير . تحقيق إدوارد
سخو . ليدن ، أبريل ، ١٣٢١ هـ — ١٣٢٢ هـ .
- إبن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق (ت ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م) . كنز الحفاظ في كتاب
تهذيب الألفاظ . تحقيق لويس شيخو . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٥ م .
- الشابشتي هلي بن محمد (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) . الديارات . تحقيق كوركيس عواد . بغداد ،
مطبعة المعارف ، ١٩٥١ م .
- الصابي ، أبو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) . رسوم دار الخلافة .
تحقيق ميخائيل عواد . بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ م .
- الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٧ م) . أخبار الرازي بالله والمتقي لله .
عني بنشره ج . هيورث دن . القاهرة ، مطبعة الصاوي ، ١٩٣٥ م .
- أشعار أولاد الخلفاء . نشر ج . هيورث دن . القاهرة ، مطبعة الصاوي ،
١٩٣٦ م .
- ضيف ، شوقي . تاريخ الأدب العربي . الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار المعارف ،
١٩٦٦ م ، ج ٣ .
- إبن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) . الفخري في الآداب
السلطانية . عني بنشره يوسف توما البستاني . القاهرة ، المطبعة الرحمانية ،
١٣٣٩ هـ .

العامري ، أبو الحسن محمد بن يوسف (ت ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) . السعادة والإسعاد في
السيرة الإنسانية . انضمام قدمت وفهارس بكتابت ومباشرت هجيتي مينوي ،
ويسبادن ، ١٣٣٦ هـ . ش / ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ . انتشارات دانشگاه طهران ،
٤٣٥ .

العاملي ، بهاء الدين محمد بن الحسن (ت ١٠٣١ هـ / ١٦٢٢ م) . الكشكول . تحقيق
أحمد طاهر الزواوي ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦١ م .
- المخلاصة . الطبعة الأولى . القاهرة ، المطبعة الأدبية ، ١٣١٧ هـ .
إبن العبد ، طرفة (ت ٥٦٤ م) . ديوان . تحقيق علي الجندي . القاهرة ، مكتبة
الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨ م .

إبن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) . بهجة المجالس
وانس المجالس وشحن الذهن والهاجس . تحقيق محمد مرسى الخولي ومراجعة
عبد القادر القط . القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٢ م .
سلسلة تراثا .

إبن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) . العقد الفريد . تحقيق أحمد
أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري . القاهرة ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ،
١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م - ١٣٦٨ هـ ، ١٩٤٩ م .

عهد أردشير . تحقيق إحسان عباس . بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٧ .
إبن غوث ، الأخطل غياث (ت ٩٠ هـ / ٧٠٨ م) . ديوان . تحقيق انطوان الصالحاني ،
بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٩ م .

الغزولي ، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي (ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م) . مطالع

البدور في منازل السرور . الطبعة الأولى . القاهرة ، مطبعة إدارة

الوطن ، ١٢٩٩هـ — ١٣٠٠هـ .

القاسي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٧م) . الأمالي . القاهرة ،

مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م .

— : ذيل الأمالي والنوادر . القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٤هـ /

١٩٢٦م .

إبن قتيبة ، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) . الشعر والشعراء . الطبعة

الثانية ، تحقيق مصطفى السقا . القاهرة ، مطبعة المجاهد ، ١٣٥٠هـ .

— : عيون الأخبار . القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م —

١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م .

القرآن الكريم .

القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) . صبح الأعشى في صناعة الانشاء .

نسخة مصورة عن طبعة المطبعة الأميرية في القاهرة ، ١٩٦٣م .

إبن قيس ، الأعشى ميمون (ت ٦٤٩م) . ديوان . تحقيق غاير . شرح

وتعليق محمد محمد حسين . بيروت ، المكتب الشرقي للتوزيع والنشر ، ١٩٦٨م .

كحالة ، عمر رضا . معجم المؤلفين . دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٩٥٧ — ١٩٦١ .

كرد علي ، محمد . رسائل البلغاء . القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٤م .

كشاجم ، أبو الفتح محمود بن الحسين (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م) أدب النديم . بولاق ، المطبعة
الأميرية ، ١٢٩٨ هـ .

الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) . الأحكام السلطانية .
القاهرة ، ١٢٩٨ هـ .

- : أدب الدنيا والدين . تحقيق مصطفى السقا . الطبعة الثالثة : القاهرة ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٩٥٥ م .

متنزه آدم . الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري . ترجمة محمد عبد الهادي
أبو ريدة . القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . ١٩٤٠ - ١٩٤١ م .
محمدي ، محمد . الترجمة والنقل عن الفارسية في القرون الإسلامية الأولى . بيروت ، منشورات
قسم اللغة الفارسية وآدابها في الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٤ م ، ج ١ .

المرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) . معجم الشعراء . تحقيق
عبد الستار أحمد فراج . القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٠ م .
- : الموشح . تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة ، دار النهضة مصر ،
١٩٦٥ م .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥هـ / ٩٥٦م) . التبيه والإشراف . تحقيق
دغويه . ليدن ، بريل ، ١٨٩٣ م .

- : مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
الطبعة الرابعة . القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

- مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) • جاويدان خرد • تحقيق
عبد الرحمن بدوي • القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٢ • دراسات
إسلامية (١٣) •
- إبن المعتز ، عبد الله (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م) • طبقات الشعراء • تحقيق عبد الستار أحمد
فراج • القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٦ م • ذخائر العرب (٢٠) •
- إبن المقفع ، عبد الله (ت ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م) • كلیلة ودمنة • تحقيق طه حسين وعبد الوهاب
عزّام ، القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٤١ م •
- إبن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) •
لسان العرب • بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٦ •
- نجم ، محمد يوسف • صور من التمثيل في الحضارة العربية من الكّج حتى المقامات •
آفاق عربية ، ص ٣ ، ٤ ، ت ٢ ، ١٩٧٧ م •
- إبن النديم ، محمد بن اسحاق (ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧ م) • الفهرست • تحقيق غوستاف فلوجل •
لينغ ، ١٨٧١ - ١٨٧٢ م •
- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) • نهاية
الأرب في فنون الأدب • القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٣ - ١٩٥٥ م •
- إبن هانسي ، أبو نواس الحسن (ت ١٩٨ هـ / ٨١٤ م) • ديوان • بيروت ، دار صادر ،
١٩٦٢ م •
- الوشاء ، أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى (ت ٣٢٥ هـ / ٩٣٧ م) • الموشى • تحقيق
رودولف أ. برونو • ليدن ، مطبعة بريل ، ١٣٠٢ هـ •
- إبن يزيد ، الوليد • ديوان • جمع وترتيب ف. جبريالي • تقديم خليل مردم بك • دمشق ، مطبعة
إبن زيدون ، ١٩٣٧ م •

ب - الأجنبية .

- Chejne, Anwar. The Boon - Companion in Early Abbasid Times.
Journal of the American Oriental Society,
LXXXIV, 327-335, 1965.
- Crawley, Alfred Ernest. Dress, Drinks and Drums. London, Methuen,
1931.
- Diehl, Charles. Byzantium: Greatness and Decline. Translated from
the French by Naomi Walford. New Jersey, Rutgers
University Press, 1957.
- Psellus, Michael. Fourteen Byzantine Rulers. Translated by E.R.A.
Sewter. Baltimore, Penguin Books, 1966.
- Runciman, Steven. Byzantine Civilization. London, Edward Arnold
and Co., 1933.

<u>صفحة</u>	<u>الفهرست</u>
٢ - ١	تمهيد
٥ - ٣	المقدمة
١١٧ - ١	الفصل الأول:
	- مفهوم النديم
	- تاريخ المنادات
١١٣ - ١١٨	الفصل الثاني:
	- صفات الندماء والجلساء
	- وأخلاقهم وتصرفاتهم
٢١٦ - ١٩٤	الفصل الثالث:
	- دور الندماء والجلساء في البلاط
	- الملاحق:
٢٢٥ - ٢١٧	- الأول : تراجم مشاهير الندماء والجلساء
	عند الأمويين والعباسيين
٢٣٢ - ٢٢٦	- الثاني : أثر المنادات والمجالسات
	على الحركة الأدبية
٢٤١ - ٢٣٣	- الثالث : كتاب أدب النديم
٢٥١ - ٢٤٢	كتشاف المصادر والمراجع:
٢٥٢	فهرست :